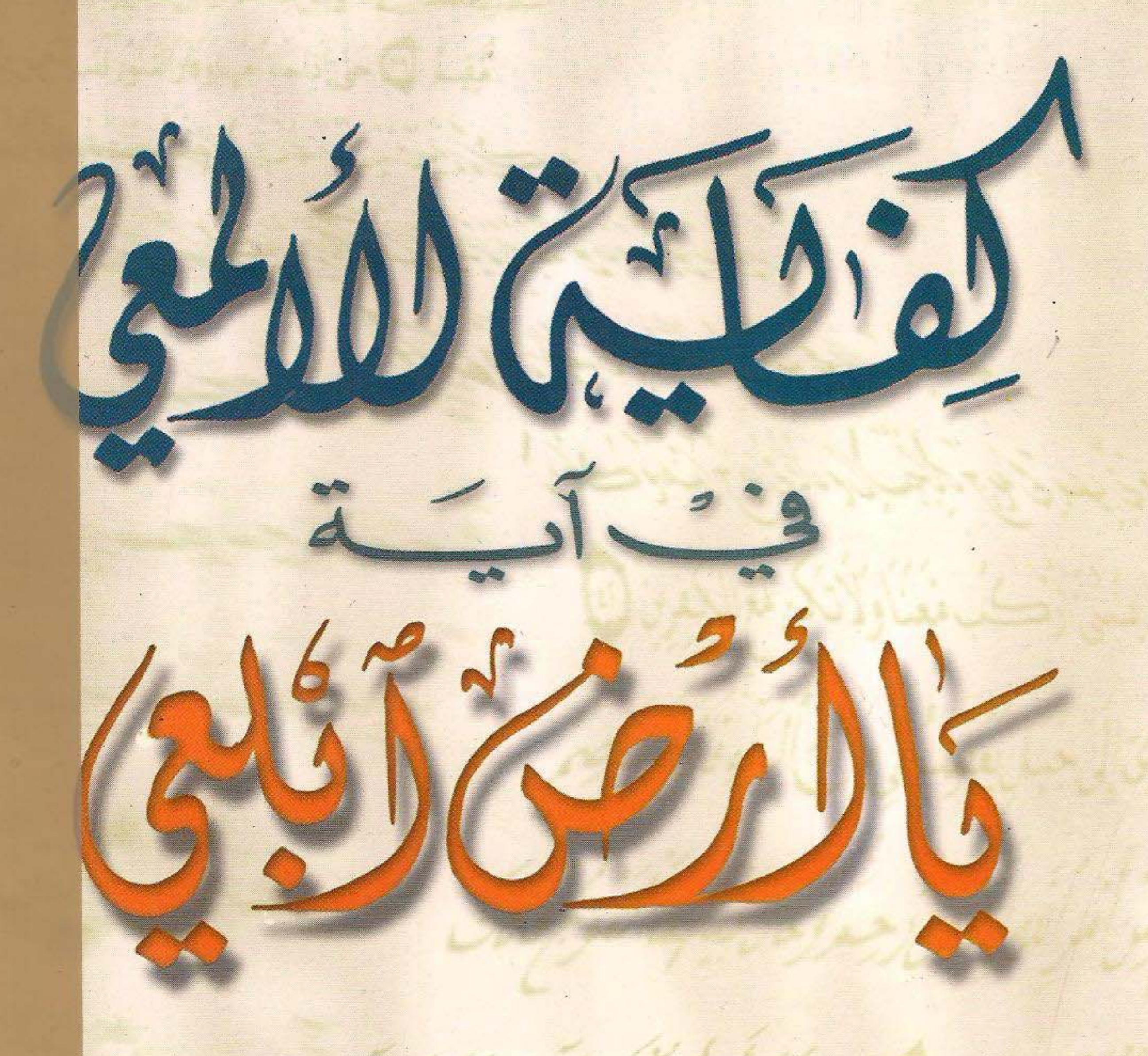


كِفَايَةُ الأَلْمَعِي فِي آيَةِ يَا أَرْضُ ابْلَعِي

للإمام شمس الدين أبي الخيْر
محمد بن محمد بن الجَزَري
(٧٥١ - ٨٣٣هـ)

دراسة وتحقيق
نشيد حميد سعيد آل محمود

منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت

كفاية اللألمعي

في آية

يا أرض ابلعي

دار الآفاق الجديدة

مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر

رأس بيروت ـ الحمراء ـ شارع المقدسي

هاتف: 349178 (1-961) - 351246 (1-961)

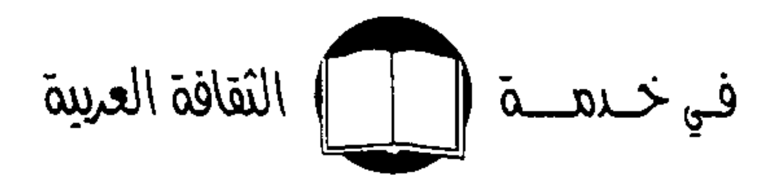
فاكس: 341112 (1-961)

ص.ب.: 2668 Riad Al-Solh و 7302-11

Beirut 1107 2240 Lebanon.

E-mail: alafaq@cyberia.net.lb

بيروت ـ لبنان



اسم الكتاب: كفاية الألمعي

المؤلف: ابن الجزري

ISBN 9953-12-019-6

الطبعة الأولى

2003



للإمام شمس الدين أبي الخيْر
محمد بن محمد بن الجَزَري
(٧٥١ - ٨٣٣هـ)

دراسة وتحقيق
نشيد حميد سعيد آل محمود

منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ٱبْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ﴾

صَدَقَ الله العَظِيم

سورة هود (آية ٤٤)

المقدمة

الحمد لله حمداً كثيراً، والصَّلاة والسَّلام على محمَّد خاتم الرسل وعلى آله الطَّيبين وأصحابه المنتجبين.

وبعد، فقد مرَّت على الدِّراسات القرآنية قرون طويلة منذ أن تفتّحت أذهان علماء المسلمين على قراءة القرآن والغوص في أعماقه لاستخراج ما فيه من كنوز، وقد كان لحث القرآن والرَّسول الأعظم ﷺ ورجالات الإسلام الأوائل الأثر الكبير في دفع تلك الأجيال المتعاقبة إلى البحث والتأليف. وممّا جاء في الحديث الشريف في فضل القرآن والحثّ على دراسته:

«. . . كِتَابُ الله فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُم وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُم وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُم هُوَ الفَصْلُ لَيْسَ بالهَزْل، هُوَ الّذِي مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ الله، وَمَن ابْتَغَى الهُدَى في غَيْرِهِ أضلّه الله، وَهُوَ حَبْلُ الله المَتِين وَهُوَ الذِّكْرُ الحَكيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ، وَهُوَ الّذي لا تَزيغُ به الأهواء ولا تَلْتَبِسُ بِهِ الألسنةُ ولا يشبعُ منه العلماءُ ولا يَخلَقُ عَن كَثْرة الرَّدِ وَلاَ تَفْنَى عَجَائِبُه»[1].

وقد تنوّعت تلك الدِّراسات وتسابق إليها العلماء ممّا أثرى المكتبة العربيَّة بتراث ضخم من الكتب والموسوعات التي كان للقرآن الأثر الكبير في مادّتها.

إنّ الدراسة القرآنيَّة المتخصِّصة التي تأخذ جانباً محدّداً من القرآن فتوجه الجهد الكبير والمتواصل إليه، تؤدِّي إلى نتائج وثمرات قد لا تتمكن الدِّراسات العامّة الشاملة من الوصول إليها؛ لأنّ تحديد مجال الجهد وتضييقه سيؤدِّي قطعاً إلى توجيه الفكر في ذلك المجال واستعمال ذكاء الدارس وإخلاصه فيه ممّا يفتح أمامه الآفاق لخدمة هدفه المحدّد الواضح.

---

(١) انظر: سنن الترمذي: ٥/ ١٧٢.

لقد سلك الشيخ الجزري رحمه الله في كتابه هذا (كفاية الألمعي) المسلك المحدّد الضيّق، حيث جعل هذه الآية القرآنية الكريمة ـ على قلّة ألفاظها ـ مداراً لبحثه الطويل طارقاً كلّ باب من أبواب الفنون التي رأى مجالاً للآية فيها، وذلك على سبيل التحدي لمن قال: إن السكاكي بلغ فيها الغاية ـ في كتابه المفتاح[1] ـ ذلك التحدِّي الذي دفعه إلى العمل فأثمرت جهوده فأثبت دقة المقولة التي ردّدها المفسِّرون:

«.. استفصح علماء البيان هذه الآية ورقصوا لها رؤوسهم»[2].

وحيث أنني أخوض بين المخطوطات لاختيار ما يصلح لأن يكون موضوعاً لنيل درجة الماجستير، اقترح عليَّ أخ كريم أن أحقِّق هذا الكتاب، ولمّا سرّحت النظر فيه وجدت فيه ما يملأ نفسي في العمل العلمي وخدمة القرآن الكريم في جانب من جوانبه المضيئة.

وشرعت في عملي حيث قسمته إلى قسمين:

١ ـ قسم الدِّراسة.

٢ ـ قسم التَّحقيق.

أما قسم الدِّراسة فقد اشتمل على أربعة فصول:

والفصل الأول تحدثت فيه عن حياة المؤلِّف كما في النقاط التالية:

١ ـ اسمه، مولده.

٢ ـ أسرته ونشأته.

٣ ـ شيوخه.

٤ ـ تلاميذه.

٥ ـ رحلاته العلمية ووفاته.

٦ ـ شعره.

---

(١) انظر: كفاية الألمعي، الأصل، ٣ و.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥.

وقد تهيَّأ لي عدد من المصادر التي تحدّثت عنه وبخاصة ترجمته لنفسه في كتابه (غاية النهاية)، وحيث إنّ محققي كتبه التي اطلعت عليها لم يتوسّعوا في الكلام عن حياته قمت بجمع المعلومات وعرضها في هذه الدِّراسة.

والفصل الثاني: تتبعت فيه مصنفاته وبالنظر لكثرتها فقد صنّفتها على العلوم: فمن مؤلَّفاته في علوم القرآن إلى علوم الحديث إلى التأريخ والسير ثمَّ علوم اللغة ثمَّ الفقه وأصوله وأخيراً كتبه الأخرى المتفرِّقة الأغراض.

وقد أشرت إلى المطبوع منها والمخطوط ومكان وجوده أو المصدر الذي ذكره.

والفصل الثالث: وفي هذا الفصل قمت بدراسة تحليلية للكتاب حيث شملت:

١ ـ زمن تأليفه.

٢ ـ بواعث تأليفه.

٣ ـ منهج المؤلِّف فيه.

٤ ـ المصادر التي اعتمدها وطريقة تعامله معها.

٥ ـ شواهده وأسلوب عرضها.

أما **الفصل الرابع** فقد اشتمل على:

١ ـ اسم الكتاب وتوثيق نسبته إلى المؤلِّف.

٢ ـ عرضت وصفاً للنسختين اللتين اعتمدتهما في التحقيق.

٣ ـ شرحت المنهج الذي سرت عليه في تحقيق الكتاب.

أما قسم التحقيق:

فقد بذلت ما استطعت من جهدٍ في سبيل تحقيق الكتاب تحقيقاً علمياً متقناً حيث قمت:

١ ـ بتحرير النص بما يتفق مع قواعد الإملاء المتبعة في العصر الحاضر.

٢ ـ ضبطت ما يحتاج ضبطاً من النص.

٣ ـ قابلت النسختين المخطوطتين وبيّنت أوجه الاختلاف وأشرت إلى مواضع الخطأ والسقط.

٤ ـ خرجت الشواهد المختلفة الواردة في النصّ من آيات كريمة وأحاديث شريفة وأشعار العرب وأقوالهم.

٥ ـ عرّفت بالاعلام في الهوامش.

٦ ـ فسّرت ما يحتاج تفسيراً من الكلمات.

٧ ـ وثقت ما يحتاج إلى التوثيق من النصوص والآراء.

٨ ـ علّقت على المسائل المهمّة وبيّنت الآراء المختلفة فيها.

٩ ـ عرّفت بالكتب التي ورد ذكرها في النص.

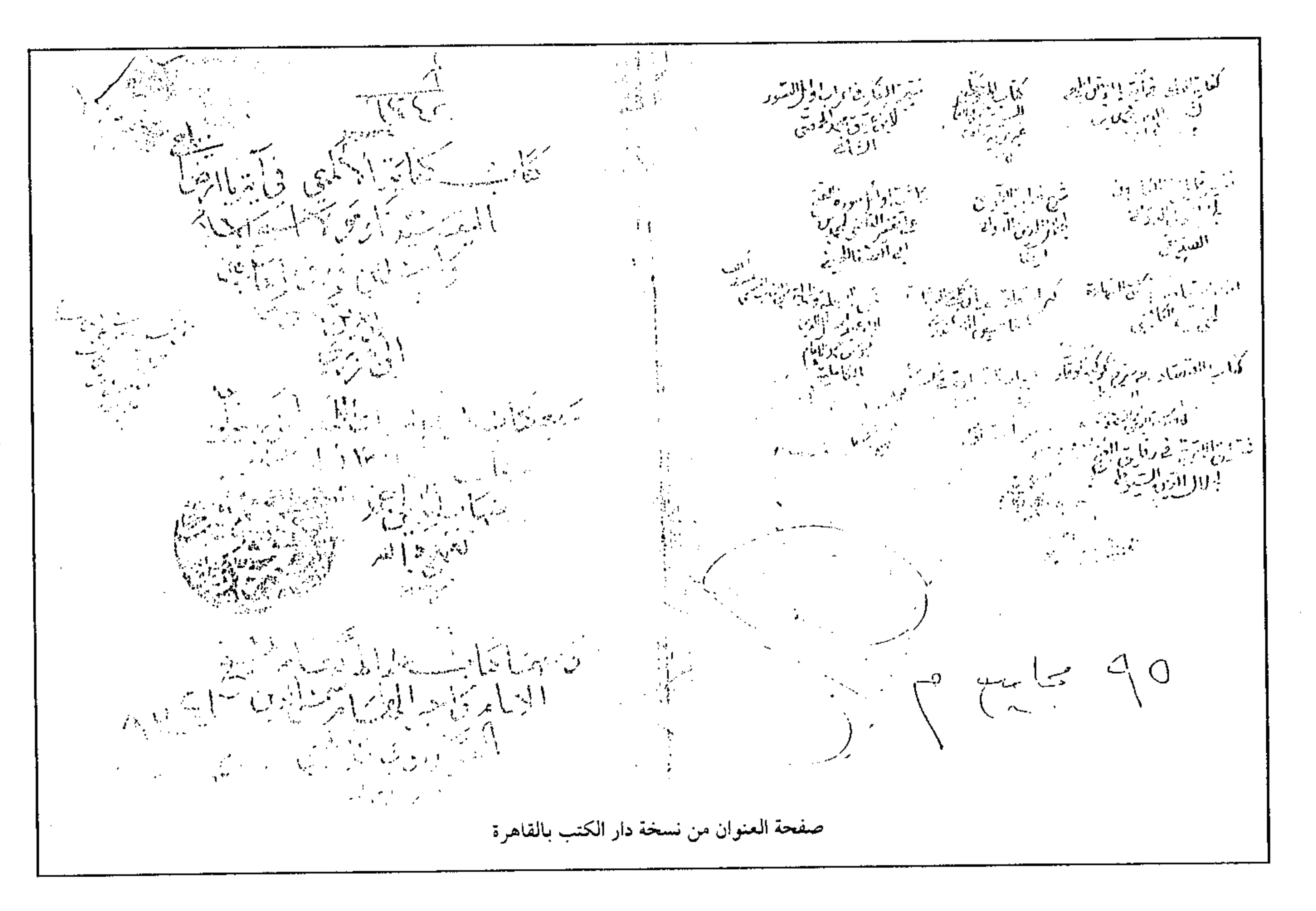
وبعد أرجو أن أكون قد وفقت في إخراج هذا الكتاب إخراجاً يجعله في متناول العلماء والباحثين ذاكراً وشاكراً كل من منحني من وقته ولم يبخل وأخصُّ بالذكر أستاذي المبجّل الدكتور عبدالله درويش الذي لم تمنعه ظروف عائلية قاهرة من أن يمنحني من وقته ما أعانني في تذليل صعوبات البحث وغوامضه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

نشيد حميد سعيد آل محمود

١ شهر رمضان سنة ١٤٠٩هـ

٦ نيسان سنة ١٩٨٩م



صفحة العنوان من نسخة دار الكتب بالقاهرة

الورقة الأولى من نسخة دار الكتب بالقاهرة

٧١

بن مسعود رضي الله عنه قال إن القرآن أنزل على سبعة أحرف
ما منها حرف إلا له ظهر وبطن وإن علي بن أبي طالب عنده منه
علم الظاهر والباطن [illegible] من مثل ابن مسعود
[illegible]
في صحيح [illegible] .

فإن [illegible] وحده [illegible]
فلذلك خدمت هذا الكتاب أعظمهم في الزمان وأفضلهم سنة
الأوان السلطان ابن السلطان السيد الرضوي [illegible]
ابن السيد مرحوم [illegible] الحسيني العلوي [illegible]
[illegible] وخلد سلطانه وملكه [illegible]
ليعلم [illegible] منهم وإليهم ابتداء [illegible] ومرجع [illegible]
[illegible] الطيبين الطاهرين صلى
الله عليهم وعلى أصحابه أجمعين اللهم زدنا [illegible]
[illegible] وانفعنا بما علمتنا وعلمنا
ما ينفعنا وارزقنا علما نافعا وعملا متقبلا واجعل أعمالنا
خالصة لوجهك الكريم واعصمنا من الشيطان الرجيم واختم
لنا بخير برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين سبحان ربك رب العزة
عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

الورقة الأخيرة من نسخة دار الكتب بالقاهرة



صفحة العنوان الأولى من نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق

صفحة العنوان الثانية من نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق

صفحة الورقة الأولى من نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق

سنا أخبرنا الشيخ أبو علي الحسن بن أحمد الحداد أنا الإمام أبو نعيم الحافظ
حدثنا نذير بن جناح القاضي أخبرنا إسحاق بن محمد بن مروان أخبرنا
أبي أخبرنا عباس بن عبيد الله أخبرنا غالب بن عثمان الهمداني ٥
أخبرنا أبو مالك النخعي عن ... عن شقيق عن عبد الله بن مسعود رضي
الله عنه قال إن القرآن أنزل على سبعة أحرف ما منها حرف إلا له
ظهر وبطن وإن علي بن أبي طالب عنده منه علم الظاهر والباطن
وما صليت بذلك من مثل ابن مسعود إمام القرآن • والمبشر
بالجنان • وأنشد لسان حالهم • في صنيع فعالهم •
• فات الكرام إلى وصلكم(?) • ويرى لذو سعي(?) ... •
فلذلك أهديت هذا الكتاب أعلم في الزمان وأفضلهم
في الأوان • السلطان بن السلطان السيد الرضوي رضا(?) ... بن
السيد المرحوم ... أعلى الله تعالى به كلمة الإيمان
وخلد سلطانه وملكه • وعجل إلى كل عدو له هلكه •
تعليم نزل الكتاب وفيهم • وإليهم أبداً يحن ويرجع •
اللهم أمددنا من بركات أهل بيت نبيك الطيبين الطاهرين
وصل عليه وعليهم وعلى أصحابه أجمعين • اللهم زدنا فهماً في كتابك واجعلنا
من حزبك وأحبابك • وانفعنا بما علمتنا • وعلمنا ما ينفعنا • وارزقنا
علماً نافعاً وعملاً متقبلاً واجعل أعمالنا خالصة لوجهك الكريم واعذنا
من الشيطان الرجيم • واختم لنا بالخير • برحمتك يا أرحم الراحمين
•• آمين • آمين آمين • يا رب العالمين ••

الورقة الأخيرة من نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق

قسم الدراسة

الفصل الأول

حياة الإمام ابن الجزري

١ ـ اسمه وكنيته ولقبه

اسمه: هو الإمام محمد بن محمد بن محمد بن عليّ بن يوسف.

وكنيته: أبو الخير.

أما لقبه: فهو شمس الدين.

ويلقب أيضاً بـ (الشيرازي) لما ذكر من ذهابه إلى شيراز وبنائه مدرسة هناك.

وله ألقاب أخرى: (الدمشقي) لأنه ولد في دمشق.

و (الشافعي): نسبة إلى مذهبه الفقهي.

و (العربي) و(الجَزَري)(١).

---

(١) تنظر ترجمة الإمام ابن الجزري في المصادر الآتية:
١ ـ غاية النهاية في طبقات القراء ـ وهي للمؤلف نفسه: ٢/٢٤٧ ـ ٢٥١.
٢ ـ شذرات الذهب لابن عماد: ٧/٢٠٤ ـ ٢٠٦.
٣ ـ البدر الطالع للشوكاني: ٢/٢٥٧ ـ ٢٥٩.
٤ ـ الضوء اللامع للسخاوي: ٩/٢٥٥ ـ ٢٦٠.
٥ ـ الإعلان بالتوبيخ للمؤلف نفسه، ص ٢١، ١٦٥.
٦ ـ روضات الجنات، لمحمَّد باقر الموسوي، ص ٧١٩ و٧٢٠.
٧ ـ التاج المكلل، صديق حسن خان، ص ٤٦٣ و٤٦٤.
٨ ـ مفتاح السعادة، لطاش كبري زاده: ٢/٥٥ ـ ٥٧.
٩ ـ الشقائق النعمانية، للمؤلف نفسه، ص ٢٥ ـ ٣٠.
١٠ ـ قضاة دمشق، لابن طولون، ص ١٢١ و١٢٢.
١١ ـ طبقات الحفاظ، للسيوطي، ص ٥٤٩.
١٢ ـ طبقات المفسِّرين، للداودي: ٢/٥٩.
=

وقد كان لقبه الأخير أشهرها هو (الجَزَرِيّ) بفتح الجيم وفتح الزاي فكسر الراء وبعدها ياء النسب، نسبة للجزيرة[1] التي تقع شمال الموصل بالعراق وتحيط بها دجلة إلا من ناحية واحدة.

وتنسب هذه الجزيرة إلى (ابن عمر) والمعروف أنه الحسن بن عمر بن الخطاب التغلبي[2].

وذهب الواقدي في كتابه ـ فتوح الشام ـ[3] إلى أنَّ الذي تنسب إليه هذه الجزيرة هو عبد العزيز بن عمر من أهل برقعيد، وهو ما اعتبره ابن خلكان الصواب في نسبتها، ونقل رأياً آخر في نسبته إلى (أوس وكامل) ابني عمر بن أوس التغلبي[4].

أما ما ذكره الشيخ حسنين محمد مخلوف رحمه الله في مقدمة تحقيقه وشرحه لـ «عدة الحصن الحصين» للمصنف من نسبة الجزيرة إلى عبدالله ابن الخليفة عمر بن الخطاب (رض)[5] فلم أعثر له على أصل إلا أنَّ المصنّف قال في كتابه هذا: «وبنيت ثم مدينة الجزيرة، ثم نسبت إلى ابن عمر. يقال: إنَّ بعض بني عمر بن الخطاب نزلها..»[6].

= ١٣ ـ الأنس الجليل، لمجير الدِّين الحنبلي: ٢/١٠٩ و١١٠.
١٤ ـ أنباء الغمر، لابن حجر: ٣/٤٦٦ ـ ٤٦٨.
١٥ ـ الدارس في تأريخ المدارس للنعيمي: ١/٨.
١٦ ـ هدية العارفين، لإسماعيل باشا: ٢/١٨٧ و١٨٨.
١٧ ـ دائرة المعارف الإسلامية، إبراهيم خورشيد: ١/٢٣٩.
١٨ ـ الأعلام، الزركلي: ٧/٤٥.
١٩ ـ معجم المؤلفين، لكحالة: ١١/٢٩٢.

(١) وقد نسب إلى هذه الجزيرة كثير من العلماء ذكر المؤلِّف بعضهم في هذا المصنَّف.
(٢) الحسن بن عمر التغلبي: ورد ذكره سنة ٢٥٠هـ، كما قال معجم البلدان: ٢/١٣٨.
(٣) فتوح الشام للواقدي: ٢/١١٧.
(٤) وفيات الأعيان: ٣/٣٤٩ ـ ٣٥٠.
(٥) عدّة الحصن الحصين ـ بشرح حسنين محمَّد مخلوف / المقدمة.
(٦) كفاية الألمعي، الأصل ص ٣٠ ظ.

تأريخ ومكان مولده

نقل المؤرِّخون نكتة في مولده: حيث قيل: إن أباه كان تاجراً فمكث أربعين سنـة لا يـولـد له ثمَّ حجّ فشرب ماء زمزم بنية أن يرزقه الله تعالى ولداً عالماً فولد له هذا[١].

وقد اتفقت مصادر ترجمته ـ بما فيها ترجمته لنفسه ـ على أنه ولد في ليلة السبت الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة إحدى وخمسين وسبعمائة.

أما مكان مولده:

فقد ولد داخل خط القصاعين بين السورين بدمشق، كما ذكره هو فيما حققه من لفظ والده[٢].

٢ ـ نشأته وأسرته

لقد نشأ ابن الجزري وترعرع في دمشق حيث كانت الأجواء العلميَّة المحفِّزة التـي دفعتـه منـذ سـن مبكرة إلى طلب العلم والتفوّق فيه فحفظ القرآن وله ثلاث عشرة سنة، ثمَّ سمع الحديث من عدد من العلماء كما أخذ القراءات القرآنية عن مشاهيـر القـراء في دمشق، ومن ثَمَّ راح يتعمّق في دراسة القراءات وما يتعلّق بها الأمر الـذي دفعه إلى السفر والترحال للاتصال بالعلماء والأخذ عنهم، فقد رحل إلى الحجاز ومصر وبلاد كثيرة أخرى طلباً للعلم، وسيأتي تفصيله عند الكلام على رحلاته العلمية.

ولم يكتف ابن الجزري بمجال اختصاصه الذي تعمّق فيه ـ كما أسلفنا ـ بل طرق أبوابـاً علميـة متعددة دلّت عليها مصنّفاته التي سنأتي على ذكرها في الفصل الثـانـي مـن هـذه الدراسة. فقد درس علوم اللغة والفقه والأصول وعلوماً أخرى وألّف فيها جميعاً.

---

(١) الضوء اللامع: ٩/ ٢٥٥، والبدر الطالع: ٢/ ٢٥٧، والتاج المكلل، ص ٤٦٣.
(٢) غاية النهاية: ٢/ ٢٤٧.

أسـرته:

أمـا بالنسبة لأبيه فلم أعثر على ما يشير إليه بتفصيل إلاّ أنّ بعض المصادر ذكـرت أنّـه كـان تـاجـراً فلـم تـولـه العناية التي توليها عادة للعلماء وغيرهم من المشاهير.

وكان للجزري عدد من الأولاد اشتهر بعضهم بالعلم، وقد ذكرتهم المصادر المختلفة وهم:

١ ـ محمد بن محمد بن محمد بن الجزري

كنيتـه (أبـو الفتـح). ولـد سنـة ٧٧٧هـ في دمشق، ودرس على جماعة من العلماء منهـم أبـوه المصنّـف وعمـر بـن أميلة وابن هبل وأجازه عبد الرحمن بن البغـدادي وغيـره. وقـد كـان كـأبيـه مبكـراً في تلقِّي العلم، فقد أتمّ حفظ القرآن ولـه ثمـانـي سنيـن وأكمـل القـراءات فـي أول شبـابـه ثـم مـات بـالطاعون سنة ٨١٤هـ[١].

٢ ـ أحمد بن محمد بن الجزري

وكنيتـه (أبـو بكـر) ولد سنة ٧٨٠هـ بدمشق أيضاً، وقد اعتنى به أبوه حتى ختم القرآن وهو ابـن عشـر سنين وطلب العلم مبكراً كأخيه، ودرس على جماعة منهـم: أبـوه المصنف والصلاح محمد بن أحمد وأجازه ابن قاضي شهبه وغيره. وقـد طـاف فـي عدد من البلدان بصحبة أبيه حتى توفر له من العلم ما تمكن به من الجلوس للتدريس حتى شهد له أبوه بالفضل[٢].

٣ ـ محمد بن محمد بن الجزري: وهو سميّ أبيه وأخيه الأكبر

وكنيتـه (أبو الخير) ولد سنة ٧٨٩هـ، وقرأ على أخيه أحمد ثم قرأ على أبيه جملة من العلوم، وصحبه أبوه في بعض رحلاته وتلقى هناك بعض العلوم[٣].

---

(١) ترجمته في غاية النهاية: ٢/ ٢٥١، والضوء اللامع: ٩/ ٢٨٧.
(٢) غاية النهاية: ١/ ١٢٩ و١٣٠، والضوء اللامع: ٢/ ١٩٣.
(٣) المصدر نفسه: ٢/ ٢٥٢.

٤ ـ سلمى بنت محمد

وهـي المكنّـاة بـ (أم الخيـر) وهـي عالمة في فنون مختلفة شهد لها أبوها، حيث مهرت في القرآن والنحو والعروض والحديث ووصلت في الاستحضار إلى غاية لا يشاركها أحد في وقتها[1].

٣ ـ شيوخه

لقد أخذ ابن الجزري علومه عن عدد كبير من الشيوخ سواء في بلده دمشق، أم البلدان التي رحل إليها وأخذ عن علمائها.

وكان لأساتذته الأوائل أثر بالغ في توجيهه تلك الوجهة في التقصّي وسعة الاطلاع، حيث ورد في كتب التراجم وخاصة كتابه ـ غاية النهاية ـ الذي اعتمدنا عليه أساساً، أسماء كثير من الأعلام الذين أخذ عنهم مباشرة وفي مختلف العلوم؛ فمنهم من درس عليهـم كثيراً وأجازوه ومنهم من قرأ عليهم الشيء اليسير كما أنه روى بالإجازة عن آخرين من الأعلام.

وحيـث إنَّ أسـاتـذتـه كثيـرون فقـد آثـرت أن أتكلم عن بعضهم بشيء من التفصيل، وبخاصة الذين أشار إليهم هو بكثرة العطاء والتأثير فيه، أما بقية شيوخه فسأكتفي بالإشارة إلى أسمائهم والمصادر التي ترجمت لهم.

١ ـ إبراهيم بن عبدالله الحموي

وهو من أهل حماه وإليها نسب وفيها نشأ وتعلم، ثم قدم إلى دمشق ودرس التجـويد وممن أخذ عنه المصنـف وقال فيه: «لـم أر في شيوخي أعلـم منه بدقائق التجويد»[2].

٢ ـ ابن الطحان المنبجي

وهو أحمد بن إبراهيم بن داود. ولد سنة ٧٠٢هـ وقرأ على جمع من العلماء

---

(١) المصدر السابق: ١/ ٣١٠، وأعلام النساء: ٢/ ٢٥٤.
(٢) غاية النهاية: ١/ ٥٣، والدرر: ١/ ١٤٠.

منهم الحافظ أبو عبدالله الذهبي، وأخذ منه المصنف القراءات وأجازه، وقال فيه «قرأت فيه. . . ثم استأذنته في الإجازة فتفضل وأجاز ولم يكن له بذلك عادة»، توفي سنة ٧٨٢هـ[١].

٣ ـ ابن فزارة الكفري

هـو أحمـد بـن الحسين بن سليمان، قاضي قضاة دمشق، ولد سنة ٦٩١هـ وأخذ عن جمع من العلماء منهم ابن عساكر ويوسف الغسولي، وقال فيه المصنف: «وكان كثير الفضل عليَّ. . . وكان أجلّ من قرأت عليه» توفي ٧٦٦هـ[٢].

٤ ـ ابن رجب البغدادي[٣]

هو أحمد بـن رجب بن الحسن السلامي البغدادي، وقد ولد هذا العالم في بغـداد وفيهـا نشـأ. ثم رحل إلى دمشق ومصر وغيرهما، وفي دمشق قرأ عليه ابن الجزري القراءات.

٥ ـ ابن كثير

إسمـاعيـل بـن عمـر الـقرشـي ولد ٧٠١هـ، بدأ دراسته في دمشق ثم رحل لطلب العلم، فأصبح مؤرخاً فقيهـاً وله تصانيف منها: «البداية والنهاية» و «تفسير القرآن» و «شرح صحيح البخاري». وقد أذن للمصنف بالإفتاء سنة ٧٧٤هـ، كما أشار في غاية النهاية[٤].

٦ ـ ابن الجندي

هو أبو بكر بن ايدغدي الشمسي المعروف بـ (ابن الجندي) ولد في دمشق ٦٩٩هـ، وقـرأ علـى جمع من علمائها ثم ذهب إلى مصر فمكث فيها إلى أن مات سنة ٧٦٩هـ. وقد أخذ عنه المصنف القراءات وأجازه فيها سنة ٧٦٩هـ[٥].

---

(١) غاية النهاية: ١/ ٣٣.
(٢) الدرر: ١/ ١٣٣ و١٣٤، وقضاة دمشق، ص ١٩٩، والطبقات السنية: ١/ ٣٣٨.
(٣) الدرر: ١/ ١٤٠، وغاية النهاية: ١/ ٥٣.
(٤) الدرر: ١/ ٣٩٩، والشذرات: ٦/ ٢٣١، وغاية النهاية: ٢/ ٢٤٨.
(٥) غاية النهاية: ١/ ١٨٠، والدرر: ١/ ٤٧١.

٧ ـ ضياء الدين القزويني

هو ضياء الدين بن سعدالله القرمي الشافعي، أخذ العلوم من عدة علماء، ثم قدم القاهرة وولي المشيخة والتدريس، وكان ماهراً في الفقه والأصول والمعاني والبيان، توفي سنة ٧٨٠هـ.

وقد أخذ عنه المصنِّف الأصول والمعاني والبيان كما أشار في غاية النهاية[١].

٨ ـ ابن البغدادي

هو عبد الرحمن بن أحمد بن علي البغدادي الشافعي ولد ٧٠٢هـ، وسمع من علماء مصر حتى برع في علوم شتى خاصة القراءات حيث لقب بشيخ القراء. وأخذ عنه المصنف وأثنى عليه، توفي ٧٨١هـ[٢].

٩ ـ الأسنوي

هو عبد الرحيم بن الحسن بن علي الشافعي، فقيه أصولي من علماء العربية، ولد ٧٠٤هـ، ودرس في القاهرة حتى انتهت إليه رئاسة الشافعيّة، وله مصنفات: منها «التمهيد» و «نهاية السؤل»، توفي ٧٧٢هـ.

وأخذ عنه المصنف الفقه كما أشار في غاية النهاية[٣].

١٠ ـ القروي

هو عبد الوهاب بن محمد بن عبد الرحمن القروي الاسكندري ولد ٧٠٢هـ، وقرأ على جمع من العلماء، ثم قرأ عليه جماعة منهم المصنف[٤].

١١ ـ ابن السلار

عبد الوهاب بن يوسف بن إبراهيم، وهو شيخ القراء في عصره بدمشق ولد ٦٩٨هـ، أخذ القراءة والحديث بالشام ومصر وبغداد عن كثير من المشايخ، ثم

---

(١) الشذرات: ٦/ ٢٦٦، والدرر: ٢/ ٣٠٩، وغاية النهاية: ١/ ٣٦٤.
(٢) غاية النهاية: ١/ ٣٦٤، والدرر: ٢/ ٤٣١، والشذرات: ٦/ ٢٧١.
(٣) غاية النهاية: ٢/ ٢٤٨، والدرر: ٢/ ٤٦٣، والشذرات: ٦/ ٢٢٣، والأعلام: ٣/ ٣٤٤.
(٤) شذرات الذهب: ٦/ ٣٠٢، وغاية النهاية: ١/ ٤٨٢.

أخذ عنه القراءة جمع من أهل الشام منهم المصنف حيث قال فيه «هو أول شيخ انتفعت به ولازمته فأجازني وأنا مراهق دون البلوغ»[(١)]، توفي ٧٨٢هـ، ودفن عند قبر ابن تيمية[(٢)].

١٢ ـ البلقيني

هو عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكناني الشافعي، ولد سنة ٧٢٤هـ، وهو مجتهد حافظ للحديث، وقد ولي قضاء الشام سنة ٧٦٩هـ وله عدة تصانيف منها «تصحيح المنهاج» و «محاسن الاصطلاح» توفي في القاهرة ٨٠٥هـ.

وقد أذن للمصنف بالإفتاء ٧٨٥هـ[(٣)].

١٣ ـ الشريشي

وهو محمد بن أحمد البكري. ولد ٦٩٤هـ وسمع من علماء دمشق، ثم حصل على إجازات في العلوم وولي الإفتاء والتدريس وقد سمع منه المؤلف وروى عنه[(٤)].

١٤ ـ محمد بن صالح المدني

هو أبو عبدالله ـ المقرئ ـ شيخ المدينة المنورة ـ انتهت إليه القراءة في الحجاز وقد باشر الإمامة والخطابة بالمدينة زمناً وقرأ عليه المصنف ابن الجزري القراءات بالمسجد النبوي سنة ٧٦٨هـ في رحلة الحج الأولى، توفي ٧٨٥هـ.

١٥ ـ ابن الصائغ

هو محمد بن عبد الرحمن ولد بالقاهرة ٧٠٤هـ، ودرس مختلف العلوم على أعلام عصره ثم تصدر بالعربية والقراءات، وقد قرأ عليه المصنف وحصل على الإجازة[(٥)].

---

(١) غاية النهاية: ١/ ٤٨٢ ـ ٤٨٣.

(٢) شذرات الذهب: ٦/ ٢٧٥. غاية النهاية: ١/ ٤٨٢.

(٣) قضاة دمشق، ص ١٠٩، والشذرات: ٧/ ٥١، والضوء: ٦/ ٨٥.

(٤) القلائد الجوهرية: ١/ ١٥٠، والشذرات: ٦/ ٢٦٣، والدرر: ٣/ ٤٤١.

(٥) الشذرات: ٦/ ٢٤٨، والدرر: ٤/ ١١٩، وغاية النهاية: ٢/ ١٦٣.

١٦ ـ ابن المحب الصامت

هو محمد بن عبدالله المقدسي وهو كثير التحصيل خاصة في الحديث وعلومه، توفي ٧٨٩هـ.

وأخذ عنه ابن الجزري وأولاده الحديث، ووصفه في غاية النهاية قائلاً: «شيخنا وإمامنا حدّثني بكثير وقرأت عليه كثيراً»[١].

١٧ ـ البلبيسي

هو محمد بن محمد بن عمر، ولد في مصر العتيقة، وقرأ على جمع من علمائها، ثم قرأ عليه المصنف وأولاده[٢].

١٨ ـ ابراهيم بن أحمد الاسكندري

١٩ ـ أحمد بن إبراهيم الصالحي الشيرجي

٢٠ ـ أحمد بن إسماعيل المقدسي

٢١ ـ أحمد بن الحسن السويداوي

٢٢ ـ أحمد بن عبد العزيز الحراني

٢٣ ـ أحمد بن محمد الأصبحي العنابي

٢٤ ـ أحمد بن محمد بن بيبرس

٢٥ ـ أحمد بن محمد بن الخضر

٢٦ ـ أحمد بن محمد بن غلش[٣]

٢٧ ـ أحمد بن يوسف الرعيني[٤]

٢٨ ـ إسماعيل بن محمد الأندلسي الغرناطي

٢٩ ـ الحسن بن أحمد بن هلال الصرخدي

٣٠ ـ الحسن بن عبد الله السروجي

---

(١) غاية النهاية: ٢/ ١٧٥، والشذرات: ٦/ ٣٠٩.

(٢) الدرر: ٤/ ٣٢٧، وغاية النهاية: ٢/ ٢٤٥.

(٣) (١٨ ـ ٢٦) في غاية النهاية: ج١/ ص ٥، ٣٥، ٣٩، ٤٧، ٦٩، ١٢٨، ١٠٨، ١١٣، ١١١.

(٤) انظر: شذرات الذهب: ٦/ ٢٦٠، وغاية النهاية: ٢/ ٢٠٠.

٣١ ـ الحسن بن محمد النابلسي
٣٢ ـ سليمان بن يوسف الياسوفي
٣٣ ـ عبد الرحمن بن الحسين البكري
٣٤ ـ عبد الكريم بن عبد العزيز المغربي
٣٥ ـ عبدالله بن محمد العثماني
٣٦ ـ عمران بن إدريس الجلجولي
٣٧ ـ عمر بن الحسن بن أميلة المراغي[١]
٣٨ ـ محمد بن أحمد الهواري
٣٩ ـ محمد بن رافع السلامي
٤٠ ـ محمد بن عبد الرحيم السلمي[٢]
٤١ ـ محمد بن عبدالله الصفوي[٣]
٤٢ ـ محمد بن محمد الغماري
٤٣ ـ محمد بن محمد القرشي الجزري
٤٤ ـ محمد بن محمد النحاس
٤٥ ـ محمد بن محمد النسائي
٤٦ ـ محمد بن محمد الورغمي التونسي[٤]

٤ ـ تلاميذه

لقد كان لدروس ابن الجزري وخاصة في مجاله الذي اشتهر فيه (القراءات) طلّاب كثيرون نهلوا من علمه، ثم انتشر بعضهم في سائر البلدان فنفعوا وبلغ بعضهم درجات عالية في العلم، وقد شهد لهم بالفضل أستاذهم ابن الجزري.

ومن أشهرهم إضافة إلى أولاده الذين مرّ ذكرهم:

---

(١) (٢٨ ـ ٣٧) في غاية النهاية: ١/١٦٨، ٢٠٧، ٢١٩، ٢٣١، ٣٦٧، ٤٠٢، ٤٥١، ٦٠٣، ٥٩٠.
(٢) نفس المصدر السابق: ٢/٦٠، ١٣٩، ١٧١.
(٣) ترجمته في شذرات الذهب: ٦/٢٤٧، وغاية النهاية: ١/٥٩.
(٤) (٤٢ ـ ٤٦) في غاية النهاية: ٢/٢٤٤، ٢٣٦، ٢٥٥، ٢٥٣، ٢٤٣.

١ ـ ابن مصبح الحموي

هو أبو بكر بن أحمد بن مصبح الحموي، وهو مقرئ متصدِّر درس على محمد بن ميمون وعلى المصنف ابن الجزري، ثم عاد إلى حماه فدرّس فيها إلى أن مات سنة ٧٩٨هـ[١].

٢ ـ ابن الهايم الشافعي

وهو محمد بن أحمد بن محمد. ولد سنة ٧٨٠هـ، وحفظ القرآن وهو صغير. واشتغل في الفقه والعربية والقراءات والحديث ومهر فيها جميعاً، وأثنى عليه أستاذه ابن الجزري[٢].

٣ ـ ابن ميمون البلوي

وهو محمد بن محمد بن ميمون البلوي الغرناطي، وهو من أهل الأندلس وقرأ فيها علم القراءات، ثم قدم إلى دمشق سنة ٧٧٢هـ، فقرأ على ابن الجزري، ثم خرج إلى مصر ٧٨٤هـ فقرأ فيها أيضاً ثم توفي في تعز باليمن ٧٩٣هـ بعد أن أقام فيها سنين[٣].

هؤلاء العلماء من تلاميذه الذين ذكرهم هو في كتابه غاية النهاية، وقد ذكرت مصادر أخرى علماء كثيرين تتلمذوا على يده أذكر منهم:

٤ ـ إبراهيم بن عمر بن حسن السعدي الوقاصي[٤].

٥ ـ أحمد بن علي بن عمر الكلاعي الحميري[٥].

٦ ـ أحمد بن محمد بن أحمد اليمني الأشعري العبدلي[٦].

---

(١) شذرات الذهب: ٦/ ٣٥٥، وأنباء الغمر: ٣/ ٣٠٨، والأعلام: ٥/ ٣٢٩.

(٢) غاية النهاية: ١/ ١٧٩.

(٣) انظر غاية النهاية: ٢/ ٢٥٥.

(٤) الضوء اللامع: ١/ ١٠١، وشذرات الذهب: ٧/ ٣٤٢.

(٥) الضوء اللامع: ٢/ ٢٨.

(٦) المصدر السابق: ٢/ ٩٠.

٧ ـ أحمد بن محمد ابن أبي الخير الهاشمي[١].

٨ ـ حسين بن حسن القاري الشيرازي[٢].

٩ ـ حسن بن عبد الرحمن الأهدل[٣].

١٠ ـ خديجة بنت عبد الرحمن الهاشمي[٤].

١١ ـ رضوان بن محمد العقبي[٥].

١٢ ـ عبد الرحمن بن يعقوب الجاناتي[٦].

١٣ ـ عطيّة بن محمد الهاشمي[٧].

١٤ ـ فاطمة بنت تقي الدين محمد الهاشمي[٨].

١٥ ـ قاسم بن قطلوبغا[٩].

١٦ ـ محمد بن أحمد بن أبي بكر الزبيدي اليمني[١٠].

١٧ ـ محمد بن أحمد بن عبد العزيز[١١].

١٨ ـ محمد بن أحمد القيسي القسطلاني[١٢].

١٩ ـ محمد بن عبد الرحمن الكناني.

٢٠ ـ محمد بن عبد القوي البجائي المكي.

٢١ ـ محمد بن عبدالله بن موسى بن رسلان السلمي.

٢٢ ـ محمد بن عبد الوهاب اليافعي[١٣].

---

(١) معجم الشيوخ لعمر بن فهد الهاشمي/ تحقيق محمّد الزاهي: ١/ ٩٢.

(٢) الضوء اللامع: ٣/ ١٣٩.

(٣) معجم الشيوخ: ١/ ١٠٨.

(٤) معجم الشيوخ: ١/ ٣١٢، والضوء اللامع: ١٢/ ٢٨، وأعلام النساء: ١/ ٣٥.

(٥) الضوء اللامع: ٣/ ٢٢٦، وشذرات الذهب: ٧/ ٢٧٤.

(٦) الضوء اللامع: ٤/ ١٥٩.

(٧) المصدر نفسه: ٥/ ١٤٨.

(٨) المصدر نفسه: ١٢/ ١٣٧.

(٩) الشذرات: ٧/ ٣٢٦، والأعلام: ٦/ ١٤.

(١٠) الشذرات: ٦/ ٢٩٨.

(١١) تأريخ ابن قاضي شهبة: ٣/ ١٤٧.

(١٢) المصدر السابق: ٧/ ٦١، ومعجم الشيوخ: ١/ ٢١١.

(١٣) (١٩ ـ ٢٢) تأريخ ابن قاضي شهبة: ٨/ ٣٤، ٧١، ١١٥، ١٣٤.

٢٣ ـ محمد بن محمد بن ظهيره القرشي.
٢٤ ـ محمد بن محمد البلقيني.
٢٥ ـ محمد بن محمد الشهير بأبي حامد.
٢٦ ـ محمد بن محمد القسطلاني المكّي.
٢٧ ـ محمد بن محمد العقيلي النويري[١].
٢٨ ـ محمد بن محمد الهاشمي العلوي[٢].
٢٩ ـ هبة الله بنت عبدالله الحبشية: مستولدة تقي الدين[٣] محمد الهاشمي.

٥ ـ رحلاته العلمية ووفاته

لقد كان للشيخ ابن الجزري اندفاع مبكّر لطلب العلم وبذل الجهد له وتحمُّل المشاق من أجله وقد ظهر ذلك واضحاً من كثرة أسفاره للعلم حتى تاقت نفسه للسفر إلى أماكن بعيدة وقد نوى الرحلة إلى غرناطة للأخذ من أحد أعلامها فمنعه والده[٤] ورحل رحلات كثيرة إلى الحجاز ومصر وفارس وغيرها.

١ ـ رحلة الحجِّ:

لقد حجّ المصنِّف إلى بيت الله الحرام رحلات متعددة ولكن رحلته الأولى كانت مبكرة حيث كانت سنة ٧٦٨هـ، وكان له من العمر سبع عشرة سنة.

وهذه الرحلة الأولى كان هدفه منها أداء الحج والتزود بالعلم كما ذكر في كتابه «غاية النهاية» حيث قرأ بعض العلوم على الشيخ (محمد بن صالح) الخطيب والإمام بالمدينة المنوّرة[٥].

أمَّا بقيَّة رحلاته إلى الحج فقد كانت في مرحلة بلغ فيها رتبة علميَّة أهّلته لإلقاء الدروس في مكة المكرمة والمدينة المنورة حيث اجتمع حوله جمع من

---

(١) (٢٣ ـ ٢٧) تراجمهم في الضوء اللامع: ٩/ ٢١٤، ١٧١، ٢١٠، ٤، ١٤٣.
(٢) المصعد الأحمد، ص ٥٥، والضوء اللامع: ٩/ ٢٨١.
(٣) معجم الشيوخ: ١/ ٤٠٧.
(٤) غاية النهاية: ٢/ ٢٨٥.
(٥) المصدر نفسه: ٢/ ٢٥٠ و٢٥١.

طلبة العلم الذين أخذوا عنه وانتفعوا بعلمه، وقد ذكر عمر بن فهد الهاشمي في معجم شيوخه عدداً كبيراً منهم وترجم لهم[1].

٢ ـ رحلاته إلى مصر

وقد رحل إلى الديار المصريَّة عدَّة رحلات أيضاً كانت الأولى سنة ٧٦٩هـ وهو لم يكمل العشرين فقرأ على عددٍ من علمائها كابن الجندي وابن الصائغ.

ثمَّ رحل إلى مصر رحلات أخرى كانت منها رحلته التي أخذ فيها الأصول والمعاني والبيان على الشيخ ضياء الدين القزويني. وكان خلال تلك الرحلات دارساً ثم مدرِّساً حتى بلغ الصدارة في القراءات حيث أخذ عنه جمع من أعلام مصر[2].

٣ ـ رحلته إلى بلاد الروم

بعد أن تعرَّض للأذى في مصر خرج سنة ٧٩٨هـ فنزل بمدينة (برصه) واحتفى به أهلها فنصب فيها مجلساً للدرس فالتف حوله جمع من أهل العلم.

٤ ـ رحلته إلى ما وراء النهر:

بعد اضطراب الأوضاع السياسيَّة في بلاد الروم انتقل إلى ما وراء النهر فنزل مدينة (كش) ثم (سمرقند) فأخذ عنه عدد من العلماء. ثم انتقل إلى (خراسان) و (هراة) فأخذ عنه عدد من أهلها ثم انتقل إلى (يزد) فبثَّ علمه. ثم انتقل إلى (شيراز) سنة ٨٠٨هـ، فقرأ عليه جمع من العلماء كذلك.

٥ ـ رحلته إلى البصرة

بعد أن ساءت ظروف البلاد فيما وراء النهر خرج قاصداً البصرة فأخذ عنه هناك عدد من طلَّاب العلم.

٦ ـ رحلته إلى نجد

ثم رحل إلى نجد في طريقه إلى الحج فاختطفه الأعراب ثم أطلقوه، فمكث

---

(١) انظر معجم الشيوخ للهاشمي: ١/ ٩٢، ١٠٨ وغيرها.

(٢) غاية النهاية: ٢/ ٢٤٧ ـ ٢٥١.

في (عنيزة) من بلاد نجد فكتب ودرس ثم انتقل إلى المدينة المنورة ثم إلى مكة المكرمة، وجاور فيها فدرس عليه أهل العلم كما سبق الكلام[١].

٧ ـ رحلته إلى اليمن

وقد بقي متنقلاً بين مصر والشام إلى أن عزم على الحج مرة أخرى فحجَّ ثم سافر في البحر إلى اليمن في تجارة فجلس للتدريس مدة هناك فاحتفي به وأخذ عنه، ثم عاد إلى الحج سنة ٨٢٨هـ.

وله رحلات أخرى إلى الهند والعراق وفارس ذكرتها المصادر دون تفصيل.

وفاته

وأخيراً خرج من القاهرة على طريق الشام ماراً بالبصرة قاصداً شيراز التي كان قد أسس فيها مدرسة (دار القرآن) فمكث هناك إلى أن أدركته الوفاة سنة ٨٣٣هـ، فشيِّع تشييعاً مهيباً حضره خلق كثير بينهم العلماء ودفن في مدرسته بشيراز.

٦ ـ نظمه للشعر

لم يكن الشيخ الجزري شاعراً حسب المقاييس التي يعرف بها الشعراء من الحسِّ المرهف والخيال الواسع وغيره، فأغلب شعره يفتقر إلى مقوِّمات الشعر، ولا تعدو أكثر مجموعاته الشعريَّة أن تكون من قبيل النظم التعليمي الذي لا يصدر عن العاطفة ولا يتعامل معها.

وليس غريباً فيه ممارسة النظم في تلك الأغراض التعليميَّة جرياً على طريقة أسلافه من العلماء الذين حباهم الله سبحانه القدرة على صياغة العلوم بأسلوب شعري يقرِّب الفكرة إلى الأذهان ويسهِّل حفظها وتداولها بين المتعلمين.

لقد نظم ابن الجزري في مختلف العلوم فمما نظم في التجويد: المقدمة الجزرية وهي في عشرة ومائة بيت، وله في القراءات عدة منظومات أوسعها

---

(١) غاية النهاية: ٢/٢٤٨ ـ ٢٥١.

طيبة النشر التي بلغت أبياتها الألف، وغيرها. وكان نظمه في القراءات هو الأغزر لأنه يمثِّل اختصاصه، وله في علوم الحديث كالهداية في فنون الحديث وله في مجالات أخرى منظومات أخرى أتينا على ذكرها في مصنفاته.

ولابن الجزري أشعار أخرى متفرقة في مصنفاته أو غيرها في أغراض مختلفة إلاّ أنها في الغالب لا تتعدى الأبيات القليلة من الشعر الذي اتصف بعضه بالرقّة والعذوبة. وهذه نماذج من هذا الشعر:

منه قوله في مدح الشيخ بهاء الدين السبكي:

إمـام يكـادُ الصّخـر يَعْنُـو لِـوَعْظِـهِ ... إذا مـا عَـلا عُـودَ المَنَـابـرِ أورَقَـا[١]

وفي هذا البيت من فنون البلاغة: تورية في (أورقا).

ومنه قوله في خطبة فتاة يتيمة:

منيعـــة ستـــر بكـــرُ دُرٍّ يَتيْمَـــة ... فَلاَ غرو أن قَاضي القُضَاةِ لَهَا وَلي[٢]

وفيه أربعة أوجه من التورية في (لها ولي).

ومن شعره البليغ:

مـا زلْـتُ فـي هَـمٍّ وَغَـمٍ وَعَنَـا ... إن كـانَ مـا بـي بـالـوزيـر يَنْجَلِـي
أقُـولُ زَالَ الجَـوْرُ يـا دهـرُ اتّئـد ... إنِّـي استغَثْـتُ صَـارخـاً يـا لعلـي[٣]

وفي هذا البيت (إيهام) فالمعنى القريب (الدعاء) والبعيد وزير اسمه (علي).

وقال في السلطان (رضاكيا) مادحاً وقد رصّعه بفنون البلاغة:

حَبيبـةُ قَلْبـي إنّنـي فيـكِ مُغْـرَمٌ ... أسيرُ هَـوى مـا للعـذول وَمَـا ليـا
فـإن تَصِلِـي أو تَهْجُـري فـأنـا امـرؤ ... رِضَايَ وَحُبِّي والهَوا في رِضَاكِيا[٤]

---

(١) كفاية الألمعي ـ الأصل ـ ص ٥٠ ظ.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه، ص ٥١ ظ.
(٤) المصدر السابق، ص ٥٠ ظ.

وفيه يقول أيضاً:

وإنِّـي امـرؤ أَحببتـه لفضـائـلِ   سَمِعْتُ بها والأذن كالعَيْنِ تَعْشَق[1]
وَقَـالَـتْ لـي الآمـال إنّ رضـاكيـا   إذا رُمـت مَغْنَـاه فـأنـت المُـوفّـق

وعندما أنشده صاحبه يحيى الضرير هذا اللغز:

ألا أيـن يـروي نجـل غلبـون سكتـة   ونقـلا عـن الـزيّـات وقفا وموصلا
وذا كلّـه قـد جـاء فـي فـرد كلمـة   فـأفتـون فـي رؤيـاي يـا أيهـا المـلا

أجابه المصنِّف من نظمه:

لَقَدْ غُصْتَ يا ذا الحَبْرِ في البَحْرِ معجزا   وجئـت بـدُرٍّ زان نظمـا مفصّـلا
بالإفتاء في المقصود فلينظر الفتى   يجـد كلّمـا ألغـزت حيـث تـأمـلا[2]

ومن قصيدة له يلغز فيها بـ (فيل):

أيّهـا اسـم علـى ثـلاث حـروف   وهـو ذو أربـع بشكـل مهـول
قـد بـراه الإلـه خلقـاً سـويـاً   فهـو ذو قـوّة وبطـش جليـل
تـرهـب النـاس كلّهـم مـن سطـاه   إن يَمِـلْ نَحْـوَهـم بشـيءٍ طـويـل
ذِكْـرُهُ جـاء فـي القـرآن صـريحـاً   واسمـه بـاسـم صـاحـب وخليـل
وَتَـرَى قَلْبَـهُ يَكُـوْنُ نَبَـاتـاً   فـي ريـاض الجنّـات بيـن النخيـل[3]

(١) المصدر نفسه، ص ٤ و.
(٢) الذيل على رفع الأصر، ص ٤١٥.
(٣) غاية النهاية: ٢/ ٣٧٠ و٣٧١.

الفصل الثاني
مؤلّفاتـه

لقد شملت مصنَّفاته ميادين متعدِّدة كان قد أولاها اهتمامه. منها: الدِّراسات القرآنية، والدِّراسات الحديثيَّة، والتَّأريخ، والسير، والتَّراجم، والفقه، وعلوم اللُّغة، والأخلاق، والأدعية، وغيرها.

أوَّلاً ـ الدِّراسات القرآنية

ولم تقتصر دراساته القرآنيَّة على مجال واحد بل شملت التفسير والتجويد والقراءات القرآنية، ولكن هذا المجال الأخير استحوذ على جلِّ اهتمامه حتَّى اشتهر به وعُدّ من كبار من ألَّف فيه.

١ ـ (البيان في خط عثمان)

وعُدّ في هدية العارفين ضمن مؤلّفاته[١].

٢ ـ بيان متشابه القرآن بما ترك الملحد في ضلاله حيران[٢].

٣ ـ (الطرائف في رسم المصاحف)

وهو مذكور في هدية العارفين[٣].

٤ ـ (فضائل القرآن)

وهو في هدية العارفين أيضاً[٤].

٥ ـ (كفاية الألمعي في آية يا أرض ابلعي)

وهو الكتاب الذي عَنيت بتحقيقه اعتماداً على نسختين مخطوطتين.

---

(١) هدية العارفين: ٢/ ١٨٧.
(٢) كفاية الألمعي ـ نسخة الأصل، ص ٣٧ ظ و٧٢ و.
(٣) هدية العارفين: ٢/ ١٨٧.
(٤) المصدر السابق.

٦ ـ **الاعلام في أحكام الادغام**

وهو كتاب شرح فيه أرجوزة أحمد المقري أوّلها «الحمد والشكر بغير حصر» ذكره في كتابه غاية النهاية وذكره كشف الظنون وهدية العارفين[١].

٧ ـ **الاهتداء إلى معرفة الوقف والابتداء**[٢]

وهو مذكور في دائرة المعارف الإسلاميّة. وفي هدية العارفين.

٨ ـ **التمهيد في علم التجويد**

وقد انتهى من تأليفه عام ٧٦٩هـ، وتوجد نسخة منه في المكتبة الأهلية بباريس رقم ٥٩٢، وطبع في القاهرة سنة ١٣٢٦هـ[٣].

٩ ـ **المقدمة الجزرية**

أولها:

«يَقُولُ رَاجِي عَفْوَ رَبٍّ سَامِعِ   مُحَمَّدُ بنُ الجَزَرِي الشَّافِعِي»

وهي أرجوزة في عشرة ومائة بيت طبعت عدة طبعات في القاهرة منها سنة ١٣٠٧هـ. وأعيد طبعها بعناية الشيخ علي محمد الضباع سنة ١٣٥٤هـ في مطبعة البابي الحلبي، وقد تصدّى لشرحها عدد من العلماء منهم:

ولده: أبو بكر أحمد المتوفَّى سنة ٨٢٧هـ وسمّى شرحه «الحواشي المفهمة في شرح المقدّمة» وهي مطبوعة بمصر ١٣٠٩هـ.

والشيخ زكريا الأنصاري المتوفَّى ٩٢٦هـ وسمّى شرحه «الدقائق المحكمة بشرح المقدّمة».

وملاّ عليَ القاري وسمّاه «المنح الفكرية في شرح المقدّمة الجزرية»

---

(١) غاية النهاية: ١/ ٨٣، وهدية العارفين: ٢/ ١٨٧، وكشف الظنون: ١/ ١٢٨.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية: ٢/ ٢٤٠، وهدية العارفين: ٢/ ١٨٧.

(٣) المصدر نفسه.

وشرحها الشيخ خالد الأزهري أيضاً المتوفى ٩٠٥هـ بحواشيه المسماة «الحواشي الأزهرية في حلّ ألفاظ المقدّمة الجزرية»، وتوجد نسخة منها في مكتبة الأوقاف ببغداد[١].

القراءات

لقد كان له في مجال القراءات باعٌ طويل لأنّه ـ كما أسلفنا ـ مجال تخصُّصه فقد نظم في القراءات شعراً كثيراً، وألّف فيها كتباً كما ألَّف في تراجم المقرئين أيضاً.

ومن منظوماته:

١٠ ـ الدرّة المضية في القراءات الثلاث المرضيّة.

أولها:

قُلِ الحَمْدُ لله الذي وَحْدَه علا ومجِّده واسْأَل عَوْنَهُ وَتَوَسّلا

وهي في واحد وأربعين ومائتي بيت، وقد انتهى منها سنة ٨٢٣هـ، وطبعت بالقاهرة ١٣٠٨هـ ثم أعيد طبعها ١٣٥٤هـ، بمطبعة البابي بعناية الضبّاع.

١١ ـ طيبة النشر في القراءات العشر

أولها:

قَالَ مُحَمَّدٌ هُو ابن الجُزَري يَا ذا الجَلال ارْحَمْهُ واسْتُر واغفر

وهي منظومة من بحر الرجز في ألف بيت عن القراءات العشر، انتهى من نظمها في شعبان ٧٩٩هـ. وقد طبعت بالقاهرة ١٣٠٧هـ، وأعيد طبعها بعناية الشيخ علي محمّد الضبّاع في مجموعة (إتحاف البررة).

وقد شرحها عدد من العلماء منهم ولده أحمد كما شرحها الشيخ محمد النويري المالكي المتوفَّى ٨٥٧هـ.

---

(١) فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف ببغداد: ١/ ٢٦.

١٢ ـ لامية من البحر الطويل

وهي في واحد وأربعين بيتاً تحتوي على أربعين مسألة من معضلات القراءات، وتوجد نسخة منها في مكتبة برلين برقم ٥٢٦[١].

١٣ ـ نظام الطيبة

وهي منظومة في القراءات الشاذَّة.

ومخطوطتها في مكتبة الأوقاف المركزية بالسليمانية في العراق برقم ـ مجاميع ٦٨٩ ـ ٦٩٠ وناسخها درويش الرومي ٨٣٦هـ، وخطها ثلث[٢].

١٤ ـ الهداية إلى معالم الرواية

وهي منظومة من سبعين وثلاثمائة بيت من بحر الرجز عن تناقل الروايات في القراءات بين طبقات القراء، ذكرتها دائرة المعارف الإسلاميَّة ضمن مؤلَّفاته[٣].

١٥ ـ هداية المهرة في زيادة العشرة

وهي منظومة في القراءات أيضاً وتوجد مخطوطتها في مكتبة (أيا صوفيا) برقم ـ ٣٩[٤].

وله كتب في القراءات منها:

١٦ ـ التتمة في القراءات[٥]

وهي مذكورة في دائرة المعارف الإسلاميَّة.

١٧ ـ تحبير التيسير

وهو شرح لكتاب التيسير للداني[٦] في القراءات السبع، وقد أضاف إليه

---

(١) انظر دائرة المعارف الإسلامية: ١/ ٢٤٠.

(٢) فهرست مخطوطات مكتبة الأوقاف بالسليمانية: ٢/ ٦٢، وكشف الظنون: ٢/ ١٣٢٣.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية: ١/ ٢٤٠.

(٤) طبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٦٠ وسمّاه «غاية المهرة في الزيادة على العشرة» ودائرة المعارف الإسلامية: ١/ ٢٤٠.

(٥) المصدر السابق.

(٦) الداني: هو أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان، نحويٌّ مقرىء، له كتاب «التيسير» في القراءات، =

الجـــزري القــراءات الثــلاث وسمّــاه التحبيــر، أولــه «الحمــد لله علــى تحبيــر التيسير..».

وتوجد نسخة منه في مكتبة المسجد الأقصى، ونسخة أخرى في دار الكتب الشعبية ببلغاريا[١].

وقد ورد في هدية العارفين باسم «التقريب في شرح التيسير» ضمن مؤلفات ابن الجزري ولعلّه نفس الكتاب[٢].

١٨ ـ تقريب النشر في القراءات العشر

وهو مختصر لكتابه النشر، وقد طبع بالقاهرة سنة ١٩٦١م، بتحقيق إبراهيم عطوة عوض في مطبعة البابي.

١٩ ـ رسالة في الوقف على الهمز لحمزة وهشام

وهي رسالة في تسع ورقات بالمكتبة الظاهرية[٣].

٢٠ ـ منجد المقرئين ومرشد الطالبين

وهي رسالة في سبعة أبواب عن أهمية القراءات، فرغ من تأليفه سنة ٧٧٣هـ وهـو مطبـوع بعناية محمد الشنقيطي وأحمد محمد شاكر، وله طبعة أخرى بتحقيق عبد الحي بمطبعة القدسي ١٣٥٠هـ.

٢١ ـ النشر في القراءات العشر

وهو يبحث في الطرق المتواترة عن رواة القراءات العشر.

وقـد طبـع بمطبعـة توفيق سنة ١٣٤٥هـ بتصحيح محمد دهمان، وطبع في القاهرة بمطبعة مصطفى بتصحيح علي محمد الضباع.

= مطبوع في حيدر آباد الدكن بالهند سنة ١٣١٦هـ، ترجمته في الأعلام: ٢٠٦/٤.

(١) فهرس مخطوطات مكتبة المسجد الأقصى: ٧/١. فهرس المخطوطات العربية، في دار الكتب الشعبية ببلغاريا: ١٤٢/١.

(٢) هدية العارفين: ١٨٧/٢.

(٣) فهرس مصورات جامعة الملك عبد العزيز بجدة/ قراءات، ص ٢٣٦. والمخطوطة ضمن مجموعة برقم (٥٤٦٥) الظاهرية.

ثانياً ـ مؤلفاته في الحديث وعلومه

٢٢ ـ الأولويَّة في أحاديث الأوليَّة[١]

وهو مذكور في الضوء اللامع وهدية العارفين.

٢٣ ـ بداية الهداية في علوم الحديث والرواية

وقد اختلفت المصادر في تسميته؛ فقد ورد في الضوء اللامع «البداية في علوم الرواية»[٢].

٢٤ ـ تذكرة العلماء في أصول الحديث[٣].

وهو في هدية العارفين ضمن مؤلفاته.

٢٥ ـ التوضيح في شرح المصابيح

وهو في ثلاث مجلدات شرح فيه «مصابيح السنة» للإمام البغوي. ذكره صاحب كشف الظنون ضمن «شروح مصابيح السنة»[٤].

٢٦ ـ الجمال في أسماء الرجال

وذكر في فهرس الفهارس والإثبات ضمن مؤلَّفاته[٥].

٢٧ ـ عقد اللآلي في الأحاديث المسلسلة العوالي

وقد انتهى من تأليفه بشيراز ٨٠٨هـ، وتوجد نسخة منه في المكتبة الأهلية بباريس برقم ٤٥٧٧/ ٣[٦].

---

(١) الضوء اللامع: ٩/ ٢٥٧، وهدية العارفين: ٢/ ١٨٧.

(٢) كشف الظنون: ٢/ ٢٠٢٨ وفيه «الهداية إلى علوم الدراية».
الضوء اللامع: ٩/ ٢٥٧ وفيه «البداية في علوم الرواية».

(٣) هدية العارفين: ٢/ ١٨٧.

(٤) كشف الظنون: ٢/ ١٦٩٩، والضوء اللامع: ٩/ ٢٥٧، فهرس الفهارس والإثبات: ١/ ٣٠٥.

(٥) فهرس الفهارس: ١/ ٣٠٥.

(٦) دائرة المعارف الإسلامية: ١/ ٢٤٠.

٢٨ ـ **القصد الأحمد في رجال أحمد**

ذكر في الضوء اللامع وإيضاح المكنون وهدية العارفين[١].

٢٩ ـ **المسند الأحمد فيما يتعلق عند أحمد**

عدّ ضمن مؤلّفاته في الضوء اللامع وهدية العارفين[٢].

٣٠ ـ **المصعد الأحمد في ختم مسند الإمام أحمد**

وهو كتاب صغير يبحث في فضل المسند وفضل جامعه وسلسلة الإسناد إليه.

وقد طبعه الخانجي بمطبعة السعادة سنة ١٣٤٧هـ، ثم ألحقه أحمد محمد شاكر بالمسند في المقدمة[٣].

٣١ ـ **مقدمة علم الحديث**

وهي مخطوطة محفوظة في مكتبة برلين برقم ١٠٨٤[٤].

٣٢ ـ **الهداية في فنون الحديث**

وهي منظومة في فنون الحديث ومصطلحاته.

مذكورة في الضوء اللامع[٥].

ثالثاً: مؤلَّفاته في السير والتَّراجم والتَّأريخ

٣٣ ـ **أسنى المطالب في مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام**

وهو كتاب يذكر فيه صفات الإمام علي عليه السلام، وما ورد فيه من الأحاديث.

وقد طبع بالمطبعة الميرية بمكة المكرّمة سنة ١٣٢٤هـ.

---

(١) هدية العارفين: ٢/ ١٨٨، إيضاح المكنون: ٢/ ٢٢٧، الضوء اللامع: ٩/ ٢٥٧.

(٢) الضوء اللامع: ٩/ ٢٥٧، وهدية العارفين: ٢/ ١٨٨.

(٣) مسند الإمام أحمد ـ تحقيق أحمد محمَّد شاكر. والأعلام: ٧/ ٤٥.

(٤) دائرة المعارف الإسلامية: ١/ ٢٤٠.

(٥) الضوء اللامع: ٩/ ٢٥٧.

٣٤ ـ الإعلام بتأريخ الإسلام.

وقد أشار إليه في كفاية الألمعي[١].

٣٥ ـ التعريف بالمولد الشريف.

ويبحث في مولد الرسول ﷺ.

ذكره في الضوء اللامع وكشف الظنون[٢].

٣٦ ـ تكملة ذيل التقييد لمعرفة رواة السنن والأسانيد

ذكره في هدية العارفين ضمن مؤلفاته[٣].

٣٧ ـ جامع الأسانيد في القراءات

ذكر فيه أسانيده في قراءة القرآن.

أوله: «أما بعدُ حمداً لله الذي جعل الإسناد من أركان الدِّين».

كُتِبتْ سنة ٩٤٢هـ، وتقع في ٧٣ ورقة، وهي موجودة في دار المثنوي برقم ١١[٤].

٣٨ ـ الدرجات العليّة في طبقات علماء الحنفيّة

توجد مخطوطته في مكتبة أحمد الثالث برقم ٢٨٣١.

وذكر في مقدمتها أنَّ شيخه عبد القادر بن محمد القرشي المصري كتب مسودة في طبقات الحنفيَّة، فأخذها هو وحرَّرها وأضاف إليها ما أهمله[٥].

---

(١) كفاية الألمعي، نسخة الأصل، ص ١٢ و.

(٢) كشف الظنون: ٢/١٩١٠، والضوء اللامع: ٩/٢٥٧.

(٣) هدية العارفين: ٢/١٨٧.

(٤) نوادر المخطوطات العربية في مكتبات تركيا، رمضان ششن: ١/٤٠٦.

(٥) ذكر صاحب كشف الظنون «الجواهر المضية في طبقات الحنفية للشيخ عبد القادر القرشي الحنفي المتوفى ٧٧٥هـ ولم يشر إلى ابن الجزري أنه شرحه».
كشف الظنون: ١/٦٦٦ و٢/١٠٩٧.

٣٩ ـ ذات الشفاء في سيرة النبي والخلفاء

وهي أرجوزة في سيرة النبي ﷺ والخلفاء الراشدين، ولمحة سريعة في تأريخ المسلمين إلى عهد السلطان بايزيد، وفتح الترك القسطنطينية، وقد ألَّفها نزولاً على رغبة أمير شيراز (بير محمد) سنة ٧٩٨هـ.

ذكرتها دائرة المعارف الإسلامية نقلاً عن ملحق المتحف البريطاني رقم ٥١٥[١].

وتوجد نسخة منها في (لاله لي) برقم (٢٠٤٠) كتبت سنة ٩٤٠هـ، ونسخة أخرى في (لا لا اسماعيل) برقم ٣٧٥ كتبت ١١٩٩هـ، ونسخة في برلين برقم ٩٦٩٢.

أولها:

(قال محمد هو ابن الجزري   الحمد للمهيمن المقتدر)

ثم قال:

(سميتها تفاؤلاً ذات الشفا   في سيرة النَّبي ثمّ الخلفا)

٤٠ ـ ذكر أسانيد كتب جماعة من العلماء وشيء من أحاديثهم

وفيه فائدة في معرفة كثير من الكتب ومعرفة سندها وشيء من حياة مؤلفيها.

ورد ذكره في فهارس المخطوطات العربية المصورة ضمن مخطوطات جامعة برنستون / مجموعة جازيت[٢].

٤١ ـ الذيل على طبقات القرَّاء للذهبي[٣]

ذكر في الأنس الجليل والإعلان بالتوبيخ ضمن مؤلّفات الجزري[٤].

---

(١) دائرة المعارف الإسلاميَّة: ١/ ٢٤٠، وهدية العارفين: ٢/ ١٨٨، ومعجم المؤرِّخين الدمشقيين، للمنجد، ص ٢٣٣.

(٢) فهارس المخطوطات العربية المصوّرة: ٢/ ٤٩، جمع محمَّد عدنان بخيت وجماعة.

(٣) الذهبي: الإمام الحافظ شمس الدين محمَّد بن أحمد المصري، له تأريخ كبير في اثني عشر مجلداً جمع فيه الحوادث والوفيات وله كتاب في طبقات القراء أخذه من تأريخه الكبير، توفي سنة ٧٤٦هـ. ترجمته في الأعلام: ٥/ ٣٢٦.

(٤) الأنس الجليل: ٢/ ٤٥٤، والإعلان بالتوبيخ، ص ٢٤٤.

٤٢ ـ الذيل على مرآة الزمان للنووي[١]

وخلال بحثي في المصادر واطّلاعي على كتاب الكواكب الدريّة لابن قاضي شهبة وجدته يشير إلى ذيل المرآة لابن الجزري وينقل عنه. مما يدل على أنّ هذا الكتاب كان متداولاً، وقد ذكره صاحب هدية العارفين[٢].

٤٣ ـ الرسالة البيانية في حق أبوي النبي ﷺ

وهو في هدية العارفين[٣].

٤٤ ـ الزهر الفائح فيمن تنزّه عن الذنوب والقبائح ﷺ

وهو يبحث في سيرة سيد المرسلين وصفاته.

وقد طبع في مصر بالمطبعة العثمانيَّة سنة ١٣٠٥هـ.

٤٥ ـ عرف التعريف بالمولد الشريف

وهو مختصر (التعريف) الذي مرّ ذكره.

٤٦ ـ عون التعريف

وهو مختصر (التعريف) أيضاً [٤].

٤٧ ـ غاية النهاية في طبقات القراء

وهو مطبوع بعناية ج برجستراسر في مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٥١هـ.

وقال الجزري في مقدّمته: «اختصرت فيه كتاب طبقات القرّاء الكبير»[٥].

٤٨ ـ مختصر «تأريخ الإسلام» للذهبي[٦].

وتوجد نسخة مخطوطة منه في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة،

---

(١) (مرآة الزمان في تأريخ الأعيان) للإمام محيي الدِّين النووي وقد رتبه على فصول وأبواب. انظر كشف الظنون: ٢/١٦٤٨.

(٢) هدية العارفين: ٢/١٨٨.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) وهي مذكور في الضوء اللامع: ٩/٢٥٧، وهدية العارفين: ٢/١٨٨.

(٥) غاية النهاية، المقدمة: ١/٣.

(٦) (تاريخ الذهبي) هو كتاب كبير في اثني عشر مجلداً جمع فيه الحوادث والوفيات ـ مطبوع.

نسخها مؤيد زاده سنة ٩٠٠هـ وهي في ٥٧٨ ورقة ولخّص فيها تأريخ الذهبي من سنة ١ ـ ٧٠٠هـ وانتهى منه سنة ٧٩٨هـ. وقد اطلعت عليها وهي في حالة جيدة، وقد كُتبت بخط واضح[1].

٤٩ ـ المولد الكبير

وهو في سيرة النبي ﷺ[2] أيضاً.

٥٠ ـ نهاية الدرايات في أسماء رجال القراءات

قال عنه: «سمَّيته نهاية الدرايات في أسماء رجال القراءات وأتيت فيه على جميع ما في كتابي الحافظين أبي عمرو الداني وأبي عبدالله الذهبي رحمهما الله وزدت عليهما نحو الضعف»[3]

رابعاً ـ علوم اللُّغة

٥١ ـ الإصابة في لوازم الكتابة[4]

وتوجد مخطوطتها في مكتبة برلين برقم ٦.

٥٢ ـ الجوهرة في النحو[5]

٥٣ ـ حاشية على (الإيضاح) للقزويني[6]

وهي في المعاني والبيان[7].

---

(١) مكتبة عارف حكمت رقم عام ٣٧٩٠ تصنيف ٩٠٠/٤٤، والإعلان بالتوبيخ هامش ٢١، والأنس الجليل: ٢/١٠٩، وكشف الظنون: ١/ ٢٩٥.

(٢) هدية العارفين: ٢/ ١٨٧.

(٣) انظر هامش رقم (٥) في الصفحة السابقة.

(٤) انظر دائرة المعارف الإسلامية: ١/ ٢٤٠.

(٥) انظر الضوء اللامع: ٩/ ٢٥٨، وكشف الظنون: ١/ ٦٢١.
وطبقات المفسرين: ٢/ ٦٠، وهدية العارفين: ٢/ ١٨٧.

(٦) القزويني: هو محمَّد بن عبد الرحمن ولد في الموصل ٦٦٦هـ ومن كتبه تلخيص المفتاح و(الإيضاح) توفي ٧٣٩هـ، الاعلام: ٦/ ١٩٢.

(٧) انظر: معجم المؤلفين: ١١/ ٢٩٢، وكشف الظنون: ١/ ٢١١، وهدية العارفين: ٢/ ١٨٧.

٥٤ ـ **كاشف الخصاصة عن ألفاظ الخلاصة**

وهـو شرح ابن الجزري على الألفيّة لابن مالك ويشتمل على أربعة وسبعين باباً أوّله: «الحمد لله الذي خلق الإنسان...» الخ، وفي آخره خاتمة في الكلام على النحـو تشتمـل علـى خمسـة أوجه ومخطوطته في دار الكتب المصرية برقم ٩٩٠ نحو[١].

خامساً: الأصول والفقه وما يتعلّق به

٥٥ ـ **الإبانة في العمرة من الجعرانة**

٥٦ ـ **الإجلال والتعظيم في مقام إبراهيم**

٥٧ ـ **أحاسن المنن**

٥٨ ـ **التكريم في العمرة من التنعيم**[٢]

٥٩ ـ **منهاج الأصول للبيضاوي**[٣]

٦٠ ـ **غاية المنى في زيارة منى**

٦١ ـ **فضل حراء**[٤]

سادساً ـ الأدعية والأخلاق

٦٢ ـ **الحصن الحصين**

وجمـع فيـه المصنّـف الأدعية الواردة في كتب الحديث وقد طبع في الهند/ دهلي بمطبعة المجد آبادي ١٣٣١هـ.

---

(١) انظر: فهرست الكتب العربية الموجودة في دار الكتب: ٢/ ١٥٠.
(٢) انظر هدية العارفين: ٢/ ١٨٧، والضوء اللامع: ٩/ ٢٥٧.
(٣) البيضـاوي: هـو عبدالله بـن عمـر الشيرازي. قاض مفسر ولد في قرب شيراز ثم ولي قضاءها توفي ٦٨٥هـ.
من مـؤلّفـاتـه: (منهـاج الـوصـول إلى علم الأصول) وهو مطبوع انظر الأعلام: ٤/ ١١٠، ومعجم المؤلّفين: ٦/ ٩٧.
(٤) انظر هدية العارفين: ٢/ ١٨٨.

٦٣ ـ سلاح المؤمن

وهو في الأدعية أيضاً [١]

٦٤ ـ عدة الحصن الحصين من كلام سيِّد المرسلين ﷺ

وهو مطبوع بشرح حسنين محمد مخلوف بمطبعة لجنة البيان العربي سنة ١٩٦١هـ.

وشرحه أيضاً القاضي الشوكاني وسمّاه (تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين) وطبعته مكتبة المتنبي بالقاهرة.

٦٥ ـ مختصر الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين [٢]

٦٦ ـ مختصر النصيحة بالأدلة الصحيحة

وهي رسالة في الأخلاق تعتمد على الحديث [٣].

٦٧ ـ مفتاح الحصن الحصين

وهي حاشية على الحصن الحصين [٤].

سابعاً ـ كتب أخرى

٦٨ ـ الاعتراض المبدي لوهم التاج الكندي [٥]

٦٩ ـ منظومة في الفلك في ٥٢ بيتاً من الرجز [٦]

---

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر فهرست مخطوطات الأوقاف ـ جمع عبدالله الجبوري: ٢/ ٤٨٦.

(٣) فهرست دار الكتب المصرية: ٧/ ٦٤.

وفي (هدية العارفين) (مختار النصيحة بالأدلة الصحيحة) ولا بعد أن يكون نفس الكتاب والاختلاف في العنوان.

انظر هدية العارفين: ٢/ ١٨٧.

(٤) انظر الأعلام: ٧/ ٤٥.

(٥) انظر دائرة المعارف الإسلامية: ١/ ٢٤٠.

(٦) هدية العارفين: ٢/ ١٨٨.

٧٠ ـ منظومة في لغز

أولها:

يَـا وَاحِـداً قَـدْ شَـاعَ فينَـا ذِكْـرُهُ وَقَـدْ عَـلا فـي العـالميـنَ قَـدْره

قالها سنة ٨٢٧هـ وعليها جواب لولده أحمد، أوله:

يَـا عَـالمـاً طَـال بَقـاءُ عُمـره وشَمْـسُ ديـنٍ استهـلَ بَـدره[١]

(١) فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف ببغداد: ٣/ ١٧٢.

الفصل الثالث

دراسة تحليليَّة لكتاب «كفاية الألمعي»

١ ـ زمن تأليفه

ليس بين يديّ دليل على سنة محدّدة لتأليف الكتاب حيث لم أعثر على ما يشير إليه، ولم تسعفني المصادر بشيء من ذلك.

والذي يبدو لي أنه وضع الكتاب بداية القرن التاسع أو بعدها والدليل على ذلك:

١ ـ قوله في هذا المخطوط أنه أهداه إلى السلطان رضاكيا، وبعد الرجوع إلى المصادر التي تحدثت عن هذا السلطان تبين لي أنه وصل إلى الحكم أواخر سنة ٧٩٩هـ، بعد موت أبيه السلطان علي كيا[(١)].

٢ ـ أشار في هذا المخطوط أيضاً إلى كتاب له في التأريخ نقل عنه بعض المعلومات، وعندما اطّلعت على المخطوط المحفوظ في مكتبة عارف حكمت[(٢)] باسم تأريخ الجزري، والذي أشرت إليه أثناء الكلام عن مؤلَّفاته.

٢ ـ الباعث على تأليفه

عندما نقرأ مقدِّمة الكتاب نلاحظ أنَّ الشيخ ابن الجزري اندفع للكتابة حول هذه الآية الكريمة محاولاً الإحاطة بكل الجوانب التي يمكن طرقها من لغة ونحو وبلاغة وتفسير ردّاً على من ادّعى «أنَّ الإمام السكاكي بلغ فيها الغاية»[(٣)].

---

(١) انظر معجم الأنساب والأسرات الحاكمة، ص ٢٩٥.

(٢) هي إحدى مكتبات المدينة المنورة، وتحتفظ بعدد كبير من المخطوطات والمطبوعات.

(٣) كفاية الألمعي ـ الأصل ـ ٣ و.

وقد شرع بالكتابة بعد أن عرض كلام أكابر العلماء عليها وهم: السكاكي صاحب مفتاح العلوم والزمخشري صاحب الكشّاف والفخر الرازي صاحب التفسير الكبير.

وقد أراد بنقل ما كتبوه حول الآية ـ وهم أشهر من كتب فيها ـ أن يبين جهده وعطاءه على أساس القول المأثور: كم ترك الأول للآخر[1]، فهي محاولة منه للإحاطة ـ كما سبق ـ بكل ما أغفله سابقوه في الجوانب التي تستحقّها الآية الكريمة من البحث والدِّراسة.

٣ ـ منهج الكتاب

بدأ المؤلف كتابه بخطبة ثمّ مقدِّمة أعقبها بأربعة أوجه وخاتمة.

١ ـ خطبة الكتاب:

اشتملت الخطبة على بيان السبب الدَّاعي لتأليف الكتاب، حيث ذكر بعض الحاضرين في مجلسه أنَّ الإمام السكاكي بلغ الغاية في الكلام حول الآية ٤٤ من سورة هود، فقال: «بدا لي أن أكتب على هذه الآية ما فتح الله تعالى عليّ من الفوائد.. من نكت لا تعدُّ ولطائف لا تحصى.. فإنّ القرآن بحر محيط لا يدرك قراره..»[2].

٢ ـ المقدِّمة:

وذكر فيها كلام أكابر العلماء الذين توسّعوا في الآية، حيث نقل نصوصاً من المفتاح للسكاكي والكشاف للزمخشري والتفسير الكبير للرازي. والظَّاهر أنّه نقل كلامهم جميعاً حتى يظهر مقدار الجهد الذي سيبذله في الكلام حول الآية من مختلف الوجوه لذلك جاءت المقدِّمة طويلة.

٣ ـ الوجه الأول:

وقد احتوى على تفسير الآية من حيث الجملة، وما يتعلق به وينضم إليه.

---

(١) نفس المصدر السابق، ص ٣ ظ.

(٢) انظر كفاية الألمعي ـ الأصل ـ ص ٣ ظ.

فقد استعرض المصنّف فيه أقوال المفسِّرين وناقشها ورجح ما رآه صحيحاً منها. إلاّ أنّه أطال في بعض الجوانب كسرده للرِّوايات المختلفة التي تدور حول الأمر نفسه كرواية أم الصبي(١).

٤ ـ **الوجه الثاني:**

أمَّا الوجه الثاني فقد خصَّصه لكلمات الآية واحدة واحدة من حيث الجانب اللغوي والإعراب. وذكر أقوال علماء اللغة والنحو، وقد حشد فيه معلومات كثيرة اعتمد فيها على أمهات المصادر. وقد أجاد في الاستدلال على الوجه اللغوي أو الإعرابي الذي يختاره ممّا دلّ على باع طويلٍ في علوم اللغة، وهذا ليس غريباً عليه فقد صنَّف في هذه العلوم عدَّة مصنّفات.

ومن ذلك كلامه في (الواو) التي وردت في الآية الكريمة:

فقد قال: «إنّ الواو الواقعة هنا حرف عطف وهي لمطلق الجمع، ونقل عن سيبويه: قولك مررت برجل وحمار كأنّك قلت: مررت بهما وليس في هذا دليل على أنه بدأ بشيء قبل شيء ولا بشيء مع شيء.

ونقل عن ابن مالك: كونها للمعية راجح وللترتيب كثير ولعكسه قليل.

وأنكر المصنّف الرأي القائل بأنَّ ما قاله ابن مالك ينافي قول سيبويه معزِّزاً ذلك بشواهد من القرآن الكريم:

١ ـ كون الواو للمعية: تعطف الشيء على مصاحبه.

مثاله: ﴿**فأنجيناه وأصحاب السفينة**﴾.

٢ ـ كونها للترتيب: تعطف الشيء على سابقه.

ومثاله ﴿**ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم**﴾.

٣ ـ ولعكسه: أي تعطف الشيء على لاحقه.

مثاله: ﴿**يُوحى إليكَ وإلى الّذين مِنْ قَبْلِكَ**﴾.

---

(١) كفاية الألمعي ـ الأصل ـ ١٥ و.

٤ ـ وقد يجتمع السابق واللاحق كقوله تعالى: ﴿وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإبراهيمَ وَمُوسى وَعِيسَى بن مَرْيَم﴾.

فإذا قلنا (قام زيد وعمرو)، احتمل قيامهما معاً أو قيام زيد قبل عمرو، أو قيام عمرو قبل زيد.

ثمّ وضّح المصنّف الفرق بين (مطلق الجمع) و (الجمع المطلق). أما (مطلق الجمع) فمعناه: أي جمع كان، فحينئذٍ تدخل فيه الأربعة المذكورة.

وأما (الجمع المطلق): فهو الجمع المقيَّد بقيد الطلاق.

وعارض القائلين بأنَّ الواو العاطفة (للجمع المطلق) واعتبر رأيهم غير جيد لتقييد الجمع بقيد الإطلاق، وإنّما هي للجمع لا بقيد الإطلاق. لأن المطلق هو الذي لم يقيد بشيء فتدخل فيه صورة واحدة مثل: (قام زيد وعمرو) فلا يدخل فيه المقيد بالمعية ولا بالتقديم ولا بالتأخير لخروجها بالتقييد عن الإطلاق، وقد قرب فكرته بالفرق بين: (الماء المطلق) و (مطلق الماء).

وأسلوبه هذا الذي عالج به (واو العطف) يظهر واضحاً في سائر القضايا الأخرى التي تناولها في هذا الوجه من حيث التصدّي لمختلف الآراء وعرضها عرضاً موضوعياً دقيقاً ثم اختيار ما يراه أقرب للصواب منها.

٥ ـ الوجه الثالث

وفي هذا الوجه عرض المصنّف الأسئلة الواردة على هذه الآية الكريمة وصنّفها إلى صنفين:

١ ـ الأسئلة التي ظهرت له هو ممّا لم يسبق إليه كما ذكر، وهي ثلاثة وعشرون سؤالاً.

٢ ـ الأسئلة التي ظهرت له من كلام السكاكي في مفتاح العلوم وكلام غيره ممَّن تعرّضوا للآية وهي اثنان وعشرون سؤالاً.

وقد بدأ بذكر المجموعة الأولى من الأسئلة ـ وهي التي وضعها هو ـ ثم أسئلة غيره.

وقد شملت الأسئلة التي عرضها مختلف الجوانب التي رأى للآية مجالاً فيها كالإعراب واللغة والبلاغة وغيرها.

ونعرض هنا نموذجاً من أسئلته وجوابه عليه:

ففي السؤال الأوّل يقول:

ما فائدة (واو العطف) في أوّل الآية (وَقِيلَ) وهلاّ أتى بغير واوٍ كما جاء في الآية بعد آخر القصة:

﴿قِيلَ يَا نوح اهبط بسلام﴾؟

وأجاب عليه:

لأنه لما تقدم الإخبار عن نوح سلام الله عليه مع قومه مرتباً موصولاً وصل جملة بجملة، معطوفاً عطف لاحق على سابق: من الإرسال، وقوله، وقولهم، والإيحاء إليه في شأنهم، وأمره أن يصنع الفلك والإخبار بالأمر، وبمجيء الأمر بإهلاكهم وبالركوب في الفلك والإخبار عنها وبنداء نوح ابنه وبحول الموج بينهما وبما قيل عند انتهاء أمر الطوفان وبغيض الماء وبتمام الأمر، وباستواء السفينة على الجبل وبالدعاء عليهم وبنداء نوح ربّه إلى آخره.

فوقوع ذلك كلّه معطوفاً بالواو على أحسن نسق وألطف وصل بخلاف قوله: ﴿قيل يا نوح اهبط﴾ فإنّه وقع جواباً لتعوذ نوح بربه أن يسأله ما ليس له به علم كما وقع.

وعلى هذا المنوال يمضي المؤلف في طرح أسئلته والرد عليها.

وربّما كان من الأليق بهذا الوجه أن يكون آخر الوجوه بعد الكلام عن الجوانب البلاغيَّة في الآية الكريمة حيث يكون قد أتمَّ الكلام في جوانبها المختلفة.

٦ ـ الوجه الرابع:

وقد ذكر فيه ما ظهر له في الآية من المعاني والبيان وأنواع البديع.

وقد وُفِّقَ المؤلف في هذا الوجه حيث تمكن من استعراض الجوانب البلاغيَّة التي استخرجها علماء البلاغة وعلماء التفسير ثمّ أضاف ما عنده مستشهداً بكثيرٍ من آيات القرآن الكريم والشعر العربي وربّما كان شاهده من نظمه ممّا دلّ على ضلوعه في فنون البلاغة، وعند الكلام عن التورية كفنٍ من فنون البلاغة يقول: «فمن التورية التامّة ما استخرجته من القرآن العظيم في قوله تعالى: ﴿**ويدخلهم الجنة عرفها لهم**﴾، يصح فيه المعنيان من المعرفة والعرف الذي هو الطيب، فيصح أن يراد وصفها وتشويقهم إليها ويصح أن يراد طيبها»(١) انتهى.

وممّا استشهد به من شعره هذا البيت:

قَـدْ جَمَـعَ الأَضْـدَادَ فِيـهِ أَنَّـهُ بَـرُّ اليَمِيْـنِ وَكَفُّـهُ بَحْـرُ النَّـدى(٢)

وفيه طابق بين (بَر) و(بَحر).

إضافة إلى ما اشتمل عليه من التورية اللطيفة.

٧ ـ الخاتمة:

وتحدّث فيها عن وجوه إعجاز القرآن الكريم. ومع أنّها جاءت طويلة وخارجة عن الموضوع الذي صنّف الكتاب فيه وهو الآية الكريمة، إلاّ أنّها كلام ممتع ودقيق في مجال الإعجاز القرآني وجاءت هي وموضوع الكتاب من باب واحد متّسع هو خدمة القرآن الكريم بما أوتي المؤلِّف من ثقافة متعدِّدة الجوانب.

والمؤلّف في هذه الخاتمة التي عرض فيها أقوال العلماء وخلافاتهم في شأن الإعجاز القرآنيّ توصّل إلى وجهٍ مختلفٍ عمّا عرضوه واعتبره أقربها وأولاها بالإعجاز وهو: «أن القرآن مع ما اشتمل عليه من البلاغة والفصاحة إلى غير ذلك، فإنّ كل حرف من حروفه وكلّ كلمة من كلماته لا يصلح أن يكون في مكانها وموضعها الذي وقعت في غيرها، وهذا شيء لا يدركه إلاّ من وهبه الله

---

(١) كفاية الألمعي ـ الأصل ـ ٥٠ و.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٥ و.

ذهناً ثاقباً وممارسة لعلوم البلاغة وتدقيقاً في ضروب فنون الأدب. . وهذا ممَّا أهمله أهل التفسير لأنَّ الوقوف على غايته عسير»[١].

وقد استعرض المؤلِّف في هذا الوجه الذي اختاره الكثير من الآيات واستدلّ على سلامة رأيه في البرهنة وردَّ على شبهات المعاندين والملحدين.

وقد اخترنا صورة واحدة ممّا عرضه لنتبين طريقته في إبراز الإعجاز القرآني:

في قوله تعالى: ﴿وَإِذ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بعَصَاكَ الحَجَرَ فانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشَرة عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أناسٍ مَشْرَبَهُم كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ الله﴾.

وقوله تعالى في الأعراف: ﴿وَقَطَّعْنَاهُم اثْنَتَي عَشْرَةَ أَسْبَاطاً أُمَماً وَأَوْحَيْنَا إلى مُوسَى إذ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أن اضْرِب بعَصَاكَ الحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنَاً﴾.

فلماذا جاء في البقرة (فانفجرت)؟ وفي الأعراف (فانبجست)؟ مع أنّ القصة في السورتين واحدة.

وقد أجاب على ذلك المصنّف بقوله:

إنّ (الانفجار) يدلّ على ظهور الماء كثيراً.

و (الانبجاس) يدلّ على مجرَّد ظهور الماء.

فلما جاء في البقرة (كُلُوا واشرَبُوا) ناسب ما يدلُّ على كثرة الماء بخلاف الأعراف فإنّه لم يذكر ذلك فلم يحتج إلى ما يدل على كثرة الماء.

هـذا أنمـوذج مـن أسلوبه في إظهار الإعجاز القرآني، وقد توسّع في عرض الآيات والاستدلال بها على النحو الذي رأيناه في هاتين الآيتين[٢].

٤ ـ مصادر الكتاب

بـالنظـر إلـى تعدُّد المجالات التي بحثها المصنّف حول الآية الكريمة فقد تعدّدت مصادره وتنوَّعت تبعاً لذلك:

---

(١) كفاية الألمعي ـ الأصل ـ ٦١ و.

(٢) انظر كفاية الألمعي ـ الأصل ـ ٦١ و.

أ ـ **النوع الأوّل**: يتمثَّل في أقوال السلف وآرائهم التي تلقّاها عن شيوخه أو غيرهم من معاصريه، وممَّن روى عنهم أستاذه الشيخ ابن فزارة الكفري وشيخه الشريشي وابن كثير. وقد وردت تراجمهم خلال الدِّراسة.

ب ـ **النوع الثاني**: ويتمثَّل في الكتب سواء التي ألّفها هو أو غيره من معاصريه أو المتقدِّمين عليه وهي على أصناف:

١ ـ كتب التفسير:

ومنها التفسير الكبير للفخر الرازي.

والكشَّاف للزمخشري.

والبحر المحيط والنهر الماد من البحر وكلاهما لأبي حيَّان.

والمفردات للراغب.

وتفسير البغوي.

٢ ـ كتب التأريخ:

كالبداية والنهاية لابن كثير وكتاب المصنّف الذي نقل عنه وسمَّاه «الاعلام بتأريخ الإسلام».

٣ ـ كتب النحو واللغة:

ومنها «الكتاب» لسيبويه و «التسهيل» لابن مالك، و«تهذيب اللغة» للأزهري، و«الصحاح» للجوهري.

٤ ـ كتب البلاغة:

ومنها «مفتاح العلوم» للسكاكي و «حسن التوسل» لشهاب الدين محمود و «نقد الشعر» لقدامة و «تحرير التحبير» و «بديع القرآن» لابن أبي الأصبغ و «دلائل الإعجاز» للجرجاني.

٥ ـ كتب أخرى: «كالرسالة» للإمام الشافعي و «شرح صحيح مسلم للنووي» و «النشر» في القراءات.

وعند مقابلة النُّصوص مع مصادرها لاحظت أنَّه اتبع طرقاً مختلفة في التعامل معها:

فقد يأخذ النصَّ بلفظه ويشير إلى قائله.

وقد ينسب النصّ إلى مصدر ولا يأخذه منه مباشرة كما حصل في نقله عن التهذيب للأزهري فقد وجدت ما نقله نصّاً في لسان العرب منسوباً إلى الأزهري أيضاً بينما اختلف عمّا في كتاب التهذيب للأزهري.

وربّما نقل دون أن يشير إلى المصدر أو القائل كأن يقول: «قال بعضهم» ممّا دعاني إلى التقصّي لمعرفة صاحب ذلك الرأي.

وقد تتبّعت مصادره فصحَّحت بعض ما خالفها في المخطوط معتمداً على ما حقَّق من تلك المصادر.

ويمكن تلخيص طريقته في التعامل مع المصادر بالنقاط التالية:

١ ـ إنه روى بعض النُّصوص التي تلقَّاها مشافهةً من شيوخه وغيرهم، وذلك ممّا يزيد في تأكيدها أو ربّما يكون طريق ورودها.

٢ ـ إنه ذكر بعض الكتب التي لم نعثر عليها وقد نقل عنها نصوصاً لم أعثر عليها.

٣ ـ إن مصادره تنوّعت وتعدّدت ممّا دلّ على سعة ثقافته وتنوعها.

٥ ـ الشواهد وموقفه منها

اهتمَّ ابن الجزري اهتماماً بالغاً بالقراءات القرآنيَّة، حيث بدأ حياته العلميَّة بالتلمذة على عدد من ألمع علماء القراءات في زمانه كشيخ القراء بدمشق عبد الوهَّاب ابن السلار والشيخ أحمد ابن الطحان وابن فزارة الكفري وابن اللبان وابن الجندي وغيرهم ممّن ترجمنا لهم في مواضع شتَّى أثناء دراستنا، ثمَّ أصبح ابن الجزري علماً من أعلام القراءات بل رأساً في القراءات في زمانه في مختلف الأمصار.

لقد كان من آثار ذلك التخصُّص، أنَّ الاستشهاد في كتابه هذا اتَّسم بطابع قرآني، فالقرآن هو الذي فتح له آفاق المعرفة في العلوم الأخرى، وقد

لاحظت كثرة تلك الشواهد وتنوّعها يؤيِّد بها رأيه ويقوِّيه، وربما انتقل في الاستشهاد بالحديث الشريف ثم بالشعر العربي.

وحيث إنّ شواهده كثيرة ومتنوعة مع تنوّع طرق عرضها صنّفتها كما يلي:

شواهده وطريقة عرضها

١ ـ القرآن الكريم: وقد كان الكثير من شواهده آيات قرآنية.

أما أسلوبه في تقديمها: فقد كان يستشهد في بعض الحالات فيذكر الآية واسم السورة، وفي حالات يذكر الآية فقط. وقد يأتي ببعض آية لمحل شاهده فلا يكملها.

وفي بعض الحالات يحتاج في استشهاده إلى قراءة أخرى غير القراءة المتداولة التي عليها المصحف (قراءة حفص عن عاصم)، وفي هذه الحالة يشير إلى مصدر تلك القراءة كما حصل في استشهاده بقراءة الكسائي وغيره في الآية الخامسة والعشرين من سورة النمل (الآيا اسجدوا..)[١].

واستشهاده بالقراءات المختلفة في قوله تعالى في هود ﴿**فَأَسْر بأهْلِكَ بِقِطَعٍ مِنَ اللَّيلِ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنْكُم أَحَدٌ إلاّ امْرَأَتَكَ**﴾ فذكر قراءتي الرفع والنصب في (امرأتك) وأقوال العلماء وما يرجِّحه هو. وله استشهادات أخرى بالقراءات نجدها في مواضع متعددة من كتابه[٢].

٢ ـ الحديث الشريف:

كان للحديث الشريف حصة في شواهده وقد اختلف أسلوبه في عرضها أيضاً.

فبعض الأحاديث يذكرها مقرونة بسلسلة رواتها التي تمتد بينه وبين رسول الله ﷺ.

وبعضها يذكرها مجرَّدة من رواتها.

---

(١) كفاية الألمعي ـ نسخة الأصل ـ ص ٥٠ ظ.

(٢) المصدر السابق، ص ٦٨ ظ ـ ٦٩ ظ.

ويشير في بعض الأحاديث إلى درجته عند العلماء. وقد يأخذ في بعض الحالات قسماً من حديث شريف لشاهده ولا يسرد الحديث بطوله.

وقد لاحظت بعض الأحاديث التي استشهد بها ليست في كتب الصحاح المعروفة بل في كتب أخرى.

٣ ـ الشواهد الشعريَّة

لقد كان للمصنِّف شواهد شعريَّة كان بعض منها من نظمه، وبعضها الآخر ذكر قائليها، وقد يستشهد في بعض الحالات بأبيات لا يذكر قائليها. وفي حالات أخرى يكون شاهده شطر بيت.

ولم يقتصر في شواهده الشعرية على فترة محددة، بل كانت له شواهد من العصر الجاهلي كشعر المعلقات وشواهد من صدر الإسلام وممَّا يليه إلى شعره وشعر معاصريه، ممَّا دلَّ على طول باعه في مجال الأدب.

٤ ـ وقد وردت شواهد أخرى على سبيل المثل أو الحكمة كشاهده على فن التجنيس من كلام سيدنا أمير المؤمنين علي عليه السلام: «الدنيا دار ممر والأخرى دار مقر»[١].

٥ ـ وقد يستشهد بلغات بعض القبائل كاستشهاده بلغة (طي) في بيت من قصيدته التي قالها في شيخه بهاء الدِّين السبكي:

إمَامٌ يَكادُ الصَّخْرُ يَعْنُو لِوَعْظِهِ إذا مَا عَلا عُودَ المَنَابر أورقا[٢]

وفي (أورقا) تورية ذات ثلاثة أوجه على لغة طي.

وفي موضع آخر يستشهد بكلام العرب فيقول: «وسُمع بعض العرب يقول: ألا يا احمونا ألا يا تصدّقوا علينا» وذلك في كلامه عن حرف النداء (يا)[٣].

---

(١) كفاية الألمعي ـ نسخة الأصل ـ ٥٤ ظ.
(٢) المصدر نفسه، ص ٥٠ و ـ ٥٠ ظ.
(٣) المصدر نفسه، ص ٥٠ ظ.

الفصل الرابع

توثيق نسبة الكتاب ووصف النسختين ومنهج التحقيق

١ ـ اسم الكتاب ونسبته

نص ابـن الجـزري، رحمه الله، في مقدِّمة كتابه هذا على اسمه، فقال بعد بيانه الغرض من تأليفه:

«وسميتها: كفاية الألمعي في آية يا أرض ابلعي».

وقـد اتّـفقت مخطـوطتا الكتاب اللَّتان بين يدي على هذا الاسم وكذا جميع المصادر التي ذكرته، والتي سيأتي الكلام عنها.

أمّا نسبة الكتاب إلى ابن الجزري فقد تأكّدت عندي بأمور:

١ ـ ذكرت نسبة الكتاب إليه في كلتا المخطوطتين اللَّتين ظفرت بهما.

ففي أوَّل نسخة ـ دار الكتب ـ بالقاهرة:

«كتاب كفاية الألمعي في آية يا أرض ابلعي».

تأليف سيـدنـا ومـولانا شيخ الإسلام والمسلمين، قدوة العارفين، شمس الدِّين، محمّد بن محمّد بن الجزري.

وكرّر الناسخ هذه النسبة في آخر الكتاب.

أمّا في أوَّل نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق فقد ورد:

«في آية يا أرض ابلعي لابن الجزري».

٢ ـ إنَّ قراءتي للكتـاب لأكثر من مرّة وتتبعي لمحتوياته وأسلوبه ومقارنته بما في مؤلّفات ابن الجزري الأخرى التي صحَّت نسبتها إليه وطبعت محقَّقة من قبل

علماء أجلاء، حيث احتوت على مسائل وأمور أوردها في هذا الكتاب أيضاً، كلّ ذلك ولدَّ عندي قناعة بأنَّ هذا الكتاب واحد من كتبه.

٣ ـ وممَّا يزيد القناعة والاطمئنان في تلك النِّسبة ما تقوله كتب التراجم حيث ذكرته عندما تعرَّضت لمؤلّفاته، وكذا كتب الفهارس:

أ ـ كشف الظنون فقد قال: «كفاية الألمعي في آية يا أرض ابلعي» ـ للشيخ الإمام شمس الدِّين، محمَّد بن محمَّد بن محمَّد الجزري. أوّله: الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب.. الخ ذكر فيه أنَّه جرى في بعض المجالس بحث إعجاز القرآن وأنَّ السكاكي بلغ في الآية الغاية، فكتب وجوهاً أُخر وأهداها إلى السُّلطان رضاكيا بن عليّ كيا الحسيني العلوي» انتهى[١].

وما نقله صاحب كشف الظنون هو موجود في المخطوط الذي بين يديَّ.

ب ـ ذكره إسماعيل باشا في هدية العارفين ضمن مؤلَّفات ابن الجزري[٢].

جـ ـ ذكرته دائرة المعارف الإسلامية ضمن كتب ابن الجزري[٣].

د ـ ذكره فهرست دار الكتب المصرية ضمن موجودات الدار برقم / ٩٥ مجاميع وهو المخطوط نفسه الذي اتّخذته أصلاً في التحقيق[٤].

هـ ـ ذكره فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية الذي وضعه الدكتور عزة حسن ضمن كتب ـ علوم القرآن ـ ص ٣٨٨، وقال في تعريفه: فيه كلام على بعض الأنواع البلاغيَّة وعلى إعجاز القرآن الكريم.

تأليف شمس الدِّين أبي الخير محمَّد بن محمَّد بن محمَّد بن يوسف بن علي الجزري المتوفي سنة ٨٣٣هـ. وقد قدم الكتاب بعد تأليفه إلى السلطان السيد الرَّضوي رضاكيا بن السيد علي كيا الحسيني العلوي[٥].

---

(١) انظر كشف الظنون: ٢/١٤٩٧.
(٢) هدية العارفين: ١/١٨٨.
(٣) دائرة المعارف الإسلامية، الطبعة العربية: ١/٢٤٠.
(٤) فهرس الكتب العربية بدار الكتب المصرية: ١/٥٩.
(٥) فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية، علوم القرآن، ص ٣٨٨ ط المجمع العلمي بدمشق، ١٣٨١هـ.

٤ ـ لم أجد في مصدر من المصادر التي تعنى بالمؤلَّفات والمخطوطات ـ ممَّا أمكنني الوقوف عليه ـ ما يدلّ على نسبته إلى غير ابن الجزري.

٢ ـ وصف النسختين المعتمدتين في التحقيق:

اعتمدت في إعداد الكتاب وتحقيقه على نسختين هما:

نسخة دار الكتب الظاهرية.

ونسخة دار الكتب بالقاهرة.

١ ـ وصف نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق:

هذه النسخة توجد مع مجموعة أخرى ضمن مجلّد تحت رقم ٥٤٣٣.

وفي كلّ صفحة منها إطار بالحمرة، وكذا ألفاظ القرآن الكريم والأنواع والفصول ورؤوس الفقرات مكتوبة بالحمرة.

أمَّا خطها فنسخ معتاد دقيق، وفي كلّ صفحة منها سبعة وعشرون سطراً. وقد سطت عليها الأرضة وأضرَّت بها كثيراً.

وعلى صفحة العنوان: في وسطها (رسالة تتعلَّق بآية يا أرض ابلعي وإعجاز القرآن للجزري).

وفي الزاوية العليا اليسرى «كتبه العبد الفقير أحمد بن محمد الكواكبي» وتحته «مالكه الفقير ديمترس نيقولا شحادة الدمشقي اشتراه بالقسطنطينية سنة ١٨٥٩»، وعلى الصفحة نفسها عبارات وأبيات بخطوط مختلفة أثَّرت فيها الأرضة والرطوبة.

٢ ـ نسخة دار الكتب بالقاهرة

وتوجد هذه النسخة ضمن مجموعة تحت رقم ٩٥ مجاميع م. وفي صفحة العنوان مكتوب في أعلاها:

«كتاب كفاية الألمعي في آية يا أرض ابلعي تأليف سيدنا ومولانا شيخ الإسلام والمسلمين، قدوة العارفين، شمس الدِّين، محمَّد بن محمَّد بن

الجزري». وتحته أسماء بعض الكتب التي في المجلّد وعليها ختم غير واضح أثّرت فيه الرطوبة.

أما كتابتها فبالخط النسخ.

وفي كلّ صفحة منها تسعة عشر سطراً. وقد كتبت الأنواع والفصول والعناوين المهمّة بلون غامق وحجم أكبر للحروف.

ولم أجد عليها اسم الناسخ ولا تأريخ النسخ.

٣ ـ منهج التحقيق

دفعني اهتمامي بالكتاب وإعجابي بمادته إلى أن أتخذ منهجاً في التحقيق اجتهدت أن يكون علمياً دقيقاً، يتناسب مع موضوع الكتاب الذي كان حلقة من حلقات خدمة كتاب الله العظيم ولغته الكريمة، ويتناسب أيضاً مع عطاء مؤلِّفه وشخصيته ذات السمعة الطيبة في المجالات العلميَّة وبخاصَّة الدِّراسات القرآنية.

وهذا المنهج يقوم على الأسس الآتية:

١ ـ اعتمدت على نسخة دار الكتب.

واتخذتها أصلاً وذلك:

أ ـ لأنها كاملة تقريباً بينما سقطت من نسخة الظاهرية فقرات وجمل متفرقة.

ب ـ لأنها واضحة بينما تعرَّضت بعض صفحات نسخة الظاهريَّة للرطوبة والتلف.

جـ ـ لعدم وجود دليل واضح على أسبقية إحدى النسختين.

وقد رمزت إلى النسخة التي اعتمدتها أصلاً في التحقيق بالحرف (د) وإلى نسخة دار الكتب الظاهرية بالحرف (ظ).

والتزمت بالإشارة إلى بدء كلّ صفحة من الأصل فوضعت أرقاماً تدلّ عليها ورمزت لوجه الورقة بالرقم مقروناً بالحرف (و) ولظهرها بالرقم مقروناً بالحرف (ظ).

٢ ـ حافظت على النصّ كما ورد في نسخة دار الكتب ـ الأصل ـ وأمّا في المواضع

التي سقطت فيها كلمات أو عبارات من الأصل أو تلك التي فيها لطخات ممّا تعذّر عليّ قراءته فقد اعتمدت في إكمالها على نسخة المكتبة الظاهرية (ظ)، وقد أشرت إليه في الهوامش.

٣ ـ غيّرت في مواضع أخرى ـ سوى ما تقدَّم ـ ما رجحت أنَّه سهو أو تحريف أو تصحيف في نسخة الأصل معتمداً على النسخة الثانية (ظ) مشيراً إلى ذلك.

٤ ـ أشرت في الهوامش إلى ما كان زيادة على نسخة الأصل مع ذكر موضعه.

٥ ـ وضعت الآيات القرآنية التي وردت في المتن بين قوسين، وأشرت في الهوامش إلى مواضعها في المصحف الشريف مبتدئاً باسم السورة ثم رقمها فرقم الآية. وفي حالة استشهاد المصنّف بجزء الآية لم أكملها بل أشرت إلى موضعها فقط.

وفي حالة كون الشاهد القرآني من المكررات في القرآن الكريم أشرت إلى مواضعه في فهرست الآيات.

٦ ـ خرّجت من كتب القراءات المعروفة الآيات التي ذكر لها المصنّف وجهاً من القراءة غير الوارد في المصحف على قراءة حفص عن عاصم.

٧ ـ خرّجت الأحاديث النبوية الشريفة من كتب الحديث التي وردت فيها، وفي حالات قليلة حيث لم أعثر على الحديث في كتب الصحاح المعروفة أشرت إلى مصادر أخرى غير حديثية وجدت فيها الحديث.

وأكملت الكلمات التي اختصرها مثل (حدثنا) بدل (ثنا) و(أنبأنا) بدل (أنا).

٨ ـ خرجت ـ قدر المستطاع ـ النصوص التي ذكر المصنّف أسماء قائليها من كتبهم ـ إن وجدت ـ وإلاّ فمن الكتب التي نقلت عنهم ـ وحاولت أن يكون اعتمادي على طبعة واحدة فقط. وفي حالة عدم العثور عليه أشرت في الهوامش.

٩ ـ وفي حالة وجود خطأ أو اضطراب في ما ينقله من نصوص عن مصادر أخرى أرجع إلى تلك المصادر فأغير تبعاً لما فيها إذا اقتنعت برجحانه وإلا أبقيته مع الإشارة في الهامش في كلتا الحالتين.

١٠ ـ بالنسبة للشواهد الشعريَّة اعتمدت في تخريجها على دواوين الشعراء ثمّ كتب الشواهد الشعرية والمجاميع الشعرية وكذا اعتمدت في تخريج بعضها على كتب اللغة والأدب والمعاجم المختلفة.

وأتممت في الهامش ما كان شطراً في شاهد المصنّف، وقد أشرت في الهوامش إلى اختلاف الروايات في نسبة الشعر إلى غير من ذكره المصنّف أو الاختلاف في مفردات البيت.

وفي حالة عدم وجدان البيت في المصادر أو عدم معرفة قائله؛ أشرت في الهوامش.

١١ ـ ترجمت بإيجاز من الكتب المعنية بالتراجم للأعلام الذين ذكرهم المصنّف سوى من رأيت أنَّ الترجمة له تعدُّ من التطويل الذي لا فائدة وراءه.

١٢ ـ عرّفت الأماكن والبلدان غير المعروفة أو التي اختلف اسمها الآن عن عصر المصنّف، معتمداً على المعجم.

١٣ ـ حاولت تفسير الكلمات الغريبة والغامضة معتمداً على كتب اللغة مبتدئاً بـ (لسان العرب) متحاشياً تكثير المصادر إلاّ في حال الضرورة.

١٤ ـ خرجت الأمثال والأقوال المأثورة من كتب الأمثال أو المصادر الأخرى.

١٥ ـ حاولت ضبط أواخر الكلمات وبنيتها محافظة على سلامة الكتاب وحسن الاستفادة منه.

١٦ ـ كتبتُ النص وفقاً لما هو معروف اليوم من قواعد الإملاء، حيث كان الكثير من كلماته على خلاف ذلك.

١٧ ـ وضعت بعض الكلمات أو العبارات التي لها أهمية خاصة بين قوسين تنبيهاً للقارئ.

١٨ ـ قمت بصنع فهارس للكتاب لتسهيل الاستفادة منه:

فهرس للآيات، وفهرس للأحاديث، وفهرس للأشعار، وفهرس للأعلام، وفهرس للمصادر، ثم فهرست للموضوعات.

قسم التحقيق

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمَّد وآله وصحبه وسلم

قال شيخنا وسيدنا شيخ شيوخ الأنام، مؤيد الإسلام، مقتدى الأئمة الأعلام، عمدة العلماء الراسخين، قدوة الفقهاء والقرَّاء والمفسرين، خاتمة المجتهدين، وارث علوم الأنبياء والمرسلين، شمس الشريعة والتقوى والدِّين، محمَّد بن محمَّد بن محمَّد بن الجزري أبو الخير العربي الشافعي، خلد الله تعالى ظلال إفادته وإفاضته على المسلمين:

﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً * قيماً﴾ [الكهف ١٨/١-٢] ولم يعجل على عباده ليكون بين يدي نذره مقدماً. نزله معجزاً مفحماً، وفصله متشابهاً ومحكماً، وفضَّله على الكتب، فجاء به آخراً، أوجب له تقدماً، منع سور سوره أن يستباح له حماه[1]، وسطع نور آياته فلم يدع مظلماً، فأنطق منْ خَرسَ، وأسمع منْ صَمِم وبَصَّر من عمى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يقر بها من كان مسلماً ويقر بها الإيمان، وأصله في الأرض وفرعه في السماء قد سما. وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، أفضل من تلقى عن ربه كتاباً محكماً. أعجز الإنس والجن، فلم يقدروا على أن يأتوا بعشر كلمات مثله[2]، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، محكماً، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، صلاة تزيد على السحاب إذا همى[3]، والبحر إذا طما[4]، وسلم تسليماً كثيراً.

---

(١) هذا شيء حمى أي محظور لا يقرب. انظر لسان العرب مادة حمى: ١٤/ ٢٠٠.

(٢) إشارة إلى تحدي القرآن الكريم للعرب أن يأتوا بسورة هي أقصر السور ذلك في الآية ٢٣ من البقرة و٣٨ من يونس.

(٣) همى: سال وجرى. انظر لسان العرب: مادة همى: ١٥/ ٣٦٤.

(٤) طما: الماء إذا ارتفع وعلا وملأ النهر. انظر لسان العرب مادة طما: ١٥/ ١٥.

أمّا بعد، فبينا نحن في مجلس حافل اجتمع فيه زمرة من الأماثل، سلطان كامل، وجمع من العلماء والفضلاء، وطائفة من الأمراء والوزراء، أعزَّ الله تعالى بهم الإسلام، وجمل بوجودهم الأيام، ونفع بسبب وجودهم الأنام.

مَجْلِسٌ حَافِلٌ بِلَيْلٍ بَهِيْم ... نُورُهُم فَاقَ فِيهِ ضَوْءَ النَّهَارِ

كَيْفَ وَالمَلْكُ ذُو العِلْمِ وَالفَهْمِ ... وَحُسْنِ الإِدْرَاكِ وَالإِدْرَارِ

فانجرّ الكلام إلى إعجاز كتاب الله العزيز، وما ذكر فيه من وجوه البلاغة والتعجيز، فذكر بعض الحاضرين قوله تعالى:

﴿وَقِيلَ يَا أَرضُ ابْلَعِي مَاءَكِ..﴾ [هود ١١/ ٤٤] الآية وأنّ الإمام السكّاكي[١] بلغ فيها الغاية. فأشير إليَّ بالكلام عليها، فذكرت حينئذٍ ما فيه كفاية. وربّما كثر البحث في ذلك وطال، وكاد المجلس أن ينكد[٢] بالملال[٣]. قلت: نأتي غداً إن شاء الله بتتمة المقال.

ثمّ بدا لي أن أكتب على هذه الآية الكريمة ما فتح الله تعالى عليَّ فيه من الفوائد، وما ادخر لي من الفرائد، التي يردى الصدر منها ألف وزائد، من نكت لا تعد، ولطائف لا تحصى كثرة ولا تحد.

فإنّ القرآن العظيم بحر محيط لا يدرك قراره، وبر بسيط لا يلحق غباره، لا تنقضي عجائبه، ولا تفنى غرائبه. كما في الحديث الذي أخبرنا به الشيخ الصالح السند أبو المحاسن يوسف بن محمّد بن علي الدمشقي[٤]، قرأت عليه أنبأنا عيسى

---

(١) هو يوسف بن أبي بكر السكاكي. أبو يعقوب سراج الدين عالم بالعربية والأدب، مولده في خوارزم سنة ٥٥٥هـ، ومات فيها ٦٢٦هـ.
من كتبه: «مفتاح العلوم». و «رسالة في علم المناظرة».
من مصادر ترجمته: مفتاح السعادة: ١/ ١٦٣، الأعلام: ٨/ ٢٢٢.

(٢) في النسخة ظ (ينكدر).
ينكد: يشتد ويقل عطاؤه. انظر لسان العرب، مادة نكد.

(٣) الملال: وهو أن تمل شيئاً وتعرض عنه، انظر لسان العرب، مادة ملل.

(٤) هو يوسف بن محمد بن يوسف بن أحمد بن علي. أبو المحاسن الدمشقي. مات ٧٧٤هـ.
ترجمته: الدرر الكامنة: ٥/ ٢٥٢، وشذرات الذهب: ٦/ ٢٣٧.

ابن عبد الرحمن الصالحي[1]، أنبأنا عبدالله بن عمر بن اللتي[2] أنبأنا عبد الأول بن عيسى بن عمران السمرقندي[3]، أنبأنا عبدالله بن عبد الرحمن الحافظ[4]، أنبأنا محمَّد بن يزيد الرفاعي[5]، حدثنا حسين الجعفي[6] عن حمزة الزيات[7] عن أبي المختار الطائي[8]، عن ابن أخي الحارث[9] عن الحارث[10].

قال: دخلت المسجد[11] فإذا الناس يخوضون في أحاديث فدخلت على عليّ ـ رضي الله عنه ـ، وذكر الحديث وفيه:

«أما إني سمعت رسول الله ﷺ [12] وساق الحديث وفيه: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل، هو الذي

---

(١) هو عيسى بن عبد الرحمن بن معالي المقدسي ثم الصالحي الحنبلي. ولد ٦٢٦هـ وسمع من ابن الزبيدي وابن اللتي وجعفر وغيرهم، مات ٧١٧هـ.
من مصادر ترجمته: الدرر الكامنة: ٣/ ٢٨٢.

(٢) هو أبو المنجي عبدالله بن عمر بن علي البغدادي. المعروف بابن اللتي. ولد ٥٤٥هـ وتوفي ٦٣٥هـ.
مصادر ترجمته: التكملة: ٣/ ٤٧٧، شذرات الذهب: ٥/ ١٧١.

(٣) هو أبو الوقت عبد الأول بن عيسى السجزي ثم الهروي. سمع الصحيح ومسند الدارمي وعبد بن حميد من جمال الإسلام الداوودي. وقد عمر طويلاً ومات سنة ٥٥٣هـ.
ترجمته: شذرات الذهب: ٤/ ١٦٦، ووفيات الأعيان: ٢/ ٣٩٢.

(٤) هو عبدالله بن عبد الرحمن بن الفضل أبو محمد الدارمي الحافظ عالم سمرقند. ولد ١٨١هـ وتوفي ٢٥٥هـ. الكاشف للذهبي: ٢/ ٩٣.

(٥) وهو محمد بن يزيد أبو هشام الرفاعي الكوفي. قاضي بغداد توفي ٢٤٨هـ. الكاشف للذهبي: ٣/ ٩٦.

(٦) هو الحسين بن علي بن الوليد الجعفي. وقال فيه أحمد: ما رأيت أفضل منه، توفي ٢٠٣هـ. الكاشف للإمام الذهبي: ١/ ١٧١، شذرات الذهب: ٥/ ٢.

(٧) هو حمزة بن حبيب الزيات، أبو عمادة المقرئ. ولد ٨٠ هـ وتوفي ١٥٨هـ. الكاشف للذهبي: ١/ ١٩٠.

(٨) أبو المختار الطائي الكوفي، يقال ـ سعد ـ، وقد روى عن ابن أخي الحارث الأعور، وعن سعيد بن جبير، وروى عنه حمزة الزيات وشريك. الكاشف للذهبي: ٣/ ٣٣٢.

(٩) وهو ابن أخ الحارث الأعور، روى عن عمه، وروى عنه أبو المختار الطائي. الكاشف: ٣/ ٣٨٢.

(١٠) هو الحارث بن عبدالله الأعور الهمداني، روى عن علي وابن مسعود وروى عنه عمرو بن مرة والشعبي. ترجمته في الكاشف: ١/ ١٣٨.

(١١) في سنن الترمذي: ٥/ ١٧٢، وجامع الأصول: ٨/ ٤٦١: «مررت في المسجد».

(١٢) «يقول: ألا إنَّها ستكون فتنة فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله، قال: كتاب الله فيه...».
سنن الترمذي، فضائل القرآن: ٥/ ١٧٢.

مـن تركه من جبار قصمه الله (ومن)[1] ابتغى الهدى في غيره أضلّه الله. وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهـو الصـراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منـه العلمـاء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضـي عجـائبـه[2]، (ولا تـفنى غـرائبـه، وهـو الـذكر الحكيم، والصراط المستقيم)[3] الحديث بتمامه.

وهذا حديث جليل رواه الأئمة في كتبهم: الترمذي[4]، وعبد بن حميد[5]، والدارمي[6] وغيرهم، وقد ذكرناه، وتكلمنا عليه في أوّل ما كتبنا من التفسير.

وذكرت أولاً كلام أكابر العلماء عليها، ثمّ أتبعته بما فتح الله عليّ من بديع معان أوصلني بفضلـه إليهـا لئـلاّ نغترّ بقول القائل: ما ترك الأوّل (للآخر)[7] بل القول الصحيح الظاهر: (كم ترك الأوّل للآخر)[8].

ولله در الإمـام أبـي عبـدالله محمّـد بـن مـالـك[9] حيـث قـال:

---

(١) (من) ساقطة من الأصل وأثبتناها من الدارمي والترمذي وجامع الأصول.

(٢) رواه الترمذي، وقال: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مجهول وفي الحارث مقال: ٥/ ١٧٢ ط البابي الحلبي مصر.
ورواه الدارمي، كتاب فضائل القرآن: ٢/ ٤٣٥ ط دار الكتب العلمية بيروت وجامع الأصول: ٨/ ٤٦١ و٤٦٢.
مع اختلاف يسير بينهم في الرواية وقد حذف المصنف بعضها.

(٣) ما بين القوسين لم يرد في الرواية وبعضه تكرار لما سبق. ولعله من خطأ الناسخ.

(٤) هو الإمام محمد بن عيسى بن سورة، أبو عيسى، من أئمة الحديث وحفاظه. تتلمذ للبخاري ولد ٢٠٩هـ ومات بترمذ ٢٧٩هـ. ومن تصانيفه: «الجامع الكبير» في الحديث والشمائل النبوية. من مصادر ترجمته: أنساب السمعاني ٩٥، وفهرست ابن النديم ٢٣٣ والأعلام: ٦/ ٣٢٢.

(٥) هو عبد بن حميد بن نصر الكسي، من حفاظ الحديث.

(٦) من كتبه: «تفسير» للقرآن، ومسند. وقد توفي ٢٤٩هـ.
من مصادر ترجمته: تذكرة الحفاظ: ٢/ ١٠٤ والأعلام: ٣/ ٢٦٩.

(٧) في الأصل (الآخر)، وما أثبتناه من النسخة ظ.

(٨) وهو عجز بيت لأبي تمام صدره: (يقول من تقرع أسماعه...)
ديوان أبي تمام بشرح التبريزي: ٢/ ١٦١.

(٩) هـو أبـو عبـدالله محمـد بـن مـالك الطائي الأندلسي النحوي صاحب التسهيل والألفية، توفي سنة ٦٧٢هـ. =

«وإذا[١] كانت العلوم منحاً إلهية ومواهب اختصاصية فغير مستبعد أن يدخر لبعض المتأخّرين ما عسر على كثير من المتقدّمين[٢]».

وسمّيتها (كفاية الألمعي في آية يا أرض ابلعي).

ولمّا تمّ تأليفها، وانتهى تصنيفها وترصيفها. نظرت في من يصلح أن تكون باسمه، وتهدى إلى خزانته العالية برسمه، من ملوك زماننا العلماء، وسلاطين أواننا الفضلاء، فلم أجد مثل السلطان الأعلم الأكمل الأكرم، عالم ملوك عصره، وأفضل سلاطين وقته في دهره، السيد الحسيب النسيب / سيد رضاكيا[٣] ابن السلطان الأعظم المرحوم سيد علي الحسيني[٤] أيّد الله تعالى به الدِّين، وأبّد ملكه في العالمين وأباد بسيفه الملحدين، ونصر أنصاره، وقدر اقتداره. وإن كنت لم أره فقد سمعت صفاته الجميلة وخبره.

وَإِنِّي امْرُؤٌ أَحبَبْتُهُ لِفَضَائِل ... سمعت بها وَالأُذْنُ كَالعَيْنِ تَعْشَقُ[٥]

وَقَالَتْ لِيَ الآمَالُ إنّ رِضَاكِيَا ... إِذَا رُمْتَ مَغْنَاهُ فَأَنْتَ المُوَفَّقُ[٦]

فأقول: قوله تبارك وتعالى: ﴿وَقِيْلَ يا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي

= من مصادر ترجمته: غاية النهاية: ٢/ ١٨٠، شذرات الذهب: ٥/ ٣٣٩، النجوم الزاهرة: ٧/ ٢٤٣، وفيات ابن قنفذ، ص ٣٣٢.

(١) في نسخة (ظ): (إذ) وهو مخالف للسياق ولنص ابن مالك في التسهيل.

(٢) التسهيل، ص ٢.

(٣) هو السلطان كاركيا رضاكيا بن علي كيا، الآتية ترجمته، وقد حكم كيلان من ٧٩٩ إلى ٨٢٩هـ.

(٤) هو السلطان كاركيا علي كيا بن كاركيا أميركيا بن حسين كيا، ولما مات أبوه السلطان الأول من هذه الأسرة في كيلان أصبح هو ثاني سلاطين أسرة كيا التي يعود نسبها إلى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وقد حكم من ٧٦٣ إلى ٧٩٩هـ.

ترجمتهما: الدول الإسلامية ستانلي لين بول، تصحيح خليل أدهم: ١/ ٣٠٧ و٣٠٨. ومعجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التأريخ الإسلامي: زامباور ٢٩٥.

(٥) وقد أخذ هذا المعنى من شعر بشار بن برد:

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة ... والأذن تعشق قبل العين أحيانا

ديوان بشار ٤/ ٢٤٥.

(٦) رام: قصد: انظر لسان العرب مادة روم: ١٢/ ٢٥٨. والمَغْنَى: المنزل الذي غنى به أهله. اللسان/ مادة غنى: ١٥/ ١٣٩.

وَغِيْضَ المَاءُ وَقُضِي الأَمْرُ وَاسْتَوَت عَلَى الجُودِيِّ وَقِيْلَ بُعْداً لِلْقَومِ الظَّالِمِيْنَ﴾ [هود ١١/ ٤٤].

قال العلاَّمة الزمخشري في[١] كشافه[٢]، الذي أخبرني به شيخي وأستاذي الإمام قاضي المسلمين، شرف الدِّين، أبو العباس أحمد[٣] ابن الإمام المرحوم القاضي شهاب الدِّين الحسين بن سليمان بن فزاره الكفري[٤]، رحمه الله، مشافهة بعد أن قرأت عليه القرآن العظيم من أوّله إلى آخره بالقراءات السبع، في سنة ثلاث وسبعين وأربع وسبعين وسبع مائة، بدمشق المحروسة، عن الشيخ الصالح المسند الأصيل أبي الفضل أحمد بن هبة الله بن أحمد بن عساكر الدمشقي[٥]. قال: أخبرتنا الشيخة الصالحة المسندة أم المؤيِّد زينب ابنة عبد الرحمن بن الحسين الشعرية[٦] في كتابها إلينا من نيسابور[٧] عن الإمام العلاَّمة أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري:

---

(١) هو الإمام جار الله محمود بن عمر الزمخشري، ولد في زمخشر ٤٦٧هـ، وتوفي ٥٣٨هـ، وهو من أئمة التفسير واللغة. من أشهر كتبه: الكشاف، أساس البلاغة، مصادر ترجمته: وفيات الأعيان: ٢/ ٨١، ولسان الميزان: ٦/ ٤، والاعلام: ٧/ ١٧٨.

(٢) «الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل» هو تفسير للقرآن بأربعة أجزاء وَضَعَهُ جار الله الزمخشري ـ مطبوع.

(٣) هو شرف الدين أحمد بن الحسين بن سليمان بن فزارة بن بدر الكفري ولد ٦٩١، وأجاز له الواسطي وابن عساكر وغيرهما.
ولي قضاء دمشق ثم مات ٧٧٦هـ، الدرر الكامنة: ١/ ١٣٤ و١٣٥.

(٤) وهو القاضي شيخ القراء شهاب الدين حسين بن سليمان بن فزارة الكفري وكان خيراً عالماً، قصده القرّاء لعلوِّ إسناده.
المعين في طبقات المحدثين ـ للذهبي، ص ٢٣٢.

(٥) وهو شرف الدين أبو الفضل أحمد بن هبة الله بن أحمد بن عساكر.
انظر: المعين في طبقات المحدثين، ص ٢٢٣، والنجوم الزاهرة: ٨/ ١٩٢.

(٦) وهي الفقيهة أم المؤيد زينب الشعرية ولدت ٥٢٤هـ وتوفيت ٦١٥ في نيسابور أخذت عن ترجمتها: وفيات الأعيان: ١/ ١٩٧، شذرات الذهب: ٥/ ٦٣، الاعلام: ٣/ ٦٦ المعين في طبقات المحدثين، ص ١٨٩.

(٧) نيسابور: من بلاد خراسان وهي مدينة عظيمة وسميت باسم ملك مر بها اسمه سابور وقد خرج منها كثير من العلماء.
انظر معجم البلدان: ٥/ ٣٣١ والروض المعطار، ص ٥٨٨.

في قوله تعالى: ﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي﴾ نداء الأرض والسماء بما ينادى به الحيوان المميز على لفظ التخصيص والإقبال عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات، وهو قوله: (يا أرض) (ويا سماء) ثم أمرهما بما يؤمر (به)[1] أهل التمييز والعقل في قوله: ابلعي ماءك وأقلعي ـ من الدلالة على الاقتدار العظيم ـ وأنَّ السماوات والأرض وهذه الأجرام العظام منقادة لتكوينه فيها ما يشاء، غير ممتنعة عليه كأنَّها عقلاء مميزون قد عرفوا عظمته، وجلاله[2] وثوابه وعقابه وقدرته على كل مقدور. وتبينوا تحتُّم طاعته عليهم وانقيادهم له، وهم يهابونه، ويفزعون من التوقّف دون الامتثال والنزول على مشيئته على الفور من غير (ريث)[3] وكما ردّ عليهم أمره كان المأمور به (مفعولاً لا حبس ولا إبطاء)[4].

والبلع عبارة عن النشف. والإقلاع الإمساك، يقال أقلع المطر وأقلعت الحمى.

«وغيض الماء»: من غاضه إذا نقصه.

وقضي الأمر: وأنجز ما وعد الله نوحاً من هلاك قومه.

واستوت: واستقرَّت السفينة.

(على الجودي): وهو جبلٌ بالموصل.

﴿وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِيْنَ﴾[5] يقال: بَعُدَ بُعْداً، وبَعْداً إذا أرادوا البُعد البَعيد من حيث الهلاك والموت ونحو ذلك، ولذلك اختصَّ بدعاء السوء ومجيء أخباره على الفعل المبني للمفعول، للدلالة على الجلالة[6] والكبرياء، وأنَّ تلك الأمور العظام لا تكون إلاّ بفعل فاعل قادر وتكوين مكون قاهر، وأن فاعلها فاعل

---

(١) (به) ساقطة من الأصل، وقد أثبتناها من الكشاف.
(٢) في الكشاف (وجلالته).
(٣) في الأصل (ريب) وقد أثبتنا ما في الكشاف، وهو الأقرب إلى السياق.
(٤) في الأصل النص غير واضح وأثبتناه من النسخة ظ، والكشاف.
(٥) (للقوم الظالمين) ليست في الكشاف.
(٦) في الكشاف (الجلال).

واحد لا يشارك في أفعاله، فلا يذهب الوهم إلى أن يقول غيره: يا أرض ابلعي ويا سماء أقلعي، ولا أن يقضي ذلك الأمر الهائل غيره، ولا أن تستوي[1] السفينة على متن الجودي وتستقر[2] عليه إلاّ بتسويته وإقراره.

ولما ذكرنا من المعاني والنكت، استفصح علماء البيان هذه الآية ورقصوا لها رؤوسهم لا لتجانس الكلمتين وهما قوله «ابلعي» و «أقلعي» وذلك وإن كان لا يخلى الكلام من حسن فهو كغير المتلفت إليه بإزاء تلك المحاسن التي هي اللبّ وما عداها قشور.

وعن قتادة[3]: استقلت[4] بهم السفينة لعشر خلون من رجب وكانت في الماء خمسين ومائة يوم. واستقرت بهم على الجودي شهراً. وهبط بهم يوم عاشوراء[5].

وروي: أنها مرت بالبيت فطافت به سبعاً، وقد أعتقه الله من الغرق[6].

وروي: أنّ نوحاً عليه السلام[7] صام يوم عاشورا[8] الهبوط وأمر من معه فصاموا شكراً لله تعالى» انتهى كلامه[9].

وفيه ما لا يخفى ممّا نبيّنه في موضعه إن شاء الله تعالى.

وقد خالفه صاحب المفتاح، رحمه الله، في كونه جعل الماء في قوله: «وغيض الماء» يعمّ الماءين كما سيأتي. واختلف شرّاح كلامه في أيّ[10] القولين

---

(١) في (ظ) (يستوى) وهو تصحيف.
(٢) في (ظ) (يستقر).
(٣) هو قتادة بن دعامة بن عزيز بن عمرو أبو الخطاب السدوسي البصري، مفسر، حافظ، ضرير. توفي سنة ١١٧هـ وقيل ١١٨هـ.
من مصادر ترجمته: وفيات الأعيان: ٣/ ٢٤٨، وشذرات الذهب: ١/ ١٥٣ و١٥٤.
(٤) في (ظ) (انتقلت) وما في الأصل موافق لرواية الطبري.
(٥) جامع البيان للطبري: ١٢/ ٢٩ مع اختلاف يسير.
(٦) جامع البيان للطبري: ١٢/ ٢٩ وتأريخ الطبري: ١/ ١٩٠.
(٧) (عليه السلام) لم ترد في الكشاف.
(٨) (عاشورا) ليست في الكشاف.
(٩) الكشاف: ٢/ ٢٧١ و٢٧٢.
(١٠) في النسخة ظ: (في أن أي القولين).

أصحّ. فرجّح الطيبي[١] كلام صاحب المفتاح، ورجّح صاحب الكشف[٢] قول الزمخشري، وسنذكر كلام كل منهما ونبين ما يظهر لنا من الصواب مع ما يتعقب على كلٍّ منهما إن شاء الله تعالى.

قال الإمام فخر الدِّين الرازي[٣] في تفسيره الكبير الذي أخبرنا به شيخنا العلاَّمة جمال الدِّين أبو بكر محمّد ابن الإمام كمال الدِّين أحمد ابن الإمام جمال الدِّين محمّد (الشريشي)[٤] مشافهة بالمدرسة الإقبالية[٥] داخل دمشق المحروسة سنة ست وستين وسبع مائة عن[٦] الإمام العلاَّمة قاضي القضاة شهاب الدِّين محمّد[٧] ابن الإمام العلاَّمة قاضي القضاة شمس الدِّين أحمد بن الخليل الخويي[٨]

---

(١) هو شرف الدين الحسين بن محمد الطيبي: توفي ٧٤٣هـ وكان آية في استخراج الدقائق من الكتاب والسنة. من كتبه: التبيان في المعاني والبيان وشرح الكشاف «أربعة مجلدات ضخمة ـ في التفسير» ـ من مصادر ترجمته: الدرر الكامنة: ٢/ ٦٨ والاعلام ٢٥٦٢.
وكتابه «فتوح الغيب في الكشف عن قناع الغيب» مخطوط في الخزانة الأزهرية برقم خاص ٣٧٢ أباظة ورقم عام ٦٢٨١ والموجود منه يبدأ من سورة الزمر فتفسيره لهود مفقود ولم أعثر عليه.

(٢) صاحب الكشف هو سراج الدين عمر بن عبد الرحمن بن عمر الفارسي القزويني المتوفى سنة ٧٤٥هـ.
له كتاب «الكشف على الكشاف» في التفسير وهو حاشية على كشاف الزمخشري من مصادر ترجمته: شذرات الذهب: ٦/ ١٤٣، والأعلام: ٥/ ٤٩. ولم أعثر على كتابه.

(٣) هو أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسين التيمي البكري المفسر المتوفى سنة ٦٠٦هـ. من مصادر ترجمته: لسان الميزان: ٤/ ٤٢٦، والبداية والنهاية: ١٣/ ٥٥ وطبقات الشافعية للسبكي: ٨/ ٨١.

(٤) في الأصل والنسخة ظ (القريشي) وهو تحريف، وقد صححناه اعتماداً على المصادر وستأتي ترجمته.

(٥) هي من مدارس الشافعية بدمشق، وتنسب إلى منشئها جمال الدولة إقبال عتيقُ ست الشام وخادم نور الدين بن زنكي. وقد استحالت داراً ثم استخلصت على يد الحاكم وألحقت بأملاك المعارف ولم يبق منها إلا الحجر الذي كان على الباب، وهي شمال حمام العقيقي.
انظر: الأعلاق الخطيرة لابن شداد، ص ٢٣٤، وخطط الشام: ٦/ ٧٥، والدارس في تأريخ المدارس: ١/ ١٥٨.

(٦) في الأصل (عند) وفي ظ (عن) وهو موافق للسياق وقد ثبتناه.

(٧) هو أبو عبدالله محمد بن أحمد الخويي: ولد بدمشق ٦٢٦هـ، ونشأ بها. وقد درس وهو صغير وحصل علوماً كثيرة وصنف كثيراً. منه: نظم علوم الحديث وكفاية المتحفظ وغيرها. توفي ٦٩٣هـ. ترجمته: قضاة دمشق، ص ٧٩، وشذرات: ٥/ ٤٢٣، الوافي بالوفيات: ٢/ ١٣٧ و١٣٨.

(٨) وهو أبو العباس أحمد بن الخليل بن سعادة بن جعفر الخويي، ولد بخوي ٥٨٣هـ، وقد ولي قضاء الشام بعد جمال الدين المصري وتوفي ٦٣٧هـ. وله مؤلفات منها: كتاب في النحو، وكتاب في الأصول، وكتاب في العروض، ترجمته: قضاة دمشق، ص ٦٥، وشذرات الذهب: ٥/ ١٨٣ والوافي بالوفيات: ٦/ ٣٧٥.

قال: أخبرنا والدي[1] قال: أخبرنا الشيخ الإمام العلاَّمة فخر الدِّين أبو الفضل محمّد بن عمر بن الحسين الرازي بعد ذكر الآية أي قوله: «وقيل يا أرض ابلعي...».

«اعلم أنَّ المقصود من هذا الكلام وصف آخر واقعة[2] الطوفان، وكان التقدير أنّه لمّا انتهى أمر الطوفان قيل: كذا وكذا.

﴿يَا أَرْضُ ابلَعي مَاءَكِ﴾، يقال: (بَلع المَاء يَبْلَعُه بَلْعاً إذا شَرِبَه) وابْتَلَعَ الطَّعَامَ ابْتِلاعاً إذا لم يَمْضَغْهُ.

وقال أهل اللغة: الصحيح بَلِعَ الماء بكسر اللام يَبْلَعُ بفتحها[3].

﴿وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي﴾، يقال: أَقْلَعَ الرَّجُلُ عن عمله إذا كَفَّ عنه وأَقْلَعَت السَّماء بعد ما مطرت[4]، إذا أَمْسَكَت.

﴿وَغِيْضَ المَاءُ﴾ يقال غَاضَ المَاءُ يَغِيْضُ غَيْضاً وَمَغَاضاً إذا نَقَصَ. وغُضْتُهُ أَنَا، وهذا من باب: فَعَلَ الشَّيء وفَعَلْتُهُ أَنَا، ومثل[5] جَبَرَ العَظْم وجَبَرْتُهُ أنا[6]، وفَغَرَ الفَمُ وفَغَرْتُهُ أَنَا[7]، ودَلَعَ اللِّسَانُ ودَلَعْتُهُ، ونقص الشيء ونقصته. (وقوله)[8] «وَغِيْضَ المَاءُ» أي نَقَصَ وما بقي منه شيء.

واعلم أنَّ هذه الآية مشتملة على ألفاظ كثيرة، كل واحد (منها)[9] دالٌّ على عظمة الله (تعالى)[10] وعلو كبريائه.

---

(١) هو الخليل بن سعادة بن جعفر بن عيسى بن محمد المهلبي الخويي.
ورد ذكره في ترجمته أنه أحد قضاة دمشق، ص ٦٥، الوافي بالوفيات: ٦/ ٣٧٥.
(٢) في تفسير الرازي (لواقعة) ونص المصنف هو الموافق للسياق.
(٣) في الأصل (بلع يبلع بلعاً إذا شرب) وقد أثبتنا ما في التفسير لأنه يوافق السياق.
(٤) انظر معجم مقاييس اللغة: لابن فارس مادة ـ بَلِعَ ـ ١/ ٣٠١.
(٥) في (ظ) (قطرت) والصواب ما أثبت.
(٦) في التفسير (ومثله).
(٧) في التفسير (أنا) لم يرد في التفسير في الموضعين.
(٨) في التفسير الكبير (فقوله).
(٩) (منها) ساقطة من الأصل وقد أثبتناها من التفسير.
(١٠) (تعالي) ساقطة وقد أثبتناها من التفسير.

فأوّلها: قوله: ﴿وَقِيْلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ﴾[١] وذلك لأنَّ[٢] هذا يدلّ على أنَّه سبحانه في الجلال والعلو والعظمة (بحيث)[٣] أنَّه متى قيل «قيل» لم ينصرف العقل إلاَّ إليه، ولم (يتوجَّه)[٤] الفكر إلاَّ إلى ذلك القائل، (وذلك الآمر)[٥] هو هو. وهذا تنبيه من هذا الوجه على أنَّه تقرَّر في العقول أنَّه لا حاكم في العالمين ولا متصرِّف في العالم العلوي (والعالم)[٦] السفلي إلاّ هو.

وثانيها قوله: (يا أرض ابلعي ماءك) و «يا سماء أقلعي»[٧] فإنّ الحسّ يدل على عظمة هذه الأجسام، وشدَّتها وقوَّتها، فإذا (شعر)[٨] العقل بوجود موجود قاهر لهذه الأجسام مستولٍ عليها، متصرِّف فيها كيف شاء وأراد، صار ذلك سبباً لوقوف القوَّة العقليَّة على كمال جلال الله (تعالى)[٩] وعلو قهره، (وكمال)[١٠] قدرته ومشيئته.

وثالثها: أنَّ السَّماء والأرض من الجمادات. فقوله: يا أرض ويا سماء، مشعر بحسب الظاهر (على)[١١] أنَّ أمره وتكليفه نافذ في الجمادات، فعند هذا يحكم الوهم بأنَّه لمّا كان الأمر كذلك فلأن يكون أمره نافذاً في[١٢] العقلاء كان أولى. وليس مرادي منه أنَّه (تعالى)[١٣] يأمر (الجمادات)[١٤] فإنَّ ذلك باطل، بل

---

(١) في التفسير (وقيل) فقط ولم يكمل الآية.
(٢) في النسخة ظ (وذلك أنّ).
(٣) في الأصل (حيث) وقد اخترنا ما في التفسير.
(٤) في الأصل (يوجه) وقد اخترنا ما في التفسير لأنه أنسب للسّياق.
(٥) (وذلك الآمر) زيادة ليست في التفسير.
(٦) (والعالم) ساقطة من الأصل وقد أثبتناها من التفسير.
(٧) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل وقد أثبتناه من التفسير.
(٨) في الأصل (أشعر) وقد أثبتنا ما في التفسير.
(٩) (تعالى) ساقطة وقد أثبتناها من التفسير.
(١٠) (وكمال) ساقطة وقد أثبتناها من التفسير لمناسبتها للسياق.
(١١) (على) ساقطة وقد أثبتناها من التفسير أيضاً.
(١٢) في تفسير الرازي (على).
(١٣) (تعالى) ساقطة من الأصل وأثبتناها من التفسير لمناسبتها.
(١٤) في الأصل (الجماد) وقد أثبتنا ما في التفسير لمناسبته للسياق.

المراد أنَّ توجيه صيغة الأمر بحسب الظاهر على هذه الجمادات القويَّة الشديدة يقرِّر في الوهم نوع (عظمته)[1] وجلاله تقريراً كاملاً.

وأمَّا قوله: «وقضي الأمر» فالمراد أنَّ الذي قضى به وقدَّره في الأزل قضاءً جزماً حتماً فقد وقع، تنبيهاً على أنّ كل ما قضى به الله فهو واقع في وقته، وأنَّه لا دافع لقضائه ولا مانع من نفاذ حكمه (في أرضه)[2] وسمائه فإن قيل: كيف يليق بحكمة الله (تعالى[3] أن يغرق) الأطفال بسبب جرم الكفَّار؟ قلنا: الجواب عنه من (وجهين)[4]: **الأوّل**: (قال كثير من المفسّرين)[5] إنَّ الله تعالى أعقم أرحام نسائهم (بأربعين سنة قبل الغرق)[6] فلم يغرق إلاّ من بلغ سنّه إلى الأربعين. ولقائلٍ أن يقول: لو كان (الأمر)[7] على ما ذكرتم لكان ذلك آية عجيبة قاهرة، ويبعد مع ظهورها استمرارهم على الكفر. وأيضاً فهب أنَّكم ذكرتم ما ذكرتم فما قولكم في إهلاك الطير والوحش مع أنَّه لا تكليف عليها (البتة)[8].

والجواب الثاني: وهو الحقّ أنَّه لا اعتراض على الله تعالى في أفعاله **﴿لا يُسْأَلُ عَمّا يَفْعَلُ..﴾**[9].

وأمَّا المعتزلة[10] فهم يقولون: إنّه تعالى (أغرق)[11] الأطفال والحيوانات، وذلك يجري مجرى إذنه تعالى في ذبح هذه البهائم وفي استعمالها في الأعمال الشاقّة الشّديدة.

---

(١) في الأصل (عظمة) وقد أثبتنا ما في التفسير أيضاً.
(٢) ما بين الحاصرتين ساقطة من الأصل وقد أثبتناه من التفسير لمناسبته للسياق.
(٣) في الأصل تغريق وقد اخترنا ما في التفسير.
(٤) في الأصل والنّسخة ظ (من وجوه)، والصَّواب ما أثبتناه لانسجامه مع السِّياق ونص الرازي.
(٥) في التفسير (إن كثيراً من المفسرين يقولون).
(٦) في التفسير (قبل الغرق بأربعين سنة).
(٧) (الأمر) ساقطة من النسختين وقد أثبتناها من التفسير.
(٨) (البتة) ساقطة من النسختين، وقد أثبتناها من التفسير.
(٩) الأنبياء ٢١/ ٢٣ (وهم يسألون) في تفسير الرازي ذكر تتمة الآية.
(١٠) المعتزلة: ويسمّون أصحاب العدل والتوحيد ويلقّبون بالقدرية. ومن آرائهم: القول بالقدر خيره وشره من الله، وأن العبد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها. الملل والنحل: للشهرستاني: ١/ ٤٣ وما بعدها.
(١١) في الأصل (يعوض) وهو ينافي السياق ومن خطأ الناسخ وقد أثبتنا ما في التفسير.

وأمَّا قوله تعالى: ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الجُودِيِّ﴾، فالمعنى: استوت السفينة على جبل بالجزيرة يقال له الجُوديّ وكان ذلك الجبل جبلاً منخفضاً، فكان استواء السفينة عليه دليلاً على انقطاع مادَّة الماء وكان ذلك الاستواء يوم عاشوراء.

وأمَّا قوله تعالى: ﴿وقيل بعداً للقوم الظالمين﴾ ففيه وجهان: الأول: أنَّه من كلام الله تعالى قال لهم ذلك على سبيل اللَّعن والطرد. والثاني: أن يكون ذلك القول من كلام نوح ـ عليه السلام ـ وأصحابه لأنَّ الغالب ممَّن يسلم من الأمر الهائل بسبب اجتماع قوم من الظلمة فإذا هلكوا ونجا منهم قال مثل هذا الكلام لأنَّه جارٍ مجرى الدعاء عليهم. فجعله من كلام البشر أليق[1]، والله تعالى أعلم». انتهى كلامه.

وفيه أيضاً تعقيبات ومواضع يحتاج إلى التنبيه عليها نذكرها إن شاء الله تعالى.

وقال الأستاذ السكاكي: والنظر في هذه الآية من أربع جهات، (من جهة)[2] علم البيان (و)[3] من جهة علم المعاني، وهما مرجعا[4] البلاغة ومن جهة الفصاحة المعنويَّة، ومن جهة الفصاحة اللفظيَّة.

أمَّا النظر فيها من جهة علم البيان، وهو النظر في ما فيها من المجاز والاستعارة والكناية وما يتّصل بها، فنقول: إنّه عزّ سلطانه لما أراد أن يبيِّن معنى: أردنا أن نردّ ما انفجر من الأرض إلى بطنها فارتدّ، وأن نقطع طوفان السماء فانقطع، وأن يغيض الماء النازل من السماء، فغاض، وأن نقضي أمر نوح وهو إنجاز ما كنا وعدنا من إغراق قومه فقضي، وأن نُسوِّي[5] السَّفينة على الجودي فاستوت، وأبقينا الظَّلمة غرقى، بنى الكلام على تشبيه المراد بالمأمور الذي لا يتأتى منه لكمال هيبته العصيان، وتشبيه تكوين المراد بالأمر الجزم النافذ في

---

(١) تفسير الرازي: ١٧/ ٢٣٤ و٢٣٥.
(٢) في الأصل (موجهة) وهو تحريف وما أثبتناه من المفتاح وهو المناسب للسياق.
(٣) الواو في المفتاح ويقتضيها السياق.
(٤) في المفتاح (مرجع) والمثبت أقرب إلى السياق.
(٥) في (ظ) (يسوي) وهو تحريف ومخالف لنص المفتاح.

(تكوّن)[1] المقصود تصويراً لاقتداره العظيم، وأنَّ السماوات والأرض وهذه الأجرام العظام تابعة لإرادته إيجاداً وإعداماً، ولمشيئته فيها تغييراً وتبديلاً كأنَّها[2] عقلاء مميِّزون قد عرفوه حقّ معرفته وأحاطوا علماً بوجوب الانقياد لأمره والإذعان لحكمه، وتحتَّم بذل المجهود عليهم في تحصيل مراده، (وتصوّروا)[3] مزيد اقتداره، فعظُمتْ مهابته في نفوسهم، وضربت سرادقها[4] في أفنية[5] ضمائرهم، كما يلوح لهم إشارته كان المشار إليه مقدَّماً، وكما يرد عليهم أمره كان المأمور متمماً لا تلقى لإشارته بغير الإمضاء والانقياد، ولا لأمره بغير الإذعان والامتثال، ثم بنى على تشبيهه هذا نظم الكلام، فقال جلّ وعلا: «قيل» على سبيل المجاز عن الإرادة الواقع بسببها قول القائل، وجعل قرينة المجاز الخطاب للجماد وهي: يا أرْضُ ويَا سَمَاءُ، مخاطباً لهما على سبيل الاستعارة للشبه المذكور، ثمَّ استعار لغور الماء في الأرض (البلع) الذي هو إعمالُ الجاذبة في المطعوم للشبه بينهما، وهو الذهاب إلى مقرٍّ خفي، ثمَّ استعار الماء للغذاء استعارة بالكناية تشبيهاً له بالغذاء لِتَقَوِّي الأرض بالماء في الإنبات لِلزُّرُوعِ والأشْجَارِ تَقَوِّي الآكل بالطعام.

وجعل قرينة الاستعارة لفظة (ابْلَعِي) لكونها موضوعة للاستعمال في الغذاء دون الماء، ثمّ أمر على سبيل الاستعارة للشبه المقدَّم ذكره وخاطب في الأمر ترشحاً[6] لاستعارة النداء.

ثمّ قال: «مَاءَكِ» بإضافة الماء إلى الأرض على سبيل المجاز تشبيهاً لاتصال الماء بالأرض باتصال المِلْك بالمالك. واختار ضمير الخطاب لأجل الترشيح.

ثمَّ استعار[7] لاحتباس المطر (الإقلاع) الذي هو ترك الفاعل الفعل للشبه بينهما في عدم ما كان.

---

(١) في الأصل (يكون) وما أثبتناه هو الصواب ومن النسخة ظ والمفتاح.
(٢) في الطبعة المعتمدة من المفتاح (كأنهما)، وما في الأصل أقرب إلى السياق.
(٣) في الأصل (وتصوراً) وفي (ظ) (وتصويراً) والمثبت من المفتاح لانسجامه مع السياق.
(٤) السرادق: ما أحاط بالبناء. لسان العرب، مادة سرق.
(٥) الفناء سعة أمام الدار والجمع ـ أفنية. المصدر نفسه، مادة فني.
(٦) في النسخة (ظ) ترشيحاً.
(٧) في المفتاح (اختار) وما في الأصل أقرب إلى السياق.

ثــمَّ أمر على سبيل الاستعارة وخاطب في الأمر قائلاً «**أَقْلِعِي**» لمثل ما تقدَّم في «ابْلَعِي».

ثمّ قال: ﴿**وَغِيْضَ المَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ واسْتَوَت عَلَى الجُودِيِّ وَقِيْلَ بُعْداً**﴾[١] فلم يصرح بمن غَاض الماءَ، وبمن قضَى الأمرَ وسَوَّى السفينة، وقال (**بُعْداً**) كما (لم)[٢] يصرح بقائل يا أرض ويا سماء في صدر الآية، سلوكاً في كلّ واحد من ذلك لسبيل الكناية. إنّ تلك الأمور العظام لا تتأتى[٣] إلاّ من ذي قدرة لا يكتنه[٤]، قهار لا يغالب، فلا مجال لذهاب الوهم إلى أن يكون غيره جلّت عظمته قائل: يا أرض ويا سماء، ولا غائض (مثل)[٥] ما غاض، ولا قاضٍ مثل ذلك الأمر الهائل أو أن (تكون)[٦] تسوية السفينة وإقرارها بتسوية غيره وإقراره.

ثمّ ختم الكلام بالتعريض تنبيهاً لسالكي مسلكهم في تكذيب الرسل ظلماً لأنفسهم لا غير، ختم إظهار لمكان السخط ولجهة استحقاقهم إيّاه، وأنّ قيامة الطوفان وتلك الصورة الهائلة ما كانت إلاّ لظلمهم.

وأمّا النظر فيها من جهة[٧] **علم المعاني**، وهو النظر في فائدة كلّ كلمة فيها[٨] وجهة كلّ تقديم وتأخير فيما بين جملها فذلك أنّه اختير (يا) دون سائر أخواتها لكونها أكثر في الاستعمال، وأنَّها دالَّة على بعد المنادي الذي يستدعيه مقام إظهار العظمة، وإبداء شأن العزّة والجبروت، وهو تبعيد المنادي المؤذن بالتهاون به. ولم يقل: (يا أرْضِ) ـ بالكسر ـ لإمداد التهاون. ولم يقل (يا أيّتُها الأرض) لقصد الاختصار، مع الاحتراز عمّا في «أيتها» من تكلف التنبيه غير

---

(١) في النسخة المحققة من كتاب المفتاح النص مرتبك وفصل بعض الآية وجعلها كلاماً. المفتاح، ص ٤١٧ ـ ٤٢٢.

(٢) (لم) زيادة يقتضيها السياق ومن المفتاح.

(٣) في (ظ) (يتأتى) وهو تصحيف.

(٤) لا يكتنهه الوصف: لا يبلغ كنهه. انظر لسان العرب، مادة كنه: ١٣/ ٥٣٦.

(٥) (مثل) زيادة يقتضيها السياق من المفتاح.

(٦) في الأصل (يكون) وهو تصحيف من الناسخ، وما أثبتناه من النسخة ظ والمفتاح.

(٧) في المفتاح (من حيث).

(٨) في المفتاح (منها).

المناسب للمقام[1] واختير لفظ الأرض دون سائر أسمائها لكونه أخف وأدور، واختير لفظ السماء لمثل ما تقدَّم في الأرض، مع قصد المطابقة وستعرضها. واختير (لفظ)[2] (ابْلَعي) على (ابْتَلِعِي) لكونه أخصر، ولمجيء خط التجانس بينه وبين (اقلعي) أوفر. وقيل (ماءك) بالإفراد دون الجمع لما كان في الجمع من صورة الاستكثار المتأتي[3] عنها مقام إظهار الكبرياء والجبروت، وهو الوجه في إفراد الأرض والسماء. وإنَّما لم يقل ـ ابلعي ـ بدون المفعول أن لا يستلزم تركه ما ليس بمراد من تعميم الابتلاع للجبال والتلال والبحار، وساكنات الماء، بأسرهن نظراً إلى مقام عظمة وكبرياء. ثمّ إذا بيَّن المراد اختصر الكلام مع أقلعي احترازاً عن الحشو المستغنى عنه، وهو الوجه في أن لم يقل: قيل يا أرض ابلعي ماءك، فبلعت ويا سماء اقلعي فأقلعت. واختير غِيْضَ على غَيَّضَ ـ المشدد ـ لكونه أخصر، وقيل الماء (دون أن يقال: ماء طوفان السماء، وكذا الأمر)[4] دون أن يقال أمر نوح، وهو إنجاز ما كان الله وعد نوحاً من إهلاك قومه لقصد الاختصار، والاستغناء بحرف التعريف عن ذلك، ولم يقل سُوّيت على الجودي بمعنى أُقرَّت على نحو: قِيْلَ وغِيْضَ وقُضِيَ في البناء للمفعول، اعتباراً لبناء الفعل للفاعل مع السفينة في قوله: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ﴾ [هود/ ٤٢] مع قصد الاختصار في اللفظ. ثم قِيْلَ بُعداً لِلْقَومِ دون أن يقال: لِيَبْعُدِ القَوْمُ طلباً للتّأكيد مع الاختصار، وهو نَزَّلَ[5] بُعداً منزلة (لِيَبْعُدُوا بُعداً)، مع فائدة أخرى وهي[6] استعمال ـ اللام ـ مع بُعْداً الدّالُ على معنى أنّ البُعْدَ حقٌّ لهم ثمَّ أطلق الظلم ليتناول كلّ نوع، حتى يدخل فيه ظلمهم أنفسهم لزيادة التنبيه على فظاعة سوء اختيارهم في تكذيب الرسل، هذا من حيث النظر إلى تركيب الكلم.

---

(١) في المفتاح (بالمقام).

(٢) (لفظ) زيادة من المفتاح يقتضيها السياق.

(٣) في ظ (المتأبي).

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من النسختين وورد في المفتاح وبه يستقيم السياق.

(٥) في المفتاح (نزول).

(٦) في المفتاح (وهو).

وأمّا من حيث النظر إلى ترتيب الجمل فذلك[1] أنّه قدّم[2] النداء على الأمر فقيل ﴿يـا أرضُ ابْلَعِي وَيَا سَمَاءُ أقْلِعِي﴾ دون أن يقال ـ ابلعي يا أرض وأقلعي يا سماء ـ جرياً على مقتضى اللازم في من كان مأموراً حقيقة من تقديم التنبيه ليتمكن الأمر الوارد عقيبه في نفس المنادي، قصداً بذلك لمعنى الترشيح.

ثـمّ قـدم أمر الأرض على أمر السماء، وابتدئ (به)[3] لابتداء الطوفان منها ونزولها (لذلك في القصة)[4] منزلة الأصل والأصل بالتقديم أولى.

ثم أتبعهما قوله: «وَغِيْضَ المَاءُ» لاتصاله بقصة الماء وأخذه بحجزتها[5]، ألا ترى أنّ أصل الكلام «قِيْلَ يَا أرضُ ابْلَعِي مَاءَكِ» فبلعت ماءها، «ويا سماء أقلعي» (عن)[6] إرسال الماء فأقلعت عن إرساله»، وغيض الماء النازل من السماء فغاض.

ثمّ أتبعـه مـا هـو المقصـود من القصة وهو قوله: «وَقُضِيَ الأمْرُ» أي أنجز الموعود من إهلاك الكفرة، وإنجاء نوح ومن معه في السفينة.

ثـمّ أتبعـه حـديـث السفينـة وهو قوله: «وَاسْتَوَتْ عَلَى الجُوديِّ» ثمّ ختمت القصَّة بما ختمت. هذا كلّه نظر في الآية من جانب البلاغة.

وأمـا النظر فيها من جانب الفصاحة المعنوية فهي ـ كما ترى ـ نظم للمعاني لطيـف، وتأدية لها ملخصة مبينة (لا تعقيد يعثر)[7] الفكر في طلب المراد، ولا التواء (يشيك)[8] الطريق إلى (المرتاد)[9].

---

(١) في المفتاح (فذاك).
(٢) في المفتاح (قد تقدم).
(٣) (به) ساقطة من الأصل، وأثبتناها من المفتاح لمناسبتها للسياق.
(٤) في الأصل (في ذلك للقصة) وقد أثبتنا ما في المفتاح لمناسبته للسِّياق.
(٥) يقال: هذا كلام آخذ بعضه بحجزة بعض، أي متناظم متسق. أساس البلاغة، باب الحاء.
(٦) في الأصل (من) وقد أثبتنا ما في المفتاح لمناسبته للسياق.
(٧) في نسختي المخطوط (لا تعتقد تعثر) وهو مخالف للنصّ في المفتاح بطبعتيه ولسياق الجمل ومن تحريف النساخ وقد صحّحناه.
(٨) في الأصل (بتشبك) وفي النسخة ظ (لشيك)، وقد أثبتنا ما في المفتاح وهو أقرب إلى السياق.
(٩) في الأصل (المراد) وقد أثبتنا ما في المفتاح والنسخة ظ.

بل إذا جرَّبت نفسك عند استماعها وجدت ألفاظها تسابق معانيها، ومعانيها تسابق ألفاظها فما من لفظة (في)[1] تركيب الآية ونظمها تسبق إلى أذنك إلاً ومعناها أسبق إلى قلبك.

وأمّا النظر فيها من جانب الفصاحة اللفظية، فألفاظها على ما ترى عربيَّة مستعملة، جارية على قوانين اللغة، سليمة عن التنافر، بعيدة عن البشاعة، عذبة[2] على العذبات[3] سلسة على[4] الأسلات[5]. ولله درّ شأن التنزيل لا يتأمّل العالم آية من آياته إلاّ أدرك لطائف لا تسع الحصر. ولا تَظُنَنَّ الآية مقصورة على ما ذكرت فلعلَّ ما تركت أكثر ممَّا ذكرت. لأنَّ المقصود لم[6] يكن إلاّ مجرّد الإرشاد لكيفيَّة اجتناء ثمرات علمي المعاني والبيان»[7] انتهى.

وهو ـ كما ترى ـ كلام في غاية المتانة، وقول في غاية التحقيق والرصانة، اشتمل على أجوبة أسئلة مقدَّرة، وبيان وجوه من الإعجاز مقرَّرة، ولطائف من أسرار التنزيل محرّرة.

رحمه الله تعالى وضاعف غفرانه عليه ووالى، فلقد أحسن الصنيع وترك لنا كثيراً ممّا نبيِّنه من المعاني والبيان وأنواع البديع ونكتاً لا بدَّ من ذكرها، ومطوي أسرار يجب التعريف بنشرها.

فنقول وبالله التوفيق: الكلام على هذه الآية ينحصر في **أربعة أوجه**:

الأول: على تفسيرها من حيث الجملة وما يتعلّق به وينضم إليه، والتنبيه

---

(١) في الأصل (من) وقد أثبتنا ما في المفتاح لأنه الأقرب للسياق.

(٢) عذبة: طيبة. انظر لسان العرب، عذب: ١/ ٥٨٥.

(٣) العذبات: ج ـ عذبة ـ وهي طرف اللسان، المصدر السابق.

(٤) في المفتاح (سليسه) ومعناهما متقارب.

(٥) سلسة: لينة سهلة. انظر لسان العرب ـ سَلَسَ ـ ٦/ ١٠٦. أسلات: جمع أسلة وهي طرف اللسان، المصدر السابق: مادة أَسَل: ١٣/ ١٥.

(٦) (لم) مكررة في ظ.

(٧) المفتاح، ص ٤١٧ ـ ٤٢١.

على ما ذكره الأئمَّة الثلاثة المتقدِّمون[1] فيها وغيرهم، وبيان الصحيح من ذلك.

الثاني: في معاني كلماتها كلمة كلمة من حيث التفصيل في اللغة والإعراب.

الثالث: فيما ظهر لنا ولهم من الأسئلة الواردة عليها والأجوبة عن واحدٍ منها.

الرابع: فيما ظهر لنا فيها من المعاني والبيان وأنواع البديع سوى ما ذكره هؤلاء فيها.

وختمت ذلك بفصل في وجوه إعجاز القرآن العظيم.

---

(١) وهم: الإمام السكاكي صاحب المفتاح.
والإمام جار الله الزمخشري صاحب الكشاف.
والإمام فخر الدين الرازي صاحب التفسير الكبير.

الوجه الأول

إنّه لما قصّ[1] اللهُ تبارك وتعالى قصّة نوح في هذه السُّورة ـ سورة هود ـ عليه السلام، على نبيه محمّد ـ صلى الله عليه وسلم ـ على وجهٍ لم يذكره في غيرها من استيعاب وصفها، وإحكام أحكام ألفاظها ورصفها. فأخبر تعالى: أنّه لما تناهى أمر الطوفان العام، وأغرق أهل الأرض إلاّ أصحاب السفينة، أمر الأرض أن تبلع ماءها، أي الذي نبع منها، وأمر السماء أن تقلع عن المطر النّازل عنها أمراً حقيقياً، فبلعت الأرض الماء، الذي نبع منها، أي استردته، وأقلعت السماء عن المطر، أي أمسكت امتثالاً لأمر الله تعالى حقيقة، وغاض الماء السماوي، كما ذكره صاحب المفتاح[2] وهو المختار أو ماء الأرض وماء السماء كما قدّره صاحب الكشّاف[3].

وأهلك الله أهل الأرض قاطبةً، فلم يُبق منهم أحداً إجابة لدعوة نوح عليه السلام.

واستوت السفينة حينئذٍ على جبل الجودي، وقيل بعد ذلك (بُعْداً) أي: هلاكاً ولَعْناً للقوم الظالمين، أي قوم نوح الذين ظلموا نبيهم بتكذيبه وأنفسهم بالكفر بالله تعالى.

أما كون الطوفان عاماً: فلاجتماع[4] الأمم وأهل الملل[5] واتّفاق العلماء والمفسّرين، وللأدلة الواردة من الكتاب والسنة تلويحاً وتصريحاً.

---

(١) في النسخة ظ (قضى الله).

(٢) مفتاح العلوم، ص ٤١٧.

(٣) ما ذكره المصنّف لم أعثر عليه في الطبعة المعتمدة من الكشاف للزمخشري عند حديثه عن الآية الكريمة، ولا في أساس البلاغة له.

(٤) في ظ (فلا جماع).

(٥) خصصت الإصحاحات ٦، ٧، ٨ من سفر التكوين في التوراة لرواية الطوفان وفيها تناقضات صارخة. ولكنها تقرّ بأنّ الأرض تغطّت حتى قمم الجبال بالماء وتدمّرت فيها كلّ الحياة، وأنّ سبب الطوفان مزدوج من ماء المطر والينابيع الأرضية. وبعد سنة خرج نوح من السفينة التي رست على جبل ـ أراراط ـ المصدر: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، ص ٤٤ و٤٥ موريس بوكاي.

قال تعالى حاكياً عن نوح عليه السلام حين دعا ربه: ﴿لا تَذَرْ عَلَى الأرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّاراً﴾ [نوح ٧١/٢٦] أي: سَاكِنَ دَارٍ[١]، أو مَنْ يَدُورُ[٢].

قال المفسِّرون: فاستجاب الله له فأغرق من على وجه الأرض سوى أصحاب السفينة[٣].

وقال تعالى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيةً لِلْعَالَمِيْنَ﴾ [العنكبوت ٢٩/١٥] وقوله: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَه في الفُلْكِ المَشْحُونِ، ثُمّ أغْرَقْنَا بَعْدُ البَاقِيْنَ﴾ [الشعراء ٢٦/١١٩ ـ ١٢٠] أي: الذين بقوا فلم يركبوا السفينة[٤].

وقال رسول الله ﷺ في حديث الشفاعة حكايةً عن نوح: «وكانت لي دعوة فدعوت بها على قومي»[٥]، وقومه أهل الأرض كما سيأتي، وهذا متّفق عليه. وفي صحيح البخاري أيضاً عن أنس عن النبي ﷺ قال: «يجتمع المؤمنون يوم القيامة..» الحديث وفيه: «ائتوا نوحاً فإنّه أوّل[٦] رسول بعثه الله إلى أهل الأرض فيأتونه»[٧] وذكر تمام الحديث. وهذا أيضاً متّفق عليه.

وقال شيخنا العلاّمة شيخ الإسلام، وحافظ الشام، أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي[٨]، رحمه الله، في كتابه البداية والنهاية: «قال جماعة من المفسرين: ارتفع الماء على أعلى جبل في الأرض خمسة عشر ذراعاً، وهو الذي

---

(١) تفسير الفخر الرازي.

(٢) ينظر مجمع البيان: ١٠/ ٥٤٥، ٥٤٨.

(٣) انظر مجمع البيان: ١٠/٥٤٨.

(٤) مجمع البيان: ٧/٣٠٨.

(٥) في صحيح مسلم «وأنه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي»، وهو من حديث طويل رواه مسلم: ١/ ١٢٥ ـ ١٢٧.

(٦) (أول) مكررة في النسخة ظ.

(٧) البخاري: ٦/ ٤٢.

(٨) هو إسماعيل بن عمر بن كثير عماد الدين: حافظ ومؤرخ وفقيه ولد في الشام ٧٠١هـ وتوفي ٧٧٤هـ وله إضافة إلى ما ذكر «تفسير القرآن الكريم» و «شرح صحيح البخاري» و «جامع المسانيد» وغيرها.
من مصادر ترجمته: الدرر الكامنة: ١/ ٣٧٣، البدر الطالع: ١/ ١٥٣، شذرات الذهب: ٦/ ٢٣١ والأعلام: ١/ ٣٢٠، والدارس: ١/ ٣٦.

عند أهل الكتاب، وقيل ثمانين ذراعاً، وعمّ جميع الأرض طولها والعرض، سهلها وحزنها[1] وجبالها وقفارها[2] ورمالها، ولم يبق على وجه الأرض ممّن كان بها من الأحياء عين تطرف، ولا صغير ولا كبير.

قال مالك بن أنس[3] عن زيد بن أسلم[4]: «كان أهل ذلك الزمان قد ملأوا السهل[5] والجبل».

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم[6]: لم تكن بقعةٌ في الأرض إلا ولها مالك وحائز. رواهما ابن أبي حاتم[7] في تفسيره والتواريخ التي أرّخت بها الأمم كلها مصحّحة على الطوفان.

فأولها: تأريخ الإسكندر، وهو اسكندر الثاني بن فيلقوس المقدوني الرومي اليوناني، أرّخت به، والسريان ذكروا أنَّ بينه وبين الطوفان ألفي سنة وسبع مائة سنة واثنتين وتسعين سنة ومائة وثلاثة وتسعين يوماً.

وثانيها: تأريخ دقلطيانوس آخر ملوك القبط بمصر بينه وبين الطوفان ثلاثة آلاف سنة وسبعة وثمانون سنة وثلاث مائة وتسعة أيام[8].

---

(١) الحزن: ما غلظ من الأرض. انظر، لسان العرب، حزن: ١٣/ ١١٢.

(٢) قفار: جمع مفردة: القفر والقفرة وهو الخلاء من الأرض. المصدر السابق، قفر: ٥/ ١١٠.

(٣) في البداية والنهاية (قال الإمام مالك عن زيد..)
والإمام مالك هو إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة، توفي سنة ١٧٩هـ.
من مصادر ترجمته: الديباج المذهب، ص ١٧، وتهذيب التهذيب: ١٠/ ٥ والاعلام: ٥/ ٢٥٨.

(٤) هو زيد بن أسلم العدوي، فقيه مفسر من أهل المدينة توفي سنة ١٣٦هـ.
من مصادر ترجمته تهذيب التهذيب: ٣/ ٣٩٥، والأعلام: ٣/ ٥٧.
طبقات المفسرين للداوودي: ١/ ١٧٦. ولم أعثر على روايته هذه.

(٥) (السهل) مكررة في النسخة (ظ).

(٦) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المدني، روى عن أبيه وعن ابن المنكدر وروى عنه أصبغ وقتيبة وهشام. توفي ١٨٢هـ.
الكاشف: للإمام الذهبي: ٢/ ١٤٦، طبقات المفسرين للداوودي: ١/ ٢٦٥.

(٧) هو عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم بن إدريس بن المنذر الحنظلي الرازي له عدد من المصنّفات منها: (التفسير) في عدّة مجلّدات. توفي سنة ٣٢٧هـ.
من مصادر ترجمته: تذكرة الحفاظ: ٣/ ٤٦، والأعلام: ٣/ ٣٤٢، طبقات المفسّرين للداوودي: ١/ ٢٧٩.

(٨) في النسخة ظ: (وسبعة وثمانون سنة وخمسة وعشرون سنة وستة وأربعون يوماً).

وثالثها: تأريخ الهجرة وبينه وبين الطوفان ثلاثة آلاف سنة وسبعمائة[(١)].

ورابعها: تـأريـخ يزدجرد آخر ملوك الفرس وبينه وبين الطوفان ثلاثة آلاف سنة وسبعمائة سنة وخمسة وثلاثون سنة وثلاثمائة وثلاثة وعشرون يوماً.

فهذه التواريخ المصححة بالأرصاد وعليها العمل إلى قيام الساعة كما ذلك في كتابنا «الاعلام بتأريخ الإسلام»[(٢)]. وكلّها مُصَحَّحة على الطوفان، فدلّ على أنّهم لا يشكّون في عمومه مع تباين ما بينهم، والله أعلم.

ولو لم يكن الطوفان عاماً للأرض ومن عليها، لم يكن يحمل نوح عليه السـلام معـه فـي السفينـة من كلٍّ من صنوف المخلوقات ذوات الأرواح زوجين اثنين، ذكر وأنثى كما أمره الله تعالى حتى قيل إنَّه حمل من النبات أيضاً[(٣)].

وروي أنَّه أول ما أدخـل معه من الطيور الدرَّة وآخر ما أدخل من الحيوانات الحمار، فدخل إبليس متعلقاً بذنبه[(٤)].

وذكر أبو عبيدة[(٥)] بن عبدالله بن مسعود، أنهم لم يستطيعوا أن يحملوا معهم الأسد حتى ألقيت عليه الحمى[(٦)].

وروى ابـن أبـي حـاتـم بإسناد جيِّد عن زيد بن أسلم عن أبيه[(٧)] أنَّ رسول

---

(١) في تأريخ الجزري «بينه وبين الطوفان ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمس وعشرون سنة وسبعة وأربعون يوماً».

(٢) لقد عثرت على هذه التواريخ في (تأريخ الجزري) المخطوط في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم ٤٤، ٩٠٠ تأريخ، وهو ملخص من تأريخ الذهبي وعنوانه: تأريخ الجزري، ولعله هو المقصود الذي يشير إليه المصنّف هنا، لوجود نفس المعلومات التي أشار إليها فيه، وينظر: الخطط المقريزية: ١/ ٤٥٤ ـ ٤٦١.

(٣) انظر التفسير الكبير للفخر الرازي: ١٧/ ٢٢٧.

(٤) تفسير ابن كثير: ٣/ ٥٥٢، والبداية والنهاية: ١/ ١١١ وفي تفسير الطّبري: ١٥/ ٣١٤ (الذرة) بالذال.

(٥) أبو عبيدة هذا: هو عامر بن عبدالله بن مسعود الهذلي، وروى عن أبيه وعن عائشة وأبي موسى، وروى عنه خصيف، مات ٨٣هـ.
انظر الكاشف للإمام الذهبي: ٢/ ٥١.

(٦) تفسير ابن كثير: ٣/ ٥٥٢.

(٧) هو أسلم أبو زيد ـ روى عن أبي بكر ومعاذ، وروى عنه ابنه زيد ونافع. مات سنة ٨٠هـ، من مصادر ترجمته: الكاشف للذهبي: ١/ ٦٨، الإصابة: ١/ ٣٨ (وزيد سبقت ترجمته).

الله ﷺ قال: لما حمل نوح في السفينة من كلّ زوجين اثنين، قال أصحابه: وكيف نطمئن أو تطمئن المواشي ومعنا الأسد، فسلّط الله عليه الحمى، فكانت أوّل حمى نزلت الأرض، الحديث[1].

وقد اجتمعت الأمم قاطبة على أنَّ نوحاً عليه السلام هو الأب الثاني، وأنَّ بني آدم الموجودين اليوم في أقطار الأرض من ذريته من بنيه الثلاثة حام وسام ويافث كما هو مقرَّر بنصّ القرآن. قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ البَاقِيْنَ﴾ [الصافات ٣٧/ ٧٧].

وإنَّما بسطنا الكلام في ذلك وإن كنَّا قد خرجنا عن المقصود، لأنَّ بعض من كان من ملوك زماننا أنكر ذلك، فكتب له بعض الناس ما وافق رأيه رجماً بالغيب، وطلباً للقرب، ولبسط ذلك بحقه موضع غير هذا وسيجيء ممّا[2] يحقّق ذلك من نداء الأرض والسماء ما يفيد العموم، ومن طواف السفينة ما بين المشرق والمغرب مدّة مائة وخمسين يوماً، ومن رفع البيت لئلاَّ يصيبه الغرق، ومن طواف السفينة به وغير ذلك، والله أعلم.

وعلى ما قرّر يجيء السؤالان اللّذان استشكلهما الإمام فخر الدِّين الرازي وغيره.

أحدهما: كيف يليق بحكمة الله تبارك[3] وتعالى تغريق[4] الأطفال بسبب جرم الكفار؟ ثمّ أجاب عنه بقول بعض المفسرين: إنّ الله (تعالى)[5] أعقم أرحام نسائهم قبل (الغرق)[6] بأربعين سنة، ثمَّ أورد على ذلك:

---

(١) ورد في تفسير ابن كثير: ٣/ ٥٥٢.
وبنفس المعنى في الدر المنثور: ٣/ ٣٢٧ و٣٢٨.
والحديث متناً وسنداً في البداية والنهاية للحافظ ابن كثير: ١/ ١١١.

(٢) في النسخة ظ (ما).

(٣) (تبارك) زائدة ليست في التفسير.

(٤) في التفسير الكبير (أن يغرق).

(٥) (تعالى) ساقطة وثبتناها من التفسير.

(٦) في الأصل (قبل ذلك) وقد ثبتنا ما في التفسير لمناسبته للسياق.

أنَّـه (لو كان كذلك لكانت آية عجيبة)[1] يبعد مع ظهورها استمرارهم على الكفر[2].

قـلت: قـد ذكر محيي السنة البغوي[3]، رحمه الله، في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلاَ يَلِدُوا إلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً﴾ [نوح ٧١/ ٢٧].

«قال محمّد بن كعب[4] ومقاتل[5] والربيع يعني ابن أنس[6] وغيرهم:

إنَّما قال نـوح هـذا حين أخرج الله تعالى[7] كلّ مؤمن من أصلابهم وأرحام نسائهم، و (أعقم)[8] أرحام نسائهم، وأيبس أصلاب رجالهم قبل العذاب بأربعين سنـة، وقيـل بتسعيـن[9] سنة، وأخبر الله تعالى نوحاً أنهم لا يؤمنون ولا يلدون مؤمناً، فحينئذٍ دعا عليهم نوح فأجاب الله دعاءه وأهلكهم كلهم، ولم يكن فيهم صبي وقت العذاب، لأن الله تعالى قال: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لمّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أغْرَقْنَاهُمْ﴾ [الفرقان ٢٥/ ٣٧]، ولـم يجد[10] التكذيب من الأطفال»[11] انتهى.

---

(١) في تفسير الرازي (لو كان الأمر على ما ذكرتم لكان ذلك آية عجيبة قاهرة).

(٢) تفسير الرازي: ١٧/ ٢٣٤ و٢٣٥.

(٣) هو الحسين بن مسعود بن محمد الفراء أبو محمد، فقيه محدث مفسر نسبته إلى (بغا) من قرى خراسان، توفي سنة ٥١٠هـ.
من مصادر ترجمته: وفيات الأعيان: ١/ ١٤٥، والأعلام: ٢/ ٢٥٩.

(٤) هو محمد بن كعب القرظي روى عن عائشة وأبي ذر وأبي هريرة وروى عنه يزيد بن الهاد وعبد الرحمن بن أبي الموالي. توفي ١٠٨هـ. الكاشف للذهبي: ٣/ ٨١.

(٥) هو مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي من أعلام المفسرين، توفي في البصرة سنة ١٥٠هـ.
من مصادر ترجمته: تهذيب التهذيب: ١٠/ ٢٧٩، وميزان الاعتدال: ٣/ ١٩٦، والأعلام: ٧/ ٢٨١.

(٦) هو الربيع بن أنس: بصري نزل خراسان وروى عن أنس وأبي العالية، وروى عنه الثوري وابن المبارك. توفي ١٣٩هـ.
ترجمته: الكاشف للذهبي: ١/ ٢٣٤، ٢٣٥.

(٧) (تعالى) ليست في تفسير البغوي.

(٨) في الأصل (إعقام) وقد أثبتنا ما في تفسير البغوي لمناسبته للسياق.

(٩) في تفسير البغوي (سبعين).

(١٠) في تفسير البغوي (لم يوجد) وهو الصواب.

(١١) تفسير البغوي، هامش تفسير الخازن: ٧/ ١٥٧.

وهذا الذي ذكره البغوي عن هؤلاء المذكورين وغيرهم عندي فيه نظر لأنَّه لم يرد فيه عن النبي ﷺ حديث يعتمد عليه، بل ورد ما يخالفه ويردُّه. فأخبرني شيخنا القاضي العالم أبو عبدالله محمّد بن سليمان الأنصاري[(١)] فيما شافهني به سنة ست وستين عن شيخه الإمام فخر الدين عليّ بن البخاري[(٢)] أنبأنا (داود بن محمّد بن الفاخر)[(٣)] في كتابه. أخبرتنا أم البهاء فاطمة بنت محمّد بن أحمد بن الحسين البغدادية[(٤)]، أنبأنا أحمد بن الفضل الباطرقاني[(٥)]، أنبأنا عبدالله بن أحمد ابن عبد الوهاب[(٦)]، أنبأنا أبو عمرو أحمد بن محمَّد ابن الحكيم المدني[(٧)]، أنبأنا محمّد بن أبي حاتم الحافظ[(٨)] قال: قرئ على يونس بن عبد الأعلى[(٩)]، أنبأنا ابن

---

(١) هو محمد بن سليمان المقدسي. مقرىء، ولي قضاء المدينة ثم قضاء المقدس. من كتبه: «النجوم الزاهرة في السبعة المتواترة». ترجمته النجوم الزاهرة: ١/٢٠٦، وشذرات: ٦/٢٧٧. والدرر: ٤/٧١، والأعلام: ٦/١٥٠.

(٢) هو علي بن أحمد بن عبد الواحد المقدسي ـ المعروف بابن البخاري إمام ثقة، روى الحروف من كتاب الإيجاز لسبط الخياط، توفي ٦٩٠هـ. ترجمته في الأعلام: ٤/٢٥٧، وفي غاية النهاية: ١/٥٢٠، وشذرات الذهب: ٥/٤١٤.

(٣) لم أعثر على اسم بهذا التسلسل في كتب التراجم.
والظاهر أن بعض الأسماء سقط، ولا يبعد أن يكون ابن الجوزي بين ابن البخاري وابن الفاخر فهو أخذ عن ابن الفاخر وأخذ عنه ابن البخاري، وابن الفاخر هو: معمر بن عبد الواحد توفي ٥٦٤، الأعلام: ٧/ ٢٧٢.
وابن الجوزي هو: عبد الرحمن بن علي توفي ٥٩٧هـ، الأعلام: ٣/٣١٦.

(٤) وهي محدثة ذات دين وصلاح وسند ورواية في الحديث ولدت ٤٤٠هـ.
وسمعت من أبي الفضل عبد الرحمن الرازي وغيره، توفيت ٥٣٩هـ.
من مصادر ترجمتها: أعلام النساء: ٤/١٠١ و١٠٢، مرآة الجنان لليافعي: ٣/ ٢٧١، شذرات الذهب لابن عماد: ٤/١٢٣.

(٥) هو أحمد بن الفضل بن محمد بن أحمد أبو بكر الباطرقاني الأصبهاني، ولد ٣٧٢هـ، أستاذ كبير ومحدث ثقة قرأ على محمد بن جعفر الخزاعي. وتوفي ٤٦٠هـ. ترجمته في: شذرات الذهب: ٣/٣٠٨، وغاية النهاية: ١/٩٦ و٩٧، المعين، ص ١٣٢.

(٦) لم أعثر على ترجمتيهما.

(٧) لم أعثر على ترجمتيهما.

(٨) هو محمد بن إدريس الحنظلي الرازي، كان عالماً بالحديث روى عنه النسائي وغيره، مات ٢٧٧هـ، ترجمته طبقات الحنابلة، ص ٢٠٦.

(٩) هو يونس بن عبد الأعلى أبو موسى الصدفي أحد الأئمة، روى عن ابن عيينة والوليد بن مسلم وروى عنه الطحاوي وأبو الطاهر المديني مات ٢٦٤هـ، الكاشف للذهبي: ٣/٢٦٦.

وهب[(١)]، أخبرني شبيب بن سعيد[(٢)] عن أبي الجوزاء[(٣)] عن ابن عباس[(٤)] رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لَوْ رَحِمَ اللهُ مِنْ قَوم نُوح أحداً لَرَحِمَ امْرأةً لَمَّا رَأَتِ المَاءَ حَمَلَتْ وَلَدَها، صَعَدَتِ[(٥)] الجَبَلَ، فَلَمّا بَلَغَهاً المَاءُ صَعَدَتْ بِهِ مَنكِبَها، فَلَمّا بَلَغَ المَاءُ منكبها وَضَعَت وَلَدَهَا عَلَى رَأْسِهَا، فَلَمّا بَلَغَ رَأْسَهَا، رَفَعت وَلَدَهَا بِيَدِهَا. فَلَوْ رَحِمَ اللهُ مِنْهُم أحَداً لَرَحِمَ هَذِهِ المَرْأَةَ». هذا حديث متصل الإسناد كما تراه، ورجال إسناده ثقات[(٦)].

وقد روينا نحوه من حديث عائشة رضي الله عنها، فيما أخبرنا الشيخ أبو العباس أحمد بن محمّد بن الحسين البنا[(٧)] مشافهة في سنة سبعين وسبعمائة عن الإمام أبي الحسن علي بن أحمد المقدسي[(٨)]، أنبأنا الإمام أبو الفتوح (العجلي)[(٩)] في كتابه، أنبأنا أبو القاسم الطلحي الحافظ[(١٠)] أنبأنا أحمد بن عليّ بن خلف[(١١)] أنبأنا أبو عبدالله محمّد بن علي

---

(١) هو ابن وهب بن منبه. روى عن أبيه، ميزان الاعتدال: ٤/٥٩٧، الكاشف: ٣/٣٧٩.

(٢) هو شبيب بن سعيد الحبطي، روى عن أبان بنتغلب ويونس بن سعيد، وروى عنه ابنه أحمد وابن وهب: الكاشف للذهبي: ٢/٤.

(٣) أبو الجوزاء: هو أوس بن عبدالله ـ تابعي روى عن ابن عباس وعائشة وعبدالله بن عمر. ترجمته: الإكمال: ٢/١٦٦، الكاشف: ١/٨٩، الاستغناء: ١/٥٣٩.

(٤) هو عبدالله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي. ابن عم الرسول ﷺ صحابي ولد بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين ورويت عنه أحاديث كثيرة، توفي بالطائف ٦٨هـ، ترجمته: صفة الصفوة: ١/٣١٤، الأعلام: ٤/٩٥.

(٥) في تفسير ابن كثير (ثم صعدت) وهو الصواب.

(٦) هذا حديث غريب ورجاله ثقات. تفسير ابن كثير: ٧/١٢٨ و١٢٩.

(٧) هو أبو العباس الفيروزابادي ثم الصالحي الحنبلي المعروف بـ(ابن غلش البنا). سمع من ابن البخاري وقرأ عليه المصنّف ابن الجزري. غاية النهاية: ١/١١١.

(٨) سبقت ترجمته وهو المعروف بابن البخاري.

(٩) في الأصل (العجل) وقد صححناه اعتماداً على كتب التراجم.

(١٠) هو إسماعيل بن محمد بن الفضل الطلحي الأصبهاني، أبو القاسم من أعلام الحفّاظ. ولد ٤٥٧هـ. وتوفي ٥٣٥هـ، من كتبه «الجامع» في التفسير، و «دلائل النبوة» ترجمته: شذرات الذهب: ٤/١٠٥ و١٠٦، الوافي بالوفيات: ٩/٢٠٨.

(١١) هو أبو بكر بن خلف الشيرازي. مسند خراسان، أحمد بن علي بن عبدالله بن عمر بن خلف، روى عن الحاكم وطائفة. الوافي: ٧/١٨، ترجمته: شذرات الذهب: ٣/٣٧٩ و٣٨٠، العبر: ٣/٣١٥.

الحافظ[١]، أنبأنا أبو النضر الفقيه[٢]. . . أنبأنا عثمان بن سعيد[٣] (حدثنا سعيد)[٤] بن أبي مريم[٥]، أنبأنا موسى بن يعقوب (الزمعي)[٦]، حدثني فائد[٧] مولى عبيدالله بن عليّ بن أبي رافع[٨]: أنّ إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي (ربيعة[٩])[١٠] أخبره أنَّ عائشة زوج النبيّ ﷺ ورضي عنها أخبرته أنَّ النبي ﷺ قال: «لو رحم الله أحداً من قوم نوح لرحم أمّ الصبي»[١١].

قال رسول الله ﷺ: «كَانَ نُوحُ عَلَيهِ السَّلامُ مَكَثَ فِي قَومِهِ ألفَ سَنَةٍ إلاَّ خَمْسِينَ عَاماً يَدعُوهُم حَتّى كان آخر زمانه غَرَسَ[١٢] شَجَرةً فَعَظُمَتْ وَذَهَبَتْ كُلَّ مذهب، ثمّ قطعها ثمّ جعل (يعملها)[١٣] سفينة، ويمرّون فيسألونه فيقول: أَعْمَلُها سَفِينَةً، فَيَسْخَرُونَ مِنهُ وَيَقُولُونَ: تَعْمَلُ سَفِينَةً في البر كيف تجري!!؟ قال:

---

(١) هو محمد بن عليّ بن عبدالله بن رحيم الصوري الساحلي توفي ببغداد ٤٤١هـ ترجمته شذرات: ٣/ ٢٦٧.

(٢) هو الإمام محمد بن محمد بن يوسف أبو النضر الشافعي ـ مفتي خراسان ـ روى عن عثمان بن سعيد الدارمي، توفي ٣٤٤هـ. ترجمته شذرات الذهب: ٢/ ٣٦٨.

(٣) عثمان بن سعيد الدارمي السجستاني محدث ولد ٢٠٠هـ وتوفي في هراة ٢٨٠هـ ترجمته الأعلام: ٤/ ٢٠٥.

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من النسختين وقد أثبتناه اعتماداً على المستدرك وفيه: «عثمان بن سعيد الدارمي حدثنا سعيد بن أبي مريم، وهو الصواب» المستدرك: ٢/ ٣٤٢.

(٥) سعيد بن أبي مريم: سعيد بن الحكم بن محمد بن سالم بن أبي مريم الجمحي ـ ثقة، روى عنهم جماعة منهم الدارمي. ولد ١٤٤هـ ومات ٢٢٤. ترجم في: تذكرة الحفاظ: ١/ ٣٩٢، الاستغناء: ٢/ ٨٦٨.

(٦) هو موسى بن يعقوب بن عبدالله بن وهب بن زمعة. روى عن أخيه محمد وعميه مرثد ويزيد وغيرهم. ترجمته: تهذيب التهذيب: ١٠/ ٣٧٨، الكاشف: ٣/ ١٦٨، الاستغناء ٢/ ١١٨٥.

(٧) فائد وهو مولى عبدالله بن علي بن أبي رافع وقد وثقه ابن معين. ترجمته الكاشف: ٢/ ٣٢٥ ـ تهذيب التهذيب: ٨/ ٢٥٦.

(٨) عبيدالله بن علي بن أبي رافع، روى عن ابن المسيب وغيره. الكاشف: ٢/ ٢٠٢.

(٩) في الأصل (إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي رافع) وهو تصحيف، وقد صححناه اعتماداً على المستدرك، وتفسير الطبري: ١٢/ ٢١٨، والبداية والنهاية: ١/ ١١٣.

(١٠) إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي المدني ـ الكاشف: ١/ ٤١ وتهذيب التهذيب: ١/ ١٣٨.

(١١) الحديث في تاريخ الطبري مع اختلاف في السند: ١/ ١٨٠.

(١٢) في (ظ) (غرز).

(١٣) في الأصل والنسخة ظ (منها) وقد أثبتنا ما في المستدرك.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [هود ١١/ ٣٩]. فَلَمّا فَرَغَ منهَا، فَارَ التَّنُورُ وَكَثُرَ المَاءُ في السكَكِ، خَشيَتْ أمُّ الصَّبيِّ عَلَيْهِ وَكَانَتْ تُحبّه حباً شديداً. فَخَرَجَتْ إلى الجَبَلِ حَتّى بَلَغَتْ ثُلُثَهُ، فَلَمّا بَلَغَهَا المَاءُ خَرَجَتْ بِهِ حَتّى استَوَتْ عَلَى الجَبَل، فَلَمَّا بَلَغ المَاءُ رَقَبَتَها رَفَعَتْهُ بِيَدِهَا حَتّى ذَهَبَ بِهِما المَاءُ. فَلَوْ رَحِمَ الله مِنْهُم أَحَداً لَرَحِمَ أمَّ الصَّبِيِّ»[١]. وهذا حديث حسن الإسناد أخرجه الحاكم في صحيحه وهذا لفظه[٢]. ورواه الإمامان أبو جعفر الطبري. وابن أبي حاتم في (تفسيريهما)[٣] من حديث موسى بن يعقوب[٤].

وقد رويت قصة هذا الصبيّ وأمّه أيضاً عن كعب الأحبار[٥] ومجاهد بن جبر[٦] وغيرهما من أهل التفسير[٧]، فظهر أنَّ الإغراق كان للكافرين من قوم نوح وأولادهم صغارهم وكبارهم.

قلت: والجواب عن ذلك من أوجه:

أحدها: أنَّ الله تعالى أعلم بما كانوا عاملين، وأنَّه علم أنَّهم يكونون كآبائهم كفاراً، كما ثبت من حديث ابن عباس أنَّه سئل ﷺ عن ذراري المشركين، فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين[٨].

والثاني: أنَّ دعوة نوح عليه السلام بإهلاكهم كانت متقدّمة إغراقهم بسنين

---

(١) الحديث مع اختلاف يسير في الألفاظ في تأريخ الطبري: ١/ ١٨٠. وكذا في تفسير ابن كثير: ٣/ ٥٥٥، وفي مجمع البيان: ٧/ ١٤٩، وفي الدرّ المنثور: ٣/ ٣٢٧، وكنز العمّال: ٢/ ٤٣٨.
(٢) المستدرك: ٢/ ٣٤٢.
(٣) في الأصل والنسخة ظ (تفسيرهما) وهو تحريف والصواب ما أثبتناه.
(٤) تفسير ابن كثير: ٣/ ٥٥٥ وفيه (يعقوب بن موسى الزمعي) والصحيح موسى بن يعقوب وقد مرت ترجمته.
(٥) هو كعب بن مانع بن ذي هجن الحميري، أبو إسحاق، تابعي. كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن، أسلم في زمن أبي بكر ثم خرج إلى الشام فسكن حمص وتوفي فيها عن مائة وأربع سنين. توفي ٣٢هـ.
من مصادر ترجمته: الأعلام: ٥/ ٢٢٨، وحلية الأولياء: ٥/ ٣٦٤، وتذكرة الحفاظ: ١/ ٤٩.
(٦) هو مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي، مولى بني مخزوم، تابعي. مفسّر من أهل مكة، مات سنة ١٠٤هـ.
من مصادر ترجمته: غاية النهاية: ٢/ ٤١، وصفة الصفوة: ٢/ ١١٧، والأعلام: ٥/ ٢٧٨.
(٧) تفسير ابن كثير: ٣/ ٥٥٥.
(٨) صحيح البخاري ـ الجنائز: ١/ ١٥٣، وسنن أبي داود: ٥/ ٨٤ و٨٥.

عديدة، كما دلَّت عليه الأحاديث. وقد أخبر أنَّهم لا يلدون إلاَّ فاجراً كفَّاراً[(١)]. ولا شكّ أنَّ ذلك كان بإعلام من الله تعالى[(٢)]، فعلم منهم ما علم الخضر[(٣)] من الغلام فلا إشكال والله أعلم.

وأمَّا ما حكاه بعض المفسِّرين من أنَّه «ما نجا من الغرق غير عوج بن عنق[(٤)] كان الماء إلى حجزته، وكان سبب نجاته أنَّ نوحاً احتاج إلى خشب ساجٍ للسفينة فلم يمكنه (نقله فحمله)[(٥)] عوج إليه من الشام فنجاه الله تعالى من الغرق لذلك[(٦)]، وهذا كذب صراح.

والعجب من مثل البغوي كيف حكاه وهو مخالفٌ لنصّ القرآن، من مفتعلات الإسرائيليين ومختلقاتهم وتمسخراتهم المخالفة للعقل والنقل، وكم من حكاية يحكونها عن عوج هذا. وهل أبقى الله تعالى واحداً من الكافرين؟ وهل خلق الله تعالى واحداً بعد آدم عليه السلام أطول منه؟ مع صريح قوله ﷺ «إنّ الله خلق آدم وطوله ستون ذراعاً ثمّ لم يزل الخلق ينقص حتى الآن»[(٧)].

قال شيخنا العلاَّمة ابن كثير في تأريخه: «والمقصود أنَّ الله لم يبق من الكافرين ديَّاراً، فكيف يزعم بعض المفسِّرين أنَّ عوج بن عنق، ويقال (ابن)[(٨)] عناق كان موجوداً قبل[(٩)] نوح إلى زمان موسى ويقولون كان كافراً، متمرّداً، جبَّاراً،

---

(١) حكي القرآن الكريم على لسان نوح عليه السلام ذلك: ﴿إنّك إن تَذَرْهُم يُضِلُّوا عِبادَكَ وَلاَ يَلِدُوا إلاّ فَاجِراً كفّاراً﴾ [نوح ٧١/ ٢٧].

(٢) في ظ (من الله له).

(٣) الخضر: أشار إليه القرآن الكريم في حواره مع سيدنا موسى عليه السلام في الكهف: ٦٥ ـ ٨٢، وقد اختلف في حياته ونبوته وقد قال بنبوته وحياته جمهور من العلماء. النووي شرح صحيح مسلم: ١٥/ ١٣٥ و١٣٦.

(٤) قال في منجد الاعلام: مذكور في التوراة، منجد الأعلام، ص ٤٩٧.

(٥) في الأصل (نقلها فحملها) وهو مخالف للسياق وللنص في تفسير البغوي وقد صحّحناه.

(٦) تأريخ الطبري: ١/ ١٨٥، وتفسير البغوي: ٣/ ٢٣٤، مع اختلاف يسير.

(٧) رواه البخاري: ٤/ ٤٦٥، ومسلم: ١٧/ ١٧٨، ومسند أحمد: ٢/ ٣١٥. مع اختلاف في اللفظ، وقد وجدت الرواية نصاً في البداية والنهاية لابن كثير: ١/ ١١٤.

(٨) ما بين الحاصرتين ساقط من النسختين وقد أثبتناه من البداية والنهاية.

(٩) في البداية والنهاية (من قبل نوح).

عنيداً، ويقولون كان لغير رشده ولدته أمه عنق بنت آدم، (من زنا وأنه)[1] كان يأخذ من طوله السمك من قرار البحار، ويشويه في عين الشمس، وأنّه كان يقول لنوح وهو في السفينة: ما هذه القصيعة[2] التي لك؟ ويستهزئ به، ويذكرون أنَّه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع، وثلاثمائة و(ثلاثة وثلاثين ذراعاً وثلثاً)[3]، إلى غير ذلك من الهذيانات، التي لولا أنّها مسطَّرة في كثيرٍ من كتب التفاسير وغيرها من التواريخ وأيّام الناس لما تعرّضنا لحكايتها، لسقاطتها وركاكتها، ثمَّ أنّها مخالفة للمعقول والمنقول.

أما العقل فكيف يسوغ فيه أن يهلك الله ولد نوح لكفره[4]، وأبوه نبيُّ الأمة وزعيم أهل الإيمان، ولا يهلك عوج بن عنق، وهو أظلم وأطغى على ما ذكروا، وكيف لا يرحم الله منهم أحداً ولا أم الصبي ولا الصبي ويترك هذا الدعي الجبار العنيد الفاجر الشديد؟

وأمّا المنقول فقد قال الله تعالى: ﴿**ثم أغرقنا الآخرين..**﴾ [الشعراء ٢٦/٦٦] وقال: ﴿**ربّ لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً**﴾[5] [نوح ٧١/٢٦]، ثمّ هذا القول الذي ذكروه مخالف لما ثبت في الصحيحين «يعني الحديث المتقدّم»[6] انتهى.

والثالث: الذي أخبرنا به شيخ الفقهاء أبو بكر محمّد بن محمّد بن أحمد بن محمّد (الشريشي)[7] رحمه الله، فيما شافهني به بالمدرسة الإقباليّة داخل دمشق المحروسة سنة ست وستين وسبعمئة عن أبي الفضل أحمد بن (هبة) الله بن

---

(١) ما بين الحاصرتين من البداية والنهاية، وفي النسختين (من رواية) وهو تحريف.
(٢) القصيع: المردود الخلق بعضه إلى بعض فليس يطول. انظر لسان العرب/ مادة قصع: ٨/ ٢٧٥.
(٣) في الأصل (ثلاثة آلاف ذراع وثلاثمائة وثلاثين ذراعا) وقد أثبتنا ما في البداية والنهاية.
(٤) هو الابن الرابع لنوح عليه السلام، واسمه (يام)، وكان كافراً، تفسير ابن كثير: ٣/ ٥٥٣.
(٥) ديار: صاحب دار. القرطبي: ١٨/ ٣١٣.
(٦) الحديث سبق تخريجه. البداية والنهاية: ١/ ١١٤.
(٧) في الأصل وفي النسخة ظ (الشرمسي) وهو تحريف، صححناها اعتماداً على المصادر.
وهو محمد بن أحمد الشريشي الوائلي، فقيه شافعي، أصله من شريش. ولي القضاء في حمص ثم في دمشق. له كتب منها: (شرح المنهاج).
ترجمته في: الوافي بالوفيات: ٢/ ١٣١ و١٣٢، والاعلام: ٥/ ٣٢٨، والدارس: ١/ ١١٧ وشذرات الذهب ٦/ ٢٦٣، والدرر: ٣/ ٤٤١.

عساكر[١]، أخبرنا المؤيّد بن (محمّد) الطوسي[٢] في كتابه، أنبأنا عبد الجبار بن محمّد أحمد الخواري[٣]، قرأت عليه وأنا أسمع أنبأنا الإمام أبو الحسن الواحدي[٤]، أنبأنا عبد الرحمن بن حمدان[٥]، حدثنا أبو بكر القطيعي[٦]، حدثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل[٧]، حدّثني (عثمان) ابن أبي شيبة[٨]، حدثنا محمّد بن عثمان[٩] عن زاذان[١٠] عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ المؤمنين وأولادهم في الجنّة، وأنّ المشركين في النار»[١١] ثمّ قرأ

---

(١) في الأصل (أحمد بن عبدالله بن عساكر) والصواب (هبة الله) كما في مصادر ترجمته فهو تحريف.
وهو شرف الدين أبو العباس وأبو الفضل ـ أحمد بن هبة الله بن أحمد بن محمد بن الحسن بن عساكر المسند الدمشقي الشافعي. ولد ٦١٤هـ، وسمع القزويني وابن صرصرى وجماعة وأجاز له المؤيد الطوسي وآخرون. توفي ٦٩٩هـ، ترجمته، شذرات: ٥/ ٤٤٥.

(٢) في الأصل (المؤيد بن أحمد) والصحيح (المؤيد بن محمد) وقد صححناه اعتماداً على المصادر.
وهو المؤيد بن محمد بن علي بن حسن رضي الدين أبو الحسن الطوسي الأصل ولد ٥٢٤ وتوفي ٦١٧هـ، سمع من جماعة منهم عبد الجبار الخواري.
ترجمته: وفيات الأعيان: ٤/ ٤٢٧، شذرات: ٥/ ٧٨، غاية النهاية: ٢/ ٣٢٥.

(٣) عبد الجبار بن محمد الخواري ـ نسبة إلى ـ خوار ـ وهو بلد بالري ـ سمع الواحدي ـ ترجمته شذرات الذهب: ٤/ ١٠٥.

(٤) هو علي بن أحمد الواحدي، مفسر عالم. نعته الذهبي بإمام علماء التأويل. له كتاب «البسيط» و «الوسيط» و «الوجيز» وغيرها. ترجمته: النجوم الزاهرة: ٥/ ١٠٤، الوفيات: ١/ ٣٣٣، الاعلام: ٤/ ٢٥٥.

(٥) لم أعثر عليه في كتب التراجم.

(٦) أبو بكر القطيعي: هو أحمد بن جعفر بن حمدان ولد ٢٧٤هـ، ومات ٣٦٨هـ. وقد روى عن عبدالله ابن الإمام أحمد. ترجمته: طبقات الحنابلة، ص ٢٩٢ و٢٩٣ لسان الميزان: ١/ ١٤٥.

(٧) هو عبدالله بن أحمد بن حنبل الإمام، له كتاب الزوائد على كتاب الزهد لأبيه، توفي ٢٩٠هـ.
ترجمته: الطبقات لابن أبي يعلى: ١/ ١٨٠، التيمورية ٢/ ٢٣٦، الأعلام: ٤/ ٦٥.

(٨) في الأصل (عمرو بن أبي شيبة) ولم أعثر على هذا الاسم في كتب التراجم، وفي رواية مسند أحمد (عثمان بن أبي شيبة) وهو الصواب. وقد ذكر في ميزان الاعتدال (عثمان بن أبي شيبة) وقال عنه: أحد أئمة الحديث. انظر: ميزان الاعتدال: ٣/ ٣٥.

(٩) قال في ميزان الاعتدال: محمد بن عثمان لا يدرى من هو فتّشت عنه في أماكن وله خبر منكر «إن المؤمنين وأولادهم. . ميزان الاعتدال: ٣/ ٦٤٢.

(١٠) زاذان: هو أبو عمر الكندي. روى عن علي، وابن مسعود. ترجمته الكاشف: ١/ ٢٤٦، ميزان الاعتدال: ٢/ ٦٣.

(١١) ينظر القرطبي: ١٧/ ٦٧، ومسند الإمام أحمد: ١/ ١٣٤ و١٣٥.
وفي المسند: «ثم قرأ رسول الله ﷺ: «والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم».

﴿والّذين آمنوا وأتْبَعْنَاهم ذريَّاتهم﴾[1] الآية. وهذا القول ينسب إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره من الصحابة والتابعين[2].

والرابع: أنَّ غاية إغراقهم وإغراق غيرهم من الطير والوحش هو الموت والموت كائنٌ على كلّ نفسٍ، فكان الطوفان عليهم قيامتهم، كما تقوم القيامة بموت كلّ مخلوق عند قيام الساعة والنفخ في الصور ولا إشكال في ذلك. وبهذا يندفع الإشكال الثاني، والله أعلم.

والخامس: قال أبو العالية (الرياحي)[3] والحسن البصري[4]: أهلكهم الله وأهلك ذريتهم وأطفالهم ولكن إهلاك أطفالهم لم يكن بعذاب الذنب، ولكن كان إماتة بسبب من أسباب الموت والله أعلم.

وأمّا استدلال الإمام فخر الدين على ضعف قول من قال إنَّ الله أعقم أرحام نساء قوم نوح قبل الغرق بأربعين سنة بأنَّه لو كان ذلك لكان آية عجيبة قاهرة ويبعد مع وجودها استمرارهم على الكفر[5]، فلا يخفى ما فيه، فإنَّ الذين حقَّت عليهم كلمة الله تعالى بالكفر، لا يؤمنون ولو جاءتهم كلّ آية.

---

(١) قرأ بها نافع، وابن عامر: انظر الإعراب للنحاس: ٣/٢٥٢، ومجمع البيان ٩/ ١٦٤ والتبيان للطوسي: ٩/ ٤٠٥، ومعجم القراءات: ٦/ ٢٥٦. الطور: ٥٢/ ٢١ وهي في المصحف ﴿وَالذين امنوا واتبعتهم ذُرِيَّتُهُم﴾.

(٢) ينظر القرطبي: ١٧/ ٦٧.

(٣) في الأصل والنسخة ظ (الرماح) وهو مخالف لصدر اسمه ومخالف لما ورد في المصادر ومنها غاية النهاية للمصنّف، فهو تحريف وقد صححناه.
ورد في «غاية النهاية» للمؤلف: ١/ ٢٨٤ و٢٨٥ وكذا في «معرفة القراء الكبار» للذهبي: ١/ ٤٩: (أبو العالية الرياحي) هو رفيع بن مهران. وهو من كبار التابعين، وأصبح من القراء المشهورين في جيل التابعين. تذكرة الحفاظ: ١/ ٦١، الاستغناء في معرفة المشهورين: ٢/ ٨٣٦.

(٤) هو الحسن بن يسار البصري، تابعي، كان إمام أهل البصرة، ولد بالمدينة وشبَّ في كنف علي بن أبي طالب، توفي بالبصرة ١١٠هـ.
من مصادر ترجمته: وفيات الأعيان ١/ ٣٥٤، وميزان الاعتدال: ١/ ٢٥٤. وأمالي المرتضى: ١/ ١٠٦، والأعلام: ٢/ ٢٢٦.

(٥) التفسير الكبير للرازي: ١٧/ ٢٣٤ و٢٣٥ مع اختلاف يسير.

ألا ترى قوم فرعون[1] كيف أرسل الله عليهم الطوفان والجراد والقمَّل والضفادع والدم آية بعد آية وهم يتضرّعون إلى موسى عليه السلام بأن يدعو ربّه الله يكشفه وأنهم يؤمنون بالله ويرسلون بني إسرائيل وكذبوا في ذلك كله والله أعلم[2].

وأمّا نداؤه تعالى الأرض والسماء وأمره لهما بما أمر من بلع الماء وإمساك المطر مع كونهما من الجماد الذي لا يعقل ولا يصحّ أن يخاطب وأنَّ ذلك حقيقة، خلافاً لمن زعم أنَّه مجاز (وأنّ بالحقيقة فيه باطل)، كما صرَّح به الإمام فخر الدِّين ودَلَّ عليه كلام الكشاف[3] وغيره. فالدليل على ذلك من وجوه:

أحدها: أنَّ القدرة صالحة لذلك فلا مانع كما سيأتي ذكر جوازه ووقوعه.

ثانيها: أنَّه أعظم في القدرة وأبلغ في العظمة، وأقوى في الحجَّة. والمقام يقتضي ذلك، وما كان كذلك فهو أولى بالترجيح وأحرى بالتصحيح.

ثالثها: أنَّه الظاهر ولا دليل يصرفه عن ظاهره، فالعمل بالحقيقة فيه هو الصواب. وقد صرَّح الناس قديماً وحديثاً بأنَّ الله تعالى لا يجوز أن يتكلم بشيء ويعني به خلاف ظاهره.

وقال الشافعي[4]: «وكلام الله وكلام رسوله على ظاهره»[5]. وقال صاحب المحصَّل في الباب التاسع من أحكام اللغات «المسألة الثانية: لا يجوز أن يعني

(١) فرعون: هو أحد ملوك مصر الفراعنة والذي عاصر نبي الله موسى عليه السلام وكان أعتاهم على الله وكان سيّىء الملك على بني إسرائيل واسمه فيما ذكر «الوليد بن مصعب». انظر الكامل لابن الأثير: ٩٦/١.

(٢) مشيراً إلى ما ورد في الآيات: ١٣٣ و١٣٤ و١٣٥ من الأعراف وهي:
﴿فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ايات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين (١٣٣) ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل (١٣٤) فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون (١٣٥)﴾ الأعراف.

(٣) التفسير الكبير ١٧/ ٢٣٤، الكشاف للزمخشري: ٢/ ٢٧١.

(٤) هو الإمام محمد بن إدريس. أحد الأئمة الأربعة ولد بفلسطين ١٥٠هـ، وتوفي في مصر ٢٠٤هـ، له مؤلفات منها كتاب «الأم» و «أحكام القرآن» من مصادر ترجمته: تذكرة الحفاظ ٣٢٩/١، غاية النهاية: ٢/ ٩٥، الاعلام: ٦/ ٢٧.

(٥) ورد معنى مقارب لهذا في (الرسالة) للإمام الشافعي، ص ٣٢.

الله سبحانه وتعالى بكلامه خلاف ظاهره. قال: والخلاف فيه مع المرجئة[1] لنا أنَّ اللفظ بالنسبة إلى غير ظاهره مهمل، فالتكلّم به غير جائز على الله تعالى، ثمَّ أجاب عن شبهة المنازعين بأن قال: لو صحَّ ما ذكرتموه لم يبق لنا اعتماد على خبرٍ من أخبار الله تعالى، ويحتمل أن يكون المراد به غير ظاهره وذلك ينفي الوثوق»[2] انتهى.

رابعها: أن الحقيقة في الكلام هي الأصل فإذا تعارض المعنى الحقيقي والمجازي، فالحقيقي أولى، لأن المجاز خلاف الأصل كما هو مقرر عند أئمة الأصول[3]. ولهذا لمّا اختلف الفقهاء في لفظ النكاح هل هو حقيقة في العقد مجاز في الوطء؟ كما ذهب إليه الشافعي[4] أو بالعكس كما ذهب إليه غيره[5]، فلو حلف على النكاح ولم ينو شيئاً فإنه يحمل على العقد عنده لأنه حقيقة لا على الوطء لأنه مجاز فيه[6]. وكذا لو قال لزوجته: ـ أنت طالق يوم يقدم زيد ـ فقدم ليلاً فإنه لا يقع الطلاق على الصحيح، بل الصواب، لأن اليوم حقيقة ما بين الفجر والغروب[7].

ثم إنه ينبغي أن يُعلم[8] أن من ادّعى صرف لفظ عن ظاهره وعيّن له مجازاً لم يتم له رعاية ذلك (إلاّ)[9] بعد أربع مقدمات:

---

(١) المرجئة: فرقة تزعم أن من شهد شهادة الحق دخل الجنة وإن عمل أي عمل كان، وأنه لا يدخل النار من قال «لا إله إلا الله» وإن ركب العظائم وترك الفرائض وعمل الكبائر، وهم طوائف. ذكرهم الجرجاني في الفرق بين الفرق، ص ١٢٢ ـ ١٢٥، وذكرهم الشهرستاني في الملل والنحل: ١/ ١٣٩.

(٢) لم أعثر على هذا النصّ إلاّ في المحصول للفخر الرازي وربما حصل تحريف في اسم الكتاب من الناسخ. المحصول: ١/ ١/ ٥٤٥ ـ ٥٤٧.

(٣) المصدر السابق، الجزء الأوّل ق ١/ ٤٧٤ و٤٧٥ والمستصفى من علم أصول الفقه للإمام الغزالي: ١/ ٣٥٩.

(٤) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، في الفقه على مذهب الشافعي، لشمس الدين محمد الأنصاري: ٦/ ١٧٣ و١٧٤.

(٥) المغني لابن قدامة: ٧/ ٣٣٣.

(٦) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج: ٦/ ١٧٤.

(٧) المغني لابن قدامة: ٧/ ٣٦٢.

(٨) في النسخة ظ (نعلم).

(٩) زيادة اقتضاها سياق العبارة ولعلها سقطت من الناسخ.

أحدها: بيان امتناع إرادة الحقيقة.

ثانيها: بيان صلاحية اللفظ للمعنى الذي عينه وإلا كان كاذباً على اللغة.

ثالثها: بيان ذلك المجمل إن كان له عدّة مجازات.

رابعها: الجواب عن الدليل الموجب لإرادة الحقيقة فما لم يقم بهذه الأمور الأربعة كانت دعواه صرف اللفظ عن ظاهره دعوى باطلة[1].

وإن ادَّعى مجرَّد صرف اللفظ عن ظاهره ولم يعتبر له محملاً لزمه أمران:

أحدهما: بيان الدليل على امتناع إرادة الظاهر.

والثاني: جوابه عن (المعارض)[2].

وليعلم أنَّ مدَّعي صرف اللفظ عن ظاهره وحقيقته إلى مجازه يتضمّن دعواه الإخبار عن مراد المتكلّم ومراد الواضع.

أمَّا المتكلم فكونه أراد ذلك المعنى الذي عيَّنه الصارف.

وأمَّا الواضع فكونه وضع اللفظ المذكور دالاً على هذا المعنى فإن لم تكن دعواه مطابقة كان كاذباً على المتكلِّم والواضع بخلاف مدَّعي الحقيقة، فإنّها إذا تضمَّنت دعواه إرادة المتكلم للحقيقة وإرادة الواضع كان صادقاً. أمَّا صدقه على الواضع فظاهر، وأمَّا صدقه على المتكلِّم، فإنَّ معرفة مراد المتكلّم إنَّما تحصل لعادته من كلامه وأنَّه إنَّما يخاطب غيره للتفهيم والبيان، فمتى عرف ذلك من عادته وخاطبنا بما هو المفهوم من ذلك الخطاب علمنا أنَّه مراده. وهذا من الواضح الذي لا خفاء به والله أعلم[3].

وغاية ما احتجّ به من حمل الآية على المجاز، أنَّ الأرض والسماء من الجماد، والجماد لا يتوجّه إليه خطاب ولا أمر لأنَّها لا تعقل[4]، وهذا غلط ظاهر

(١) انظر المحصول في علم أصول الفقه، للفخر الرازي: ١/ ١/ ٤٦٥ و٤٦٦ مع اختلاف يسير.

(٢) في الأصل (الفارض) وما أثبتناه من النسخة ـ ظ ـ وهو الأقرب إلى سياق الكلام.

(٣) ينظر المحصول للفخر الرازي مع اختلاف: ١/ ١/ ٤٦٥ و٤٦٦.

(٤) ينظر الجامع لأحكام القرآن ـ للقرطبي: ٩/ ٤٠. والتفسير الكبير للفخر الرازي: ١٧/ ٢٣٤.

ممنوع بالكتاب والسنة وإجماع من يعتدُّ به من علماء الأمة. قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ الحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ، وإنّ مِنْها لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ المَاءُ وإنّ مِنْها لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾ [البقرة ٢/ ٧٤].

قال مجاهد، وغيره من أئمة التفسير: كُلُّ حَجَر يُفَجّرُ منه المَاءُ أو يَشَّقَّقُ عن مَاءٍ أو تردّى من رَأسِ جَبَلٍ فهو من خَشْيَةِ اللهِ، نزل به القرآن[1].

وقال تعالى: ﴿قُلْنا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاَماً عَلَى إِبْرَاهِيم﴾ [الأنبياء ٢١/ ٦٩].

قال ابن عباس ترجمان القرآن: لم يبقَ نار[2] في الأرض إلاّ طفئت[3]. وقال أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه: لو لم يتبع بردها سلاماً لمات إبراهيم عليه السلام من بردها، فلم يبق يومئذٍ نار في الأرض إلاّ طفئت، ظناً أنّها تعنى[4].

وقد روينا معناه من حديث أنس[5] عن النّبي ﷺ ولفظه: «أوحى الله إلى النار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم» ولولا أنّه قال «وسلاماً» لآذاه البرد أو قتله، وكذا قال ابن عباس وأبو العالية[6] وغير واحد من المفسرين[7].

---

(١) تفسير ابن كثير: ١/ ١٩٨ مع اختلاف يسير.

(٢) وفي رواية: (فلم يبق يومئذ نار...) تفسير الطبري: ١٧/ ٤٤.

(٣) الرواية المنقولة عن ابن عباس: (لو لم يتبع بردها سلاماً لمات إبراهيم من بردها فلم يبق يومئذ نار في الأرض إلاّ طفئت).
تفسير الطبري: ١٧/ ٤٤، الدرّ المنثور: ٤/ ٣٢٢، وفي تفسير القرطبي نسبت الرواية إلى أمير المؤمنين عليّ والى ابن عباس: ١١/ ٣٠٤.

(٤) والرواية المنقولة عن أمير المؤمنين علي: (بردت عليه حتى كادت تقتله، حتى قيل: وسلاماً، قال: لا تضريه). تفسير الطبري: ١٧/ ٤٤.

(٥) هو أنس بن مالك بن النضر الخزرجي الأنصاري، صاحب رسول الله وخادمه ولد ١٠ قبل الهجرة ومات بالبصرة ٩٣هـ. ترجمته: طبقات ابن سعد: ١٠١، صفة الصفوة: ١/ ٢٩٨، الأعلام: ٢/ ٢٤.

(٦) قال ابن عباس وأبو العالية: (لولا أنّ الله عزّ وجلّ قال: «وسلاماً» لآذى إبراهيم بردها). تفسير ابن كثير: ٤/ ٥٧٣.

(٧) ينظر: تفسير الطبري: ١٥/ ٤٤، ومجمع البيان: ١٣/ ٤١، وتفسير ابن كثير: ١٥/ ٣٤٦، والدرّ المنثور: ٤/ ٣٢٢.

وقال تعالى في شأن داود[1] عليه السلام:

﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾ [الأنبياء ٢١/ ٧٩].

قال أهل التفسير: إنَّه كان إذا وجد فترة أَمَرَ الجبال فسبحت حتى يشتاق هو فيسبح[2]، وقال وهب بن منبه[3]: كانت الجبال تجاوبه بالتسبيح[4]، وإلى ذلك أشار بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَه﴾ [سبأ ٣٤/ ١٠].

وقال تعالى: ﴿إنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ والجِبَالِ فَأَبَيْنَ أنْ يَحْمِلْنَهَا﴾ [الأحزاب ٣٣/ ٧٢] الآية.

قال ابن عباس وغيره من الصحابة والتابعين: أراد بالأمانة الطَّاعة، والفرائض التي فرضها الله على عباده، عرضها على السماوات والأرض والجبال، على أنَّهم إن أدّوها أثابهم، وإن ضيّعوها عذّبهم. فقلن: لا يا رب نحن مسخرات لأمرك، لا نريد ثواباً ولا عقاباً، وقلن ذلك خوفاً وخشية وتعظيماً لدين الله تعالى أن لا يقوموا بها لا معصية ومخالفة[5]. وكان العرض عليهن تخييراً لا إلزاماً ولو ألزمهن لا يمتنعن من حملها.

قال علماء التفسير: والجمادات كلّها خاضعة لله مطيعة ساجدة له كما قال تعالى للسّماوات والأرض: ﴿إئْتِيَا طَوْعاً أو كَرْهاً قَالَتَا أتَيْنا طائِعِينَ﴾ [فصلت ٤١/ ١١] وقال للحجارة ﴿وإنَّ مِنْها لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ الله﴾ [البقرة ٢/ ٧٤]، وقال

(١) داود: هو النبي داود بن ايشا بن باعز ـ ينتهي نسبه إلى يعقوب بن إسحاق عليه السلام، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم. الكامل في التأريخ: ١/ ١٢٥.

(٢) الدرّ المنثور: ٤/ ٣٢٦، تفسير القرطبي: ١١/ ٣١٩، ٣٢٠.

(٣) هو وهب بن منبه الأنباوي الصنعاني. مؤرِّخ يعد في التابعين أصله من أبناء فارس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن وأمه من حمير ولد ومات بصنعاء سنة ١١٤هـ.
من مصادر ترجمته: وفيات الأعيان: ٢/ ١٨٠، وشذرات الذهب: ١/ ١٥٠ والأعلام: ٨/ ١٢٦.

(٤) مجمع البيان: ١٣/ ٤٨، وتفسير القرطبي: ١١/ ٣١٩.

(٥) تفسير ابن كثير: ٥/ ٥٣٢ و٥٣٣، والبغوي: ٥/ ٢٧٩ بهامش الخازن، كذا الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٤/ ٢٥٣ ـ ٢٥٨.

تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ والشَّمْسُ والقَمَرُ والنُّجُومُ والجِبَال والشَّجر والدَّوَاب﴾ [الحج ١٨/٢٢] الآية.

وقال بعض أهل العلم ركّب الله (عزّ وجلّ)[1] فيهن العقل والفهم حين عرض الأمانة عليهنَّ حتَّى عقلن الخطاب، وأجبن بما أجبن.

وقال بعضهم: المراد من العرض على السَّماوات والأرض (هو العرض على أهل السماوات والأرض)[2] عرضها[3] على من فيها من الملائكة:

وقيل على أهلها كلها دون أعيانها كقوله (تعالى)[4]: ﴿وَاسْأَلِ القَرْيَة﴾ [يوسف ٨٢/١٢] «أي أهل القرية والأوّل أصحّ»[5]. هذا لفظ الإمام محيي السنة البغوي[6]، فحكى في ذلك خلافاً وصحّح المعنى الحقيقي، ولا شكَّ عندنا أنَّه الصواب، والله أعلم.

قال الإمام الحجة محيي الدِّين النووي[7] رحمه الله: وإنّما كان العرض على أعيان هذه الأشياء، بأن رَكَّبَ اللهُ فيهنَّ العقل وأفهَمَهُنَّ خطابَهُ حتّى فَهِمْنَ وأنطقهُنَّ بالجواب[8]، انتهى.

---

(١) (عزّ وجلّ) ساقطة وأثبتناها من البغوي لمناسبتها.
(٢) ما بين الحاصرتين ساقط وأثبتناه من تفسير البغوي وبه يستقيم الكلام.
(٣) في الأصل (عرضها كعرض) وهو ينافي السياق وليس في التفسير وقد حذفنا الزائد.
(٤) (تعالى) ساقطة من النسختين وأثبتناها من التفسير.
(٥) تفسير البغوي: ٢٧٩/٥ و٢٨٠ بهامش الخازن.
(٦) هو الحسين بن مسعود الفراء. ولد ٤٣٦هـ ينسب إلى بغا في فارس. له مصنفات: ألباب التأويل، ومصابيح السنة والجمع بين الصحيحين، ترجمته الأعلام: ٢٥٩/٢.
(٧) هو يحيى بن شرف بن مرى الحوراني النووي عالم الفقه والحديث، مولده ووفاته في نوا وإليها نسبته له جملة مصنفات، منها شرح صحيح مسلم توفي سنة ٦٧٦هـ.
من مصادر ترجمته: طبقات الشافعية للسبكي: ١٦٥/٥، والنجوم الزاهرة: ٢٧٨/٧ والأعلام: ١٤٩/٨ و١٥٠.
(٨) قال النووي:
﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾ ﴿وَإِن مِنْ شَيءٍ إِلاّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾
«وفي هذه الآية خلاف مشهور والصحيح أنه يسبِّحُ حقيقة ويجعل الله تعالى فيه تمييزاً بحسبه..» مسلم: ٣٧/١٥، وقد تعرض للآية في كلامه عن الأمانة ولم أعثر فيه على هذا النص. شرح صحيح مسلم للنووي: ١٦٨/٢.

وهـذا مـذهب السلـف قاطبـة الذي لم يثبت عنهم غيره، وكيف يسع أحداً إنكار حمل ذلك على الحقيقة مع ثبوته مشاهدةً ووقوعه عياناً.

كما أخبرنا الشيخ الصالح أبـو عبدالله محمّد بن عبدالله (الصفوي)[١] رحمه الله، قرأت عليه في جم غفيـر، أنبأنا أبو عبدالله محمّد بن أبي العز الأنصاري[٢]، أنبـأنـا أبـو عبدالله الـزبيـدي[٣]، أنبأنا أبو الوقت السجزي[٤]، أنبأنا أبو (الحسن) عبـد الرحمـن بـن محمّـد الـداوودي[٥]، أنبـأنا عبدالله بن أحمد بن (حمويه)[٦] (حدثنا محمّد بن بشـار[٧] حـدثنا أبـو أحمـد الـزبيري)[٨] حدثنا إسرائيل[٩]

---

(١) في الأصل (الصفدي) وهو تحريف وقد صححناه اعتماداً على النسخة ـ ظ ـ ومصادر الترجمة.
وهو محمد بن عبدالله الصفوي، ولد ٦٩٤هـ بدمشق ودرس على أحمد بن هبة الله بن عساكر وغيره، ومات سنة ٧٧٦هـ. ترجمته في غاية النهاية: ٢/ ١٩١.

(٢) هو شهاب الدين محمّد بن أبي العز بن مشرف بن بيان الأنصاري، ولد٦١٩هـ. وهو مسند دمشق وشيخ الرواية بالدار الأشرفية توفي ٧٠٧هـ.
ترجمته في شذرات الذهب: ٦/ ١٦، والدارس: ١/ ٦٠.

(٣) هو الحسين بن المبارك بن محمد، سراج الدين ابن الزبيدي: فقيه له علم باللغة والقراءات: حدّث ببغداد ودمشق وحلب وغيرها، من مؤلفاته: «البلغة» في الفقه، ترجمته: شذرات الذهب: ٥/ ١٤٤، والأعلام: ٢/ ٢٥٣.

(٤) أبو الوقت سبقت ترجمته.

(٥) في الأصل (أبو عبد الرحمن) والظاهر أن كنيته سقطت وقد صححناه.
وهو أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن المظفر البوشنجي الداوودي روى عن أبي محمد بن حمويه وغيره. توفي سنة ٤٦٧هـ، ترجمته شذرات: ٣/ ٣٢٧.

(٦) في الأصل (حمونه) وهو تحريف وقد صححناه استناداً إلى المصادر.
وهو عبدالله بن أحمد بن حمويه بن يوسف السرخسي، ت ٣٨١. (البداية والنهاية: ١٢/ ١١٢ وشذرات: ٣/ ١٠٠).

(٧) محمد بن بشار بن عثمان بن كيسان المعروف بـ (بندار) توفي ٢٥٢هـ. ترجمته في تذكرة الحفاظ: ٢/ ٥١٠، تأريخ بغداد: ٢/ ١٠١ والوافي بالوفيات: ٢/ ٢٤٩.

(٨) في الأصل (حمويه الزبيري حدثنا إسرائيل). وقد ظهر سقوط بعض الأسماء، فأعدتُ ترتيبه برواية الترمذي.
أبو أحمد الزبيري: هو محمد بن عبدالله بن الزبير الأسدي روى عن إسرائيل. ترجمته طبقات الحفاظ، ص ١٥٦، الاستغناء: ١/ ٤٣٠، وشذرات الذهب: ٢/ ٧ وتهذيب التهذيب: ٩/ ٢٥٤، وتذكرة الحفاظ: ٢/ ٣٥٧.

(٩) هو إسرائيل بن يونس الهمداني روى عن الأعمش. مات ١٦٢هـ، ترجمته: طبقات الحفاظ، ص ٩٧.

عن منصور[1] عن إبراهيم[2] عن علقمة[3] عن عبدالله[4] قال: «لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل» يعني عند النبي ﷺ (عبدالله هذا هو عبدالله بن مسعود - من أعلم الصحابة وأجلّهم وأفضلهم وأفقههم). وهذا حديث صحيح أخرجه البخاري[5] في صحيحه، والترمذي في جامعه وقال: حديث حسن صحيح[6].

وفي رواية: «كنا نأكل مع رسول الله ﷺ الطعام وهو يسمع تسبيحه»[7]، وعن أنس بن مالك قال: «أخذ النبيّ ﷺ كفاً من حصى فسبحن في يد رسول الله ﷺ حتى سمعنا التسبيح، ثمّ صبّهن في يد أبي بكر فسبحن، ثمَّ في يد عمر وعثمان رضي الله عنهما[8]. وقال علي رضي الله عنه: كنا بمكة مع رسول الله ﷺ فخرج إلى بعض نواحيها فما استقبله شجرة ولا جبل إلا قال: السلام عليك يا رسول الله[9].

وعن جابر بن سمرة[10] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني

---

(١) هو منصور بن المعتمر السلمي: روى عن الشعبي والزهري وروى عنه إسرائيل والأعمش مات ١٣٢هـ. ترجمته طبقات الحفاظ للسيوطي، ص ٦٦.

(٢) هو إبراهيم بن سويد النخعي الكوفي، ترجمته في الكاشف: ١/ ٣٨.

(٣) هو علقمة بن قيس النخعي الكوفي، وهو من خاصّة عبدالله بن مسعود الصحابي، ولد في حياة النبي ﷺ وتوفي في إحدى وستين، ترجمته في طبقات الحفاظ للسيوطي، ص ٢٠ و٢١.

(٤) هو عبدالله بن مسعود الهذلي خادم رسول الله ﷺ مات في المدينة ٦٠هـ، ترجمته: طبقات الحفاظ، ص ١٤، شذرات: ١/ ٣٨، تذكرة: ١/ ٣١.

(٥) في صحيح البخاري «حدثني محمد بن المثنى حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا إسرائيل عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبدالله قال: كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفاً، كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقلّ الماء فقال اطلبوا فضة من ماء فجاءوا بإناء فيه ماء قليل فأدخل يده في الإناء ثم قال: حيّ على الطهور والبركة من الله فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل». صحيح البخاري مناقب. ينظر عمدة: ١٦/ ١٢٢.

(٦) سنن الترمذي: ٥/ ٥٩٧.

(٧) لم أعثر عليه في التراجم.

(٨) أعلام النبوة للماوردي، ص ١٢٥.

(٩) رواه الحاكم في المستدرك: ٢/ ٦٢٠، وأعلام النبوة للماوردي، ص ١٢٤، والترمذي: ٥/ ٥٩٣ ورواه الدارمي، مع اختلاف يسير: ١/ ١٢، والوفا بأحوال المصطفى، ص ١٦١ مع اختلاف يسير.

(١٠) هو جابر بن سمرة بن جنادة السوائي، صحابي، كان حليف بني زهرة. روى له البخاري ومسلم وغيرهما.
من مصادر ترجمته: الإصابة: ١/ ٢١٢، وتهذيب التهذيب: ٢/ ٣٩ والأعلام: ٢/ ١٠٤.

لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ»[1] يقال أنه الحجر الأسود، والظاهر أنّه غيره والله أعلم.

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبيّ ﷺ قال: لما استقبلني جبرائيل عليه السلام بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر إلاّ قال: السَّلام عليك يا رسول الله[2].

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: لم يكن رسول الله ﷺ يَمُرُّ بحَجَرٍ ولا شَجَرٍ إلاّ سَجَدَ لَهُ[3].

وعن أنس قال: صَعَدَ النّبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان أُحُداً فرَجَفَ بهم، فقال: أُثْبُتْ أُحُد فإنّما عليك نبيٌّ وصدِّيق وشهيدان[4]، ومثله عن أبي هريرة في جبل حراء وكان معه أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير ولفظه: «اسكن حراء فما عليك إلاّ نبيّ أو صديق أو شهيد»[5].

قال الإمام شيخ الإسلام محيي الدِّين النووي رحمه الله تعالى في شرح صحيح مسلم بعد قوله ﷺ: «إنّ أُحُداً يُحبُّنا ونُحبُّهُ»[6]: آنَّ معناه: أنَّ أُحداً

(١) صحيح مسلم: ٧/ ٥٨؛ كتاب الفضائل، كنز العمال: ١٢/ ٣٦٦ ومسند أحمد: ٥/ ٨٩، ٩٥، ١٠٥، الوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزي: ١/ ١٦١، السيرة لابن هشام: ١/ ٢٥٠، السيرة الحلبية: ١/ ٢٤٦، السيرة لأحمد زيني دحلان: ١/ ٩١.

(٢) أعلام النبوة للماوردي، ص ١٢٥، الخصائص الكبرى للسيوطي: ١/ ٢٤٥.

(٣) أعلام النبوة للماوردي، ص ١٢٥، الشفا للقاضي عياض، ص ٣٠٧.

(٤) في سنن أبي داود: ٥/ ٤٠ «أن نبي الله صعد أحداً فتبعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فضربه نبي الله برجله وقال: أثبت أحد نبي وصديق وشهيدان».
وفي مسند أحمد «أثبت أحد ما عليك إلاّ نبيٌّ وصديق وشهيدان»: ٥/ ٣٣١.
وقد رواه الترمذي عن أنس وقال: حديث حسن صحيح، الترمذي: ٥/ ٦٤٢ مناقب.

(٥) وفي صحيح مسلم (وسعد بن أبي وقاص). صحيح مسلم ـ فضائل الصحابة: ٧/ ١٢٨.
ورواه الترمذي بلفظ (أثبت حراء) عن سعيد بن زيد. وقال: حديث حسن صحيح، سنن الترمذي: ٥/ ٦٥١ مناقب سعيد بن زيد، ورواه الحاكم في المستدرك: ٣/ ٤٥٠ و٤٥١.
وعنه أيضاً رواه أبو داود في السنن: ٥/ ٣٧ و٣٨ ورواه عنه الطبراني في المعجم: ١/ ١١٦، وكذا أحمد في مسنده: ١/ ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩.

(٦) في شرح النووي «حتى إذا بدا له أحد قال: هذا جبل يحبنا ونحبه. شرح النووي: ٩/ ١١٩. وفي موضع اخر «وهذا أحد وهو جبل يحبنا ونحبه» شرح النووي: ١٥/ ٤٣.
وفي صحيح البخاري «هذا جبل يحبنا ونحبه..» البخاري: ٥/ ٢٢٩ ط عالم الكتب.

يحبنا حقيقة، جعل الله تعالى فيه تمييزاً يحبُّ به، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْها لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾ [البقرة ٢/ ٧٤] وكما حَنَّ الجذعُ اليابسُ[١]، وكما سبَّح الحصى، وَكَمَا فَرَّ الحَجَرُ بثَوْبِ مُوسَى[٢] عليه السلام[٣] وكما قال نبينا محمّد ﷺ: إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلِّم عليَّ، وكما دعا الشجرتين المفترقتين فاجتمعتا[٤]، وكما رجف حراء فقال: «اسكن حراء فليس عليك إلاّ نبي أو صديق أو شهيد»[٥] الحديث وكما كلّمه ذراعُ الشّاة[٦]، وكما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إلاّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيْحَهُمْ﴾ [الإسراء ١٧/ ٤٤].

والصحيح في معنى هذه (الآية)[٧] أنَّ كلّ شيء يسبِّح حقيقة بحسب حاله، ولكن لا نفقهه. قال: فهذا[٨] وما أشبهه شواهد لما اخترناه، واختاره المحقِّقون في معنى الحديث. وقيل المراد: يحبنا أهله فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، والله أعلم[٩].

قلت: حديث حنين الجذع[١٠] مشهور متواتر متّفق عليه، ورواه من

---

(١) سيأتي تخريج الحديث.

(٢) صحيح مسلم ـ فضائل موسى ـ ١٥/ ١٢٦، كنز العمال: ١١/ ٥٠٨ وأحمد: ٢/ ٣١٥.

(٣) في شرح النووي (صلى الله عليه وسلم).

(٤) من حديث طويل رواه جابر «قال خرجت مع النبي ﷺ في سفر..» فإذا هو بشجرتين بينهما أربع أذرع فقال: «يا جابر انطلق إلى هذه الشجرة..».

(٥) ورد في «سنن أبي داود» «أثبت حراء، إنه ليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد».

(٦) حديث الشاة المسمومة أخرجه البخاري مختصراً عن أبي هريرة، في باب الطب وفي باب الجهاد. وفي المغازي: ٥/ ٢٩٠، ٧/ ٢٥٥ ط عالم الكتب بيروت، ورواه أبو داود، ص ٦٤٧ ـ ٦٥٢ والدارمي: ١/ ٣٢ و٣٣ ط دار إحياء السنّة. ومسند أحمد: ٢/ ٤٥١.
وفيه «... فلمّا انتهش من ذراعها أخبره الذراع بأنه مسموم، فلفظ الأكلة..».

(٧) في الأصل (الآية) ساقطة وأثبتناها من شرح النووي.

(٨) في النووي (وهذا).

(٩) صحيح مسلم بشرح النووي: ٩/ ١٣٩ و١٤٠.

(١٠) رواية أحمد عن ابن عباس «أن رسول الله ﷺ كان يخطب إلى جذع قبل أن يتخذ المنبر فلما اتخذ المنبر وتحول إليه حنّ عليه فأتاه فاحتضنه فسكن، قال ولو لم أحتضنه لحن إلى يوم القيامة».
مسند الإمام أحمد: ١/ ٢٤٩، ٢٦٧، ٣١٥، ٢٢٦، ٢٩٣، ٢٩٥، ٣٠٦، ٣٢٤، ٥/ ١٣٩.
ورواه البخاري في المناقب ينظر عمدة القاري: ١٦/ ١٢٧ ورواية البخاري عن عبدالله بن عمر، وينظر=

الصحابة جماعة: منهم أبي بن كعب[1]، وجابر بن عبدالله[2]، وأنس بن مالك، وعبدالله بن عمر[3]، وعبدالله بن عباس، وسهل بن سعد[4]، وأبو سعيد الخدري[5]، وبريدة بن الحصيب[6] والمطلب بن أبي وداعة[7]، وأم سلمة[8]. وأجمعت الأمة على قبول ذلك وعدم إنكاره. ولم ينقل عن أحد منهم أنَّه قال: إنَّ ذلك على غير حقيقته. والله تعالى أعلم.

فإن قيل: فما نقول بالمراد بالسماء في قوله تعالى: ﴿ويا سماء أقلعي﴾، هل هذه السماء التي فوقنا حقيقة أم السحاب أم المطر؟ فإن كلاًّ من هذ الثلاثة يطلق عليه سماء، ويجوز تذكيره وتأنيثه.

قال تعالى: ﴿السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ﴾ [المزمل ٧٣/١٨]، وفي الحديث: «صَلّى بِنا رَسُول الله ﷺ في أثر سَمَاءٍ مِنَ اللّيل»[9] أي أثر مطر. ومنه

= أيضاً: الترمذي جمعة ١٠، والنسائي جمعة ١٧ وابن ماجه إقامة ١٩٩، وسنن الدارمي: ١/ ١٦، ١٧، والوفا بأحوال المصطفى، ص ٣٢١ ـ ٣٢٤.

(١) هو أبي بن كعب بن قيس من الخزرج صحابي أنصاري، وكان قبل الإسلام حبراً يهودياً. ترجمته في غاية النهاية: ١/ ٣١، وصفة الصفوة: ١/ ١٨٨، والأعلام: ١/ ٨٢.

(٢) هو جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري ـ صحابي من المكثرين في الرواية. توفي ٧٨هـ. ترجمته في الإصابة: ١/ ٢١٣ وتهذيب الأسماء: ١/ ١٤٢، والأعلام: ٢/ ١٠٤.

(٣) هو عبدالله بن عمر بن الخطاب صحابي، روى عن الرسول ﷺ وأفتى الناس توفي ٧٣هـ. ترجمته: طبقات ابن سعد: ٤/ ١٠٥ والأعلام: ٤/ ١٠٨.

(٤) هو سهل بن سعد الخزرجي من بني ساعدة، صحابي توفي ٩١هـ.

(٥) هو سعد بن مالك بن سنان الخدري، صحابي ملازم للرسول ﷺ غزا معه، وروى حديثه. مات في المدينة ٧٤هـ، ترجمته في تهذيب التهذيب: ٣/ ٤٧٩، والأعلام: ٣/ ٨٧.

(٦) هو بريدة بن الحصيب الأسلمي، صحابي أسلم قبل بدر وانتقل إلى البصرة ثم إلى مرو فمات بها ٦٣هـ، ترجمته: تهذيب التهذيب: ١/ ٤٣٢، الاعلام: ٢/ ٥٠.

(٧) هو المطلب بن أبي وداعة، وهو من مسلمة الفتح كأبيه، وقد روى عن حفصة. ترجمته: الكاشف: ٣/ ١٣٣.

(٨) هي هند بنت سهيل القرشية المخزومية: من زوجات الرسول ﷺ تزوجها في السنة الرابعة للهجرة وكانت من أكمل النساء عقلاً وخلقاً. روت أحاديث كثيرة. توفيت في المدينة ٦٢هـ، ترجمتها: طبقات ابن سعد: ٨/ ٦٠، والأعلام: ٨/ ٩٧ و٩٨.

(٩) رواية البخاري في صحيحه: عن زيد بن خالد، الجهني أنه قال: «صَلَّى لَنَا رَسولُ الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على أثر سماء كانت من الليلة..» انظر صحيح البخاري: ٣/ ١٧٦. =

قول العرب: ما زلنا نَطَأُ السّماءَ حتّى أتيناكم[1]. وقول الفرزدق[2]:

إذا نَـــزَلَ السّمـــاءُ بـــأرضِ قَـــوْمٍ رَعَيْنَـــاهُ وإنْ كَـــانُـــوا غِضَـــابـــا[3]

قلت: اختلف في ذلك بعض المفسّرين، والذي نختاره ونذهب إليه أنَّ هذه السماء ذات البروج الجرم الكري الذي فوق الأرض حقيقة لوجوه منها:

أنّه الظاهر.

والثاني: أنّه قابلها بالأرض.

والثالث: ما رواه ابن أبي حاتم في تفسيره أنَّ ابن الكواء[4] سأل عليّاً عن المجرّة، فقال: هي شرج السماء، ومنها: فتحت السماء بماء منهمر[5].

= وفي موطأ الإمام مالك، ص ١٣٠ وفي البحر المحيط: ٤/٧٦، وفي سنن أبي داود: ٤/٢٢، ٢٣ ولسان العرب مادة سما: ١٤/٣٩٩.

(١) انظر لسان العرب لابن منظور، مادة سما: ١٤/٣٩٩.

(٢) الفرزدق: هو همام بن غالب التميمي. من أعظم شعراء العربية، توفي ١١٠هـ، ترجمته في الأعلام: ٨/٩٣.

(٣) نسب المصنف البيت إلى الفرزدق ولم أجده في ديوانه وقد نسبه إليه أيضاً صاحب تاج العروس مادة (سما). بينما نسبه صاحب تحرير التحبير إلى جرير. تحرير ٤٥٨.
وكذا ابن رشيق في العمدة: ١/١١٤، ولم أجده في ديوانه. ونسبه آخرون إلى الشاعر الجاهلي، معاوية بن مالك. الملقب (معوّد الحكماء) من قصيدة له مطلعها:
أجـدّ القَلْـبَ عـن سَلْمَـى اجتنـابـا وأقصـر بَعْـدَمَـا شـابَـتْ وَشَـابَـا
وممن نسبوه إليه: الجوهري في الصحاح: ٦/٢٣٨٢.
ولسان العرب مادة سما: ١٤/٣٩٩.
والصناعتين للعسكري، ص ٢٧٦، والموشح للمرزباني.
والفاضل للمبرد، ص ١٠٩، معجم ألقاب الشعراء، ص ٢٢٨، ٢٢٩ ونسبة البيت إلى معاوية بن مالك أقرب إلى الصواب عندي.
١ ـ لما بينه وبين بقية أبيات قصيدته البائية من ترابط في الوزن والقافية والمعنى.
٢ ـ وأقوال جمع من أهل الخبرة، مرّ ذكرهم.
٣ ـ وخلو ديواني الفرزدق وجرير من هذا البيت.

(٤) ابن الكواء: هو عبدالله بن الكوا الأعور من بني بكر.
ترجمته: من كنز العمال: ١٣/١٦١، تهذيب تاريخ دمشق: ٧/٣٠١.

(٥) وهـذا مقطـع مـن حـوار طويل بين الإمام علي عليه السلام وابن الكواء أورده كنز العمال في فضائل علي: ١٣/١٦١ و١٦٢.

وروى ابن جريج[1] عن ابن عباس في قوله: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ [القمر ٢٤/ ١١].

قال: كثير لم تمطر السماء قبل ذلك اليوم ولا بعده إلاَّ من السحاب، وفتحت أبواب السماء بالماء من غير سحاب ذلك اليوم، ﴿فَالْتَقَى المَاءَانِ[2] عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ [القمر ٥٤/ ١٢][3].

قلت: وقد حمله بعضهم على حذف مضاف أي: ماء مطر السماء كما سيأتي. فإن قيل: فهل كانت رسالة نوح عليه السلام عامة؟

قلت: أما بعد الطوفان فلا خلاف في ذلك لأنَّه بدئ به الخلق ولم يكن نبي غيره حتّى توفَّاه الله تعالى. وأمَّا قبل الطوفان فقد حكى الإمام أبو الحسن الماوردي[4] خلافاً في ذلك[5].

والصحيح بل الصواب عمومها أيضاً، قالوا: لعموم العقاب بالطوفان. وقال آخرون: كانت خاصة لقومه كما هو ظاهر القرآن.

وأقول: فلا يلزم من كونه بعث إلى قومه أن لا تكون رسالته عامة لأنَّ قومه هم كفار ذلك الزمان، وهو أوَّل رسول بعث إلى بني آدم كما في الأحاديث الصحيحة[6]، وقوم كلّ نبي من أرسل إليهم.

---

(١) ابن جريج: هو عبد الملك بن عبد العزيز الأموي، فقيه الحرم المكي. ولد ٨٠هـ وتوفي ١٥٠هـ.
ترجمته: تهذيب التهذيب: ٦/ ٤٠٢، طبقات المدلسين، ص ١٥، تذكرة الحفاظ: ١/ ١٦٠.

(٢) الرواية في الدر المنثور: ٦/ ١٣٤.

(٣) سورة القمر: ١٢/ ٥٤ والآية في المصحف ﴿وفَجَّرنَا الأرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى المَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾.
و «الماءان» بالتثنية وردت في روح المعاني للآلوسي نقلاً عن قراءة علي عليه السلام والحسن ومحمد بن كعب والجحدري ـ روح المعاني: ٢٨/ ٨٢.

(٤) هو عليّ بن محمّد قاضي القضاة من أصحاب التصانيف الكثيرة توفي في بغداد سنة ٤٥٠هـ.
من مصادر ترجمته: مفتاح السعادة: ٢/ ١٩، شذرات الذهب: ٣/ ٢٨٥، الأعلام: ٤/ ٣٢٧.

(٥) أعلام النبوة للإمام الماوردي، ص ٤٦.
حيث قال: «وهو آخر نبي بعث قبل الطوفان على قول من زعم أن شيثا نبيٌّ..».

(٦) ورد في كتاب التوحيد في صحيح البخاري من حديث طويل: «... ولكن أئتوا نوحاً فإنّه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض...». =

وقد لبث فيهم يدعوهم إلى الإيمان ألف سنة إلاّ خمسين عاماً، فما آمن به إلاّ قليل[1]. وعن ابن عباس: كانوا ثمانين نفساً، وعلى هذا أكثر المفسرين[2]. وعن كعب الأحبار: اثنين وسبعين[3]، وقيل: عشرة[4]، وقيل: بنوه الثلاثة: سام وحام ويافث ونساؤهم[5]. فقومه[6] هم الكافرون في ذلك الزمان.

ولم ينقل أنه ـ عليه السلام ـ كان في موضع مخصوص، ولا عند قوم مخصوصين وإنَّما أرسله الله تعالى إلى الكفار لينذرهم، وكان من على وجه الأرض إذ ذاك كفاراً، ولهذا عمَّ في الدعاء، فقال: ﴿**ربّ لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً**﴾ [نوح ٧١/٢٦] كما تقدم. فاستجاب الله تعالى دعاءه، وأغرق من كان على وجه الأرض، ولم يسلم إلاّ من كان معه في السفينة، لأنَّ الله تعالى لم يغرق منهم مؤمناً ولا من لم تبلغه دعوة نوح عليه السلام.

ويبعد عقلاً أو يمتنع أن يلبث نبي قريب ألف سنة ينذر الكفار، وأهل الأرض كفار فلا تبلغهم دعوته سيما ذلك الزمان والبلاد محصورة، والناس على حالهم كما كانوا، وغاية ما يكون عامراً من كرة الأرض يقطع في سنتين أو ثلاث أو نحو ذلك. ولهذا وقع التعميم في دعائه، وما كان ليدعو على من لا رآه ولا بلغته دعوته.

= ينظر صحيح البخاري بشرح الكرماني: ٢٥/ ١٢٢.
وسنن ابن ماجة: ٢/ ١٤٤٢، وتأريخ الطبري: ١/ ١٧٨.

(١) وقد جاء في القرآن الكريم:
﴿... فَلَبِثَ فيهم أَلفَ سَنَةٍ إلاّ خَمْسِينَ عَاماً..﴾ [العنكبوت ٢٩/ ١٤].
﴿.. وَمَا آمَنَ مَعَهُ إلاّ قَلِيْلٌ..﴾ [هود ١١/ ٤٠].

(٢) تنوير المقياس من تفسير ابن عباس، ص ١٤٠. وتفسير ابن كثير: ٤/ ٢٥٧، وتفسير القرطبي: ٩/ ٣٥، وتفسير الطبري: ١٢/ ٤٣، وزاد المسير: ٤/ ١٠٧، ومجمع البيان: ٥/ ١٦٤.

(٣) تفسير ابن كثير: ٣/ ٥٥٢، والبداية والنهاية: ١/ ١١٢.

(٤) تفسير القرطبي: ٩/ ٣٥، وتفسير الطبري: ١٢/ ٤٢ ومجمع البيان: ٥/ ١٦٤.

(٥) (روي عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿**وجعلنا ذريته هم الباقين**﴾ (إنهم سام وحام ويافث) ـ الكامل في التاريخ: ١/ ٤٤.

(٦) «وقيل الجميع ثمانية وسبعون، نصفهم رجال ونصفهم نساء» ذكره النيسابوري في تفسيره: غرائب القرآن: ١٢/ ٣١.

وممَّا يوضح ذلك اختلاف السلف من المفسِّرين في معنى التنور، وأين كان. فعن ابن عباس رضي الله عنهما: التنّور وجه الأرض، وعنه أيضاً: عين بالهند، وعنه أيضاً: يريد التنور الذي نخبز فيه[1]. وقاله الحسن[2] أيضاً، وقال: كان تنوراً من حجارة، وكان لحواء حتى صار إلى نوح[3].

وقال مقاتل: كان ذلك[4] تنور آدم عليه السلام[5].

وقيل: أراد التنانير التي هي مكان النار، صارت بفور الماء معجزة. قال شيخنا ابن كثير: وهذا قول جمهور السلف وعلماء الخلف[6].

وقال قتادة: عين بالجزيرة يقال لها عين الوردة[7]، وقيل موضع بالشام من أرض البقاع[8] يعرف إلى اليوم بالتنور[9]. وقال مجاهد والشعبي[10]: كان هذا التنور بالكوفة، حتى كان الشعبي يحلف بالله: «ما فار التنور إلاّ من ناحية الكوفة». وعن قتادة أيضاً: التنور أشرف موضع في الأرض وأعلى مكان فيها. وعن عليّ بن أبي طالب: فار التنور أي طلع الفجر ونور الصبح[11].

---

(١) تفسير القرطبي: ٩/ ٣٣، وفيه تفصيل الخلاف، وكذا في تفسير الطبري: ١٢/ ٣٨، وتفسير ابن كثير: ٣/ ٥٥١، ومجمع البيان: ٥/ ١٦٣، والبحر المحيط لأبي حيان: ٥/ ٢٢٢، والتفسير الكبير: ١٧/ ٢٢٥.
(٢) يعني الحسن البصري وقد ترجمنا له.
(٣) تنظر المصادر المشار إليها في الهامش رقم (١) وفيها تفصيل وينظر أيضاً: الدرّ المنثور: ٣/ ٣٢٨.
(٤) في ظ (كان ذلك كان) وهو تكرار غير مناسب ومن الناسخ.
(٥) تفسير القرطبي: ٩/ ٣٤ ومجمع البيان: ٥/ ١٦٣، والبحر المحيط: ٥/ ٢٢٢.
(٦) تفسير ابن كثير: ٣/ ٥٥١.
(٧) ينظر مجمع البيان: ٥/ ١٦٣، وتفسير ابن كثير: ٣/ ٥٥٢، وتفسير القرطبي: ٩/ ٣٤، والدرّ المنثور: ٣/ ٣٢٨، وتفسير البغوي: ٣/ ٢٣٢ وفيه (كان موضع بالشام يقال له عين الوردة).
(٨) (البقاع) جمع بقعة: وهو أرض واسعة بين بعلبك وحمص ودمشق فيها قرى كثيرة ومياه غزيرة، معجم البلدان: ١/ ٤٧٠.
(٩) تفسير القرطبي: ٩/ ٣٤.
(١٠) هو عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار الحميري الشعبي ولد ١٩هـ، وهو راوية من التابعين ولد ونشأ ومات بالكوفة ١٠٣هـ.
مصادر ترجمته: تهذيب التهذيب: ٥/ ٦٥، والوفيات: ١/ ٢٤٤، والأعلام: ٣/ ٢٥١.
(١١) تفسير الطبري: ١٢/ ٣٩، وتفسير القرطبي: ٩/ ٣٤ ومجمع البيان: ٥/ ١٦٣.

فاختلافهم في مكانه دليل على أنَّ نوحاً عليه السلام لم يكن لقوم مخصوصين إذ كانوا ملة واحدة يعبدون الأصنام فهم في ذلك أمة واحدة.

نعم، لم تكن رسالته في العموم كرسالة نبينا محمّد ﷺ، فإنَّه أُرسل إلى الجن والإنس كافة على اختلاف أديانهم وتباين مللهم، وهذا واضح فليُتأمّل[١]، والله تعالى أعلم.

فإن قيل: فمتى ركب نوح ومن معه في السفينة؟ وكم لبثوا؟ ومتى نزلوا منها؟

قلت: قال قتادة[٢] وغيره من أئمّة التفسير: ركبوا في عاشر شهر رجب فساروا مائة وخمسين يوماً، واستقرت بهم على الجودي شهراً، وكان خروجهم من السفينة يوم عاشوراء من المحرم[٣].

وقد أخبرنا شيخنا أبو عبدالله محمّد بن أحمد بن قدامة الإمام المقدسي[٤]، قرأت عليه أنبأنا عليّ بن أحمد الحنبلي[٥] أنبأنا حنبل بن عبدالله[٦] أنبأنا هبة الله بن

---

(١) عموم الرسالة الإسلامية دلّت عليه آيات القرآن الكريم:
﴿قُلْ أوحي إليَّ أنّه استمعَ نَفَرٌ من الجنِّ فقالوا إنّا سَمِعنا قرآناً عجَباً. يَهْدِي إلى الرُّشد فآمنا به وَلَنْ نُشركَ بربِّنا أحَداً﴾ [الجن ٧٢/ ١ ـ ٢].
﴿وَمَا أرسَلْنَاكَ إلاّ كَافّةً للنّاس بَشيراً ونَذيْراً﴾[سبأ ٣٤/ ٢٨].
ومن الحديث: «... فأُرسلتُ إلى الناس كلِّهم عامةً وكان مَنْ قبلي إنّما يُرسلُ إلى قومه...» كنز العمال: ١٢/ ٤٣٠، فضائل النبي ﷺ.

(٢) هو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز: أبو الخطاب السدوسي البصري ولد ٦١هـ، وهو مفسر حافظ، مات ١١٨هـ.
انظر: نكت الهميان، ص ٢٣٠، تذكرة الحفاظ: ١/ ١١٥، الأعلام: ٥/ ١٨٩.

(٣) تفسير ابن كثير: ٣/ ٢٥٥، مجمع البيان: ٥/ ١٦٤، وتفسير القرطبي: ٩/ ٣٦.

(٤) هو محمّد بن أحمد بن عبد الهادي، شمس الدين بن قدامة المقدسي. ولد ٧٠٥هـ، حافظ للحديث، عارف بالأدب، أخذ عن ابن تيمية والذهبي وغيرهما. صنّف كتباً كثيرة.
منها: «المحرر» و«تراجم الحفاظ» توفي ٧٤٤هـ، ترجمته: الدارس: ٢/ ٨٨، جلاء العينين، ص ٢٢، بغية الوعاة، ص ١٢، شذرات: ٦/ ١٤١، والأعلام: ٥/ ٣٢٦.

(٥) هو الفخر ابن البخاري، مرت ترجمته.

(٦) هو حنبل بن عبدالله الرصافي: توفى ٦٠٤هـ، ترجمته شذرات: ٥/ ١٢.

عبد الواحد بن الحصين[1] أنبأنا ابن المذهب[2]، أنبأنا أبو بكر بن مالك[3]، حدثنا عبدالله ابن الإمام أحمد[4]، حدثني أبي[5]، حدثنا أبو جعفر[6]، حدثنا عبد الصمد بن حبيب الأزدي[7] عن أبيه حبيب بن عبدالله[8] عن شبيل[9] عن أبي هريرة، قال: مرّ النبيّ ﷺ بأناس من اليهود قد صاموا يوم عاشورا، فقال: ما هذا من الصوم؟ قالوا: هذا اليوم الذي نجّا الله فيه موسى وبني إسرائيل من الغرق وغرق فيه فرعون، وهذا يوم استوت فيه السفينة على الجودي، فصام نوح وموسى عليهما السلام شكراً لله عزّ وجلّ. فقال النبيّ ﷺ «أنا أحقّ بموسى وأحقّ بصوم هذا اليوم» فصام وقال لأصحابه: «من كان أصبح منكم صائماً فليتم صومه، ومن كان أصاب من غداء أهله فليتم بقية يومه»[10].

---

(١) هو أبو القاسم هبة الله بن محمّد بن عبد الواحد بن الحصين الشيباني البغدادي، ولد ٤٣٢هـ. وسمع ابن غيلان وابن المذهب والتنوخي، مات ٥٢٥هـ، ترجمته: شذرات الذهب: ٤/ ٧٧، والدارس: ١/ ٢٢٧.

(٢) هو الحسن بن علي التميمي، ولد ٣٥٥هـ، وقد روي مسند أحمد عن القطيعي توفي ٤٤٤هـ، ترجمته: شذرات الذهب: ٣/ ٢٧١.

(٣) هو أبو بكر القطيعي، سبقت ترجمته.

(٤) مرت ترجمته.

(٥) هو الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، ولد ١٦٤هـ، وهو إمام المذهب الحنبلي، أصله من مرو، وقد صنف المسند وفيه ثلاثون ألف حديث، وله كتب منها: فضائل الصحابة، توفي ٢٤١هـ، ترجمته: البداية والنهاية: ١٠/ ٣٢٥.

(٦) هو محمّد بن جعفر المدائني، أصله من المدائن، روى عن محمّد بن طلحة وشعبة. ترجمته: الاستغناء: ١/ ٥٠٨، الكاشف: ٣/ ٢٦.

(٧) عبد الصمد بن حبيب الأزدي العوذي. روى عن أبيه وعن سعيد بن طهمان وروى عنه أبو قتيبة وأبو النصر. ترجمته: تهذيب التهذيب: ٦/ ٣٢٦.

(٨) حبيب بن عبد الله الأزدي روى عن الحكم الغفاري وشبيل بن عوف، وروى عنه ولده عبد الصمد، وترجمته: تهذيب التهذيب: ٢/ ١٨٧.

(٩) هو شبيل بن عوف ـ أبو الطفيل الكوفي ـ والد الحارث والمغيرة. أدرك النبي ﷺ وشهد القادسية. روى عن أبي هريرة. ترجمته: تهذيب التهذيب: ٤/ ٣١١.

(١٠) في البخاري: «. . . فأنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه، البخاري: ٣/ ٩٦، والرواية في مسند الإمام أحمد مع اختلاف في الألفاظ.
انظر مسند الإمام أحمد: ٢/ ٣٥٩ و٣٦٠.

قال شيخنا: «هذا حديث غريب من هذا الوجه، ولبعضه شاهد في الصحيح»[١].

فإن قيل: فما يقولون في الحديث الوارد في أن السفينة بمن بها طافت بالبيت العتيق؟

قلت: أخبرنا به جماعة من الشيوخ الثقات عن الشيخ فخر الدِّين أبي الحسن علي بن البخاري أنبأنا الإمام أسعد بن أبي الفضائل الشافعي[٢] في كتابه، أنبأنا شيخنا أبو القاسم الحافظ[٣]، أنبأنا أبو بكر بن خلف[٤] أنبأنا محمَّد بن (علي)[٥] الحافظ، حدثنا أبو العباس محمّد بن يعقوب[٦]، حدثنا الحسن بن علي بن عفان العامري[٧]، حدثنا أبو يحيى الحماني[٨]، حدثنا (النضر) أبو عمر الخزاز[٩] عن عكرمة[١٠]، عن ابن عباس قال: «كان بين دعوة[١١] نوح وهلاك قومه ثلاثمائة

---

(١) تفسير ابن كثير: ٣/ ٥٥٥ والبداية والنهاية وفيهما الحديث بنصه.
وينظر: صحيح البخاري، تفسير سورة يونس: ٦/ ٩١، وصحيح مسلم بشرح النووي: ٨/ ٤ ـ ١٢، والدرّ المنثور: ٣/ ٣٣٥.

(٢) هو أبو الفتوح العجلي، مرت ترجمته.

(٣) هو إسماعيل بن محمد بن الفضل، ترجم.

(٤) هو أحمد بن علي بن خلف ترجمته سبقته.

(٥) في الأصل محمّد بن (عبد) وهو تحريف، لأن الراوي عن محمّد بن يعقوب هو (محمّد بن عليّ)، سبقت ترجمته.

(٦) أبو العباس محمّد بن يعقوب النيسابوري: محدث من أهل نيسابور، له رحلات في طلب العلم ولد ٢٤٧ وتوفي ٣٤٦.
ترجمته: الوافي بالوفيات: ٥/ ٢٢٣ والشذرات: ٢/ ٢٧٣، والمعين، ص ١١١، والإعلام: ٧/ ١٤٥.

(٧) هو أبو محمد الكوفي، الحسن بن عليّ بن عفان العامري. روى عن معاوية بن هشام وجماعة وروى عنه ابن ماجة وابن أبي حاتم وغيرهما. ترجمته تهذيب التهذيب: ٢/ ٣٠١ و٣٠٢.

(٨) هو عبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني ـ أبو يحيى الكوفي ـ ولقبه ـ بشمين ـ أصله من خوارزم. روى عن الأعمش وجماعة، وروى عنه الحسن العامري وجماعة. ترجمته تهذيب التهذيب: ٦/ ١٢٠.

(٩) هو النضر بن عبد الرحمن الخزاز الكوفي. روى عن عكرمة، وروى عنه عبد الحميد الحماني وغيره. ترجمته: تهذيب التهذيب: ١٠/ ٤٤١ و٤٤٢. (النضر) ساقطة من النسختين وأثبتناها من المستدرك.

(١٠) هوعكرمة بن عبدالله البربري المدني مولى عبدالله بن عباس، تابعي روى عنه جماعة، مات بالمدينة، ترجمته: ميزان الاعتدال: ٢/ ٢٠٨ وحلية الأولياء: ٣/ ٣٢٦.

(١١) (دعوة) ليست في المستدرك.

سنة، وكان (قد)[1] فار التنور بالهند، وطافت سفينة نوح بالكعبة أسبوعاً». أخرجه الحاكم في مستدركه على الصحيحين وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه[2].

وأخبرنا أبو حفص عمر بن الحسن[3] شيخنا أنبأنا عن أبي الحسن بن أحمد[4]، أنبأنا شيخ الشيوخ أبو أحمد بن سكينة[5]، في كتابه، أنبأنا الإمام أبو عبدالله محمَّد بن الفضل الصاعدي[6] أنبأنا الإمام أبو الحسن المفسر[7]، أنبأنا أبو منصور بن أبي نصر الواعظ[8]، حدثنا أبو سعيد عبدالله بن محمَّد القرشي[9] حدثنا محمَّد بن أيوب الرازي[10]، أنبأنا عليّ بن عثمان[11]، حدثنا داود بن أبي الفرات[12]، عن علباء بن أحمر[13]، عن عكرمة[14]، عن ابن عباس قال: «كان

---

(١) (قد) ساقطة من النسختين وأثبتناها من المستدرك لمناسبتها.

(٢) المستدرك: ٢/ ٣٤٣.

(٣) هو عمر بن الحسن بن مزيد أبو حفص المراغي الأصل ولد ٦٨٠هـ، قرأ عليه المصنّف كثيراً من كتب القرآن. مات ٧٧٨هـ ودفن بدمشق. ترجمته: في غاية النهاية: ١/ ٥٩٠.

(٤) هو ابن البخاري، مرت ترجمته.

(٥) هو عبد الوهاب بن عليّ أبو أحمد بن سكينة: إمام مقرئ، ولد ٥١٧هـ، انتهت إليه مشيخة العلم، توفي ٦٠٧هـ، ترجمته غاية النهاية: ١/ ٤٨٠.

(٦) هو محمّد بن الفضل بن أحمد بن محمّد الصاعدي النيسابوري البغدادي، كان يختلف إلى مجلس إمام الحرمين الجويني، ولد ٤٤٢هـ وتوفي ٥٣٠هـ، ترجمته: وفيات الأعيان: ٤/ ٢٩٠، والوافي: ٤/ ٣٢٣.

(٧) هو عليّ بن أحمد الواحدي وسبقت ترجمته.

(٨) لم أعثر على اسمه ولا ترجمته في المصادر.

(٩) هو عبدالله بن محمّد بن عبد الوهاب القرشي الرازي، روى عن محمّد بن أيوب، توفي في بخارى، ص ٣٨٢. ترجمته: شذرات الذهب: ٣/ ١٠٣ والمعين، ص ١١٧، والعبر: ٣/ ٢١، الوافي: ١٧/ ٤٩٠.

(١٠) هو محمّد بن أيوب بن ضريس شيخ الري ومسندها، ولد سنة ٢٠٠هـ، ومات بالري ٢٩٤هـ. ترجمته: الوافي بالوفيات: ٢/ ٢٣٤ والأعلام: ٦/ ٤٦، شذرات: ٢/ ٢١٦.

(١١) لم أعثر على ترجمته في المصادر.

(١٢) هو داود بن أبي الفرات الكندي المروزي روى عن علباء بن أحمر. توفي ١٦٧ ترجمته: في تهذيب التهذيب: ٣/ ١٨٠ والجرح والتعديل: ٣/ ٤٠٧، والكاشف: ١/ ٢٢٤.

(١٣) علباء بن أحمر اليشكري: روى عن عمرو بن أخطب، وعنه داود بن أبي الفرات، ترجمته: في تهذيب التهذيب: ٧/ ٢٧٣، الكاشف: ٢/ ٢٤١.

(١٤) الدر المنثور: ٣/ ٣٣٣.
وتفسير ابن كثير: ٣/ ٥٥٤ و٥٥٥ مع اختلاف يسير ومعجم البلدان: ٢/ ٨٤.

مع نوح ثمانون رجلاً معهم أهلوهم، وأنهم كانوا في السفينة مائة وخمسين يوماً، وأن الله وجَّه السفينة إلى مكة، فدارت بالبيت أربعين يوماً ثمّ وجَّهها الله تعالى إلى الجودي فاستقرّت، فبعث نوح الغراب ليأتيه بخبر الأرض، فذهب فوقع على الجيف، فأبطأ عليه. فبعث الحمامة فأتته بورق الزيتون ولطخت رجلها بالطين، فعرف نوح أن الماء قد نضب، فهبط إلى أسفل الجودي، فابتنى قرية وسمّاها ثمانين».

الوجه الثاني

ـ في معاني كلماتها من جهة التفصيل لغةً وإعراباً: ـ

فنقول: الواو الواقعة هنا حرف عطف، وهي لمطلق الجمع.

قال سيبويه[1]: قولك مررت برجل وحمار، كأنّك قلت مَرَرْتُ بهما. وليس في هذا دليل على أنَّه بدأ بشيء قبل شيء، ولا بشيء مع شيء[2].

وقال ابن مالك في التسهيل: وكونُها للمعيّةِ راجحٌ وللترتيب كثيرٌ، ولعكسه قليلٌ[3]، انتهى.

وليس بمنافٍ لقول سيبويه كما توهَّمه بعضهم. فكونها للمعيَّة تعطف الشيء على مصاحبه، كقوله تعالى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ﴾ [العنكبوت ٢٩/ ١٥].

وكونها للترتيب تعطف الشيء على سابقه كقوله: ﴿وَلَقَد أَرْسَلْنَا نُوحاً وإِبْرَاهِيْم﴾ [الحديد ٥٧/ ٢٦]. ولعكسه تعطف الشيء على لاحقه كقوله: ﴿يُوحِي إِلَيْكَ وإلى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [الشورى ٤٢/ ٣]. وقد اجتمعا ـ أي السابق واللاحق ـ في قوله تعالى: ﴿وَمِنْكَ وَمِنْ نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيْسَى ابن مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب ٣٣/ ٧]. إذ تقرَّر ذلك. فإذا قلت: قَامَ زَيْدٌ وَعَمْرٌو، احتمل المعية والترتيب وعكسه فقول بعضهم إنَّها للجمع المطلق غير جيد لتقييد الجمع بقيد الإطلاق، وإنَّما هي للجمع

---

(١) هو عمرو بن عثمان الحارثي بالولاء. إمام النحاة، ولد في شيراز ١٤٨هـ قدم البصرة فلازم الخليل ابن أحمد. ثمّ صنّف كتابه المسمى «كتاب سيبويه» في النحو. توفي في الأهواز ١٨٠هـ. ترجمته: ابن خلكان: ١/ ٣٨٥، وطبقات النحويين، ص ٦٦، وتأريخ بغداد: ١٢/ ١٩٥، والأعلام: ٥/ ٨١.

(٢) في الكتاب، باب ما أشرك بين الاسمين في الحرف الجار:

«وذلك قولك مررت برجل وحمار قبلُ. فالواو أشركت بينهما في الباء فجريا عليه، ولم تجعل للرجل منزلة بتقديمك إيّاه يكون بها أولى من الحمار كأنّك قلت: مَرَرْتُ بِهِما، وليس في هذا دليل على أنه بدأ بشيء قبل شيء ولا بشيء مع شيء..».

الكتاب لسيبويه: ١/ ٢١٨، المطبعة الأميرية بولاق ١٣١٦هـ.

(٣) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك، تحقيق محمّد كامل بركات، ص ١٧٤.

لا بقيد[1] الإطلاق، لأنَّ المطلق هو الذي لم يقيّد بشيءٍ فيدخل فيه صورة واحدة، قولك مثلاً: ـ قام زيد وعمرو ـ ولا يدخل فيه المقيّد بالمعية ولا بالتقديم ولا بالتأخير لخروجها بالتقييد عن الإطلاق.

وأمّا مطلق الجمع فمعناه أي جمع كان، فحينئذٍ يدخل فيه الأربعة المذكورة، وهذا من دقيق العلم فليتأمّل. وقلّ من رأيته تحققه، وإذا أردت تحقيقه ظهر من قولهم: المَاءُ المُطْلَقُ، ومُطْلَقُ المَاءِ.

وأمّا قول السيرافي[2]: «إنَّ النحويين واللغوين أجمعوا على أنَّها لا تفيد الترتيب»[3] فليس بصحيح، إذ قال بإفادتها إيّاه: قطرب[4]، والفراء[5]، والربعي[6]، وثعلب[7]، وأبو عمرو الزاهد[8]، وهشام[9]، وكثير من الفقهاء. ونقل إمام الحرمين[10] في البرهان عن بعض الحنفيَّة أنَّها

---

(١) في النسخة ظ(لا تفيد). وهو يخالف السياق.

(٢) هو الحسن بن عبدالله بن المرزبان: نحوي عالم بالأدب، ولد في سيراف ٢٨٤هـ، ثم سكن بغداد فتولى القضاء وتوفي فيها ٣٦٨هـ. من مصنفاته: «الإقناع» و «صنعة الشعر» و «أخبار النحويين البصريين».
ترجمته: إنباه الرواة: ١/ ٣١٣، وفيات: ١/ ١٣٠، الأعلام: ٢/ ١٩٥.

(٣) مغني اللبيب، ص ٤٦٤ الطبعة الخامسة بيروت.

(٤) هو محمّد بن المستنير: نحوي من البصرة. أول من وضع المثلث في اللغة، تلميذ سيبويه من كتبه «الأزمنة» و«النوادر»، مات ٢٠٦هـ. ترجمته: وفيات: ١/ ٤٩٤، والأعلام: ٧/ ٩٥. وطبقات المفسرين: ٢/ ٢٥٤.

(٥) الفراء: يحيى بن زياد الديلمي. إمام الكوفيين في النحو. ولد بالكوفة ١٤٤هـ، وتوفي في طريق مكة ٢٠٧هـ، من كتبه: «معاني القرآن» و «المقصور والممدود».
ترجمته: مفتاح السعادة: ١/ ١٤٤، والأعلام: ٨/ ١٤٦.

(٦) الربعي: عليّ بن عيسى بن الفرج. عالم العربية، أصله من شيراز، ولد ٣٢٨هـ. اشتهر ومات ببغداد ٤٢٠هـ. من كتبه «البديع» و «شرح الإيضاح». ترجمته: إنباه الرواة: ٢/ ٢٩٧، الأعلام: ٤/ ٣١٨.

(٧) ثعلب: أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني: إمام الكوفيين في النحو ولد في بغداد ٢٠٠هـ، وفيها مات ٢٩١ من كتبه «قواعد الشعر» و«الفصيح» و«مجالس ثعلب» ترجمته: إنباه الرواة: ١/ ١٣٨، الأعلام: ١/ ٢٦٧.

(٨) هو محمّد بن عبد الواحد الباروردي: ولد ٢٦١هـ وصحب ثعلب ولقّب «غلام ثعلب» توفي ببغداد ٣٤٥هـ. له مصنّفات منها: «غريب الحديث» و«القبائل». ترجمته وفيات: ١/ ٥٠٠، الأعلام: ٦/ ٢٥٤.

(٩) هشام: هو هشام بن معاوية الكوفي: نحوي ضرير من أهل الكوفة. له كتب منها: الحدود والقياس، توفي ٢٠٩ هـ. ترجمته: وفيات الأعيان: ٢/ ١٩٦، وبغية الوعاة: ٢/ ٢٨.

(١٠) هو عبد الملك بن عبدالله بن يوسف الجويني. ولد في جوين ثم ذهب إلى المدينة له مصنّفات كثيرة=

للمعيَّة[1] فعلى هذا «إذا قال في مرض موته: أعتقت بكراً وخالداً، وضاق الثلث عنهما، فإن قلنا بالترتيب تعيَّن الأوَّل، وإن قلنا بعدمه، أقرع بينهما، أو عتق كل بحصَّتـه، على مقتضى ما نقل عن الحنفيَّة، وقد يتَّجه تخريجه على قولي الشافعي فيمـا إذا قـال لامـرأته قبل الدخول: أنت طالق وطالق، فعلى الجديد يقع واحدة وعلى القديم اثنتان»[2].

وقول من ردَّ كونها للترتيب بقوله تعالى: ﴿**وَقُولُوا حِطَّة وادْخُلُوا البَابَ سُجَّداً**﴾ [الأعراف ٧/ ١٦١] مع قوله في البقرة: ﴿**وادْخُلُوا البَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّة**﴾ [البقرة ٢/ ٥٨] مردود بقوله في الأعراف: ﴿**لأُقَطِّعَنَّ أيْدِيَكُم وَأَرْجُلَكُم مِنْ خِلافٍ**﴾ (ثُمّ)[3] ﴿**لأُصلِّبَنَّكُم...**﴾ [الأعراف/ ١٢٤] وليست واو الثمانية التي أثبتها بعض النحاة والأدباء والمفسِّريـن خارجة عن واو العطف[4] كما بيّناه في غير هذا الموضع

= منها البرهان. توفي بنيسابور ٤٧٨هـ.
ترجمته: وفيات الأعيان: ١/ ٢٨٧، وطبقات الشافعية: ٣/ ٤٩ والأعلام: ٤/ ١٦٠.

(١) ما ذكره إمام الحرمين في كتابه البرهان ـ المطبوع ـ ١/ ١٨١ الآتي: «خاض الفقهاء في الواو العاطفة وأنها هل تقتضي ترتيباً أو جمعاً، فاشتهر في مذهب الشافعي رحمه الله المصير إلى أنها للترتيب. وذهب أصحاب أبي حنيفة رحمه الله إلى أنها للجمع. وقد زلّ الفريقان..».
وقال في موضع آخر «وترد الواو في باب المفعول معه بمعنى (مع)..» البرهان: ١/ ١٨١ ـ ١٨٣ وفي مغني اللبيب مع اختلاف يسير، ص ٤٦٤.

(٢) التمهيد في تخريج الفروع على الأصول للإمام الآسنوي، ص ٢٠٤ مع اختلاف يسير.

(٣) في الأصل والنسخة ظ (ولأصلبنكم) وهو تحريف في الآية من الناسخ والظاهر أن العبارة ناقصة بسبب النسخ ويحتمل أن تكون العبارة قياساً على ما قبلها وسياق الكلام (مردود بقوله في الأعراف).. ثم لأصلبنّكم «الأعراف/ ١٢٤»، مع قوله تعالى في سورة الشعراء ﴿**لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين**﴾ [الشعراء/ ٤٩]. وبهذه الصياغة يستقيم استدلاله على كون (الواو) للترتيب.

(٤) ذكرها جماعة من الأدباء كالحريري ومن النحويين كابن خالويه وزعموا أنّ العرب إذا عدّوا قالوا: ستة، سبعة، وثمانية، إيذاناً بأنّ السبعة عدد تام، وأن مابعدها عدد مستأنف. مغني اللبيب، ص ٤٧٤. وقد اختُلف فيها بين النحاة ولم يثبتها المحققون منهم. الجنى الداني، ص ١٦٧ وذكر القرطبي أنّها من استخدام القرشيين وقد جاءت في قوله تعالى: ﴿**وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُم**﴾ [الكهف/ ٢٢]. وذكر في هذه الواو أن العدد عند العرب كان ينتهي إلى سبعة فإذا أرادوا الزيادة على هذا استأنفوا الكلام إلى خبر آخر بأن يدخلوا (الواو) كقوله تعالى: ﴿**التَّائبُونَ العَابِدُونَ. والنَّاهُونَ عَن المُنكَر والحَافِظُونَ**﴾ [التوبة/ ١١٢]. فجاؤوا بالواو في الثمانية. انظر القضايا النحوية في تفسير القرطبي، رسالة دكتوراه مقدمة من كاظم إبراهيم كاظم إلى كلية الآداب بالقاهرة، ص ٣٩٧ و٣٩٨.

مبسوطاً، والله أعلم.

إذا عُلِمَ ذلك، قالوا: والواقعة هنا عاطفة جملة على جملة في الخمسة المواضع من هذه الآية، وهي فيها للترتيب عطف لاحق على سابق، وسيجئ لهذا الكلام تتمَّة، وفوائد جليلة في السؤال (الرابع)(١)، في وجه تقديم الأرض هنا على السماء، والله أعلم.

وأمّا ـ قيل: فهو فعلٌ ماضٍ بُني للمفعول مشتق من القول وهو: اللفظ المركب من الحروف، المستعمل مفرداً كان أو جملة(٢). وقال الراغب(٣): المبرز بالنطق(٤). وقولنا ـ اللفظ ـ يُغني عن ذلك، ولم يذكر الاستعمال ولا بدّ منه إذ المهمل لا يطلق عليه (قول). قال تعالى: ﴿ما يَلْفظُ مِنْ قَوْلٍ إلاَّ لَدَيْهِ رَقِيْبٌ عَتِيْدٌ﴾ [ق ٥٠/١٨] فالقول أخصّ من اللفظ ولهذا كان الأسَدُّ من حد الكلام إصطلاحاً هو: القول المفيد بالقصد. وهذا هو القول حقيقة.

وقد يطلق مجازاً على ما في النَّفس(٥) كقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلاَ يُعَذِّبُنَا اللهُ بِمَا نَقُولُ﴾ [المجادلة ٥٨/٨].

ويطلق على الاعتقاد نقول فلان يقول بقول الشافعي(٦). ومنه حديث ابن المسيب(٧)، وقد قيل له: ما تقول في عثمان وعليّ رضي الله عنهما، فقال: أقول ما قَوَّلَنِي الله، ثمّ قرأ: ﴿وَالَّذِيْنَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِم يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بالإيمَانِ﴾ [الحشر ٥٩/١٠]، يقال: قَوَّلَنِي أي: عَلَّمَنِي ما أَقُولُ، «كما

---

(١) في الأصل والنسخة ظ (السؤال الثالث) وبعد الرجوع إلى الأسئلة في الوجه الثالث وجدت المقصود في السؤال الرابع وقد صحّحته.

(٢) تاج العروس للزبيدي مادة قَوَلَ: ٨/٨٩.

(٣) هو الإمام الحسين بن محمّد الأصفهاني ـ الراغب.
له مؤلفات: «محاضرات الأدباء» و «الذريعة إلى مكارم الشريعة» وغيرها توفي ٥٠٢هـ.
من مصادر ترجمته: روضات الجنات، ص ٢٤٩، وكشف الظنون: ١/٣٦، الأعلام: ٢/٢٧٩.

(٤) المفردات للراغب، ص ٤١٥.

(٥) المفردات في غريب القرآن ـ للراغب باب القاف، ص ٤١٥.

(٦) المفردات في غريب القرآن ـ للراغب باب القاف.

(٧) هو سعيد بن المسيب بن حزن تابعي ولد ١٣هـ. وكان راوية حافظاً، توفي بالمدينة ٩٤هـ.
ترجمته: وفيات الأعيان: ٢/٣٧٥، وطبقات ابن سعد: ٥/٨٨، والأعلام: ٣/١٥٥.

في حديث عليّ رضي الله عنه وقد سمع امرأة تندب عمر رضي الله عنه وتثني عليه، فقال: أما والله ما قالته ولكن قُوِّلَتْهُ أي عُلِّمَتْهُ ولُقِّنَتْهُ وأُلْقِيَ على لسانها، من جانب الإلهام[1] أي حقيق بما قالت فيه»[2].

وعلى الدلالة نحو: «امْتَلأَ الحَوْضُ وَقَالَ قَطْنِي»[3].

والعرب تجعل (القول) عبارة عن جميع الأفعال وتطلقه على غير الكلام واللسان، فتقول: قال بيده أي أخذ، وقال برجله أي مشى، وَقَالَتْ لَهُ العَيْنَانِ سَمْعاً وَطَاعَةً[4] أي: أوْمَأَتْ، و (قال)[5] بالمَاءِ على يَدِهِ أي قَلَب، وقَالَ بِثَوْبِهِ أي رَفَعَهُ. وكلُّ ذلك على المجاز والاتساع[6].

ومقتضى قول الزمخشري ومن تبعه: حَمْلُهُ هنا على الإرادة مجازاً واتساعاً[7].

وهو مردود بما قدّمنا، فقد أجمع من يعتدُّ به من العلماء رحمهم الله على أنّ ما ورد من الأحاديث عنه ﷺ: «من قال صبيحة كلَّ يوم أو مساءه[8] كذا فله

---

(١) الإلهام: أن يلقي الله في النفس أمراً يبعثه على الفعل أو الترك.

(٢) الرواية في لسان العرب مع اختلاف يسير، لسان العرب مادة قول: ١١/ ٥٧٤.

(٣) هو صدر بيت مجهول القائل عجزه: مهلاً رويداً قد ملأت بطني والكتب التي ورد فيها: المفردات، ص ٤١٥، ولسان العرب، اللام: ١١/ ٥٧٢، وفقه اللغة، ص ٣٥٩ والخصائص: ١/ ٢٣ والإنصاف للأنباري: ١/ ٨٣.

(٤) هو صدر بيت عجزه. . . . . «وَحَدَّرَتَا كالدرّ لَمّا يُثَقَّب» وهو مجهول القائل. تاج العروس باب اللام، القاف: ٨/ ٨٩، والخصائص: ١/ ٢٢، ومعجم شواهد العربية: ١/ ٥٥.
وفي لسان العرب/ «فإنه وإن لم يكن منهما صوت، فإنّ الحال آذنت بأن لو كان لهما جارحة نطق لقالتا: سمعاً وطاعة» لسان/ اللام: ١١/ ٥٧٢.

(٥) في الأصل (قلت) وهو مخالف للسياق وقد أثبتناها من لسان العرب.

(٦) لسان العرب، مادة قول: ١١/ ٥٧٧.

(٧) الكشاف: ٢/ ٢٧١.

(٨) وفي سنن الترمذي كتاب الدعوات: ٥/ ٤٦٥:
«من قال إذا أصبح وإذا أمسى: رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمّد رسولاً، كان حقاً على الله أن يرضيه يوم القيامة».
وقد أورد المصنِّف في عُدَّة الحصن الحصين الكثير من الأحاديث. انظر عدة الحصن الحصين، الباب الثالث، فيما يقال في الصباح والمساء.

كـذا، ومن قال كذا فله كذا، لا بدَّ من التلفُّظ به، فقالوا كل ذلك مشروع واجباً كان أو مستحباً، لا يعتدُّ[1] بشيء منه حتى يتلفظ به ويسمع نفسه.

فإن قيل: فما نقول في قوله ﷺ: «فإذا كانَ يَومُ صِيام أحدِكم فلا يَرْفَثْ[2] ولا يَجْهَل، فإن امرؤ شـاتَمَـهُ أو قَاتَلَهُ فَلْيَقُل إنِّي صائم»[3] يقوله بقلبه أو لسانه.

قـلت: فيه قـولان للعلمـاء، همـا وجهـان لأصحاب الشافعي. وقد جزم الشافعي بالأوَّل فقال: قال الأئمَّة كذا وكذا ومعناه أنَّه يذكِّر نفسه بذلك لِيَنْزَجِرَ فإنَّه لا معنى لذكره باللسان[4] إلاَّ إظهار العبادة وهو رياء.

وقال الشيخ محيي الدين النووي في التحرير[5] وفي الأذكار: أظهر الوجهين أنَّه يقول بلسانه[6] وقال في شرح المهذب[7]: إنَّـه الأقوى. قال: فإن جمع بينهما فحسـن، وقـال: إنَّـه يستحـبُّ تـكراره مرَّتين أو ثلاثاً لأنَّ ذلك أقرب إلى إمساك صاحبه عنه[8].

---

(١) في النسخة ظ (لا) ساقطة.

(٢) الرفث: الجماع وغيره مما يكون بين الرجل وامرأته، والرفث أيضاً الفحش من القول. انظر لسان العرب، مادة ـ رفث: ٢/١٥٣.

(٣) الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده: ٢/٢٤٥، ٢٥٧، ٢٨٦، ٣٠٦، ٣١٢، ٣٥٦، ٣٩٩، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٧٤، ٤٩٥ وأبو داود في سننه: ٢/٢٨٠ وموطأ مالك، ص ٢١٠، وفتح الباري: ٤/١١٨، وصحيح مسلم: ٣/١٥٧، ونهاية المحتاج: ٣/٢٨١، وسنن ابن ماجة: ١/٥٣٨ و٥٣٩. مع اختلاف يسير في الألفاظ. و«إنّي صائم» مكررة في رواية مسلم: ٣/١٥٧.

(٤) نهاية المحتاج: ٣/١٨٢.

(٥) التحرير: هو المشهور بـ«المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج» أسماء الكتب، ص ٨٤.

(٦) قال النووي في المنهاج: ... واختلفوا في معناه فقيل: يقوله بلسانه جهراً يسمعه الشاتم والمقاتل فينزجر غالباً. وقيل: لا يقوله بلسانه بل يحدث به نفسه ليمنعها من مشاتمته ومقاتلته ومقابلته، ويحرص صومه عن المكدرات. ولو جمع بين الأمرين كان حسناً. المنهاج: ٨/٢٨. والأذكار المنتخبة للنووي، ص ١٦٥.

(٧) المهذب: هو كتاب ألفه في فقه الشافعي إبراهيم الشيرازي المتوفى ٤٧٦هـ ثم تصدى لشرحه الإمام النووي في «المجموع شرح مهذب الشيرازي» ولم يتمكن من إتمامه حيث وصل إلى باب الربا فتصدى لإكماله تقي الدين السبكي. كشف الظنون: ٢/١٩١٢.

(٨) المجموع شرح المهذب: ٦/٤١٠.

وحكى الروياني[1] وجهاً (آخر)[2] واستحسنه: وهو أنَّه إن كان صوم رمضان فيقوله بلسانه، وإن كان نفلاً فبقلبه[3].

أقول: سبب عدول من عدل هنا عن الحقيقة إلى المجاز خوف الوقوع في الرياء، وإذا حصل معنى ظاهر يرجِّح المجاز[4] يجوز المصير إليه، وما ذكره الروياني من العمل بالحقيقة في صوم رمضان وبالمجاز في النفل[5] وجه ظاهر، لأنَّ الفرض مأمور به فلا يخشى الرياء في الإخبار به بخلاف النفل، والله تعالى أعلم.

وإذا عرف ذلك فنقول: أصل هذا الفعل (قَوَلَ) فلمّا فتحت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً، فلما بُنِيَ للمفعول هو وسائر أخواته من معتل العين الواوي واليائي، جرت للعرب في ذلك ثلاث لغات:

الأولى: كسر فاء الكلمة كسراً خالصاً فتنقلب الألف ياءً فنقول: قِيْلَ وبِيْعَ، وهذه لغة الحجازيين: قريش ومن جاورهم وربَّما قرأ بها[6] أكثر القرّاء.

الثانية: إشمام الكسرة الضم[7]: وهي لغة كثير من قيس[8] وعامَّة أسد[9]،

---

(١) هو عبد الواحد بن إسماعيل الروياني الشافعي ولد ٤١٥هـ ومات مقتولاً في آمل. له «بحر المذهب» و «الكافي» و «حلية المؤمن».
من مصادر ترجمته: وفيات الأعيان: ١/ ٢٩٧، ومفتاح السعادة: ٢/ ٢١٠، والأعلام: ٤/ ١٧٥.

(٢) (آخر) لم ترد في التمهيد.

(٣) التمهيد في تخريج الفروع على الأصول لجمال الدين الآسنوي، ص ١٣٧ وقد نقله عن بحر المذهب للروياني ـ ولم أعثر عليه مطبوعاً.

(٤) في النسخة ظ (الجواز، المجاز).

(٥) النفل والنافلة: ما يفعله الإنسان مما لا يجب عليه. انظر لسان العرب: نفل: ١١/ ٦٧٢.

(٦) (بها) ساقطة من النسخة ظ.

(٧) الإشمام: هو النطق بحركة صوتية تجمع بين الضمة والكسرة على التوالي السريع بغير مزج بينهما، النحو الوافي: ٢/ ٨٧.

(٨) قيس بن عيلان: شعب عظيم يتشعب إلى بطون. معجم قبائل العرب: ٣/ ٩٧٢.

(٩) أسد بن خزيمة: قبيلة عظيمة من العدنانية، ذات بطون كثيرة. معجم قبائل العرب: ١/ ٢١.

وبها قرأ الكسائي[1] وابن عامر[2] في رواية هشام[3]، ويعقوب[4] في رواية (رويس[5])[6].

الثالثة: إخلاص ضمة الفاء فتنقلب الألف واواً، فنقول: (قُوْلَ) و(بُوعَ)، وهي لغة فقعس ودبير وهما من فصحاء بني أسد وموجودة في لغة[7] هذيل[8].

فإن قيل: فما الباعث على حذف الفاعل في هذا الباب وإقامة المفعول مقامه؟

---

(١) هو الإمام علي بن حمزة أبو الحسن الأسدي: ولد في حدود سنة عشرين ومائة وسمع من الإمام جعفر الصادق، والأعمش، وزائدة، وسليمان بن أرقم وقرأ القرآن على حمزة الزيات، وعيسى بن عمر الهمداني..
له تصانيف منها: معاني القرآن، والقراءات.
ترجمته: معرفة القراء: ١/ ١٢٠.

(٢) هو عبدالله بن عامر بن يزيد بن تميم إمام أهل الشام في القراءة وقد أخذ القراءة عرضاً عن أبي الدرداء وعن المغيرة بن أبي شهاب. وروى عنه محمّد بن الوليد وربيعة بن يزيد وآخرون.
ترجمته في: معرفة القراء الكبار للذهبي: ١/ ٨٢، طبقات ابن سعد: ٧/ ٤٤٩، شذرات الذهب: ١/ ١٥٦.

(٣) هو هشام بن عمار السلمي: شيخ أهل دمشق ومفتيهم، ولد ١٥٣هـ وقرأ القرآن على عراك بن خالد وغيره، وسمع من مالك بن أنس وغيره مات ٢٤٥هـ.
ترجمته: معرفة القراء: ١/ ١٩٥، طبقات ابن سعد: ٧/ ١٧٤.

(٤) هو يعقوب بن إسحاق الحضرمي قارئ البصرة في عصره. قرأ القرآن على أبي المنذر سلام بن سليم، وعلى أبي الأشهب العطاردي ومهدي بن ميمون وشهاب بن شرنفة. وسمع من حمزة الزيات وشعبة وغيرهما وقرأ عليه روح بن عبد المؤمن وأبو حاتم السجستاني وغيرهما.
ترجمته في: طبقات ابن سعد: ٧/ ٣٠٤. ومعرفة القراء: ٢/ ١٥٧.

(٥) في نسخة الأصل (ورش) بينما في النسخة ظ وفي النشر: ٢/ ٢٠٨.
ومعرفة القراء الكبار: ١/ ١٥٧ أن الذي روى عن يعقوب (رويس) وقد صححته.
رويس: هو محمّد بن المتوكل أبو عبدالله اللؤلؤي المقرىء، قرأ على يعقوب الحضرمي وتصدر للإقراء. وقرأ عليه محمّد بن هارون التمار توفي بالبصرة ٢٣٨هـ. ترجمته: معرفة القراء الكبار: ١/ ٢١٦، غاية النهاية: ٢/ ٢٣٤، تهذيب التهذيب: ٩/ ٤٢٤.

(٦) إتحاف الفضلاء، ص ١٥٥، والنشر في القراءات العشر: ٢/ ٢٠٨، والتيسير في القراءات السبع، ص ٧٢، ومعجم القراءات القرآنية: ٣/ ١١٤.

(٧) شرح ابن عقيل للألفية: ١/ ٤٢٦ ـ ٤٢٨.

(٨) هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر من عدنان: جد جاهلي، بنوه قبيلة كبيرة كان أكثر سكان وادي نخلة المجاور لمكة منهم. معجم قبائل العرب: ١/ ١٢١٣.

قلت: لذلك بواعث[1] أوصلها المتأخِّرون من أهل العربية إلى أحد عشر، نظّمها شيخ شيوخنا الأستاذ أثير الدين أبو حيان[2] رحمه الله في أرجوزته فقال:

وَحَـذْفُـهُ لِلْخَـوْفِ والإبْهَـامِ والـوَزْنِ والتَّحْقِيـرِ والإعْظَـامِ
وَالعِلْـمِ[3] والجَهْـلِ والاخْتِصَـارِ والسَّجْـعِ والـوِفَـاقِ والإيْثَـارِ[4]

وستأتي النكتة (في حذفه هنا)[5] عند ذكر الأسئلة إن شاء الله تعالى.

وأمّا (يا): فهي حرف موضوع لنداء البعيد حقيقةً أو حكماً، وقد ينادى بها القريب توكيداً وقيل هي مشتركة بين البعيد والقريب، وقيل بينهما وبين المتوسط، وهي أكثر أحرف النداء استعمالاً[6].

---

(١) الأغراض التي تدعو إلى حذف الفاعل كثيرة ولكنها لا تخلو من أن سببها إما أن يكون لفظياً أو معنوياً. أما الأسباب اللفظية فمنها:
أ ـ القصد إلى الإيجاز مثل قوله تعالى: ﴿فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم به﴾.
ب ـ المحافظة على السجع في النثر مثل قوله: «مَنْ طَابت سريرته حُمِدَتْ سيرته».
جـ ـ المحافظة على الوزن في الشعر.
ومن الأسباب المعنوية:
أ ـ كون الفاعل معلوماً للمخاطب حتى لا يحتاج إلى ذكره له.
ب ـ كون الفاعل مجهولاً للمتكلم.
جـ ـ رغبة المتكلم في الابهام على السامع.
د ـ رغبته في تعظيم الفاعل بصون اسمه.
هـ ـ إظهار تحقير الفاعل.
و ـ الخوف من الفاعل.
ز ـ الخوف على الفاعل من مكروه عليه.
شرح ابن عقيل تحقيق محمّد محيـي الدين: ١/٤٩٩ و٥٠٠.
(٢) هو محمّد بن يوسف بن حيان الجياني الأندلسي، من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم. ولد في إحدى جهات غرناطة ٦٥٤هـ وتوفي في القاهرة ٧٤٥هـ. له «مجاني العصر» والبحر المحيط وغيرهما.
(٣) من مصادر ترجمته: الدرر الكامنة: ٤/٣٠٢ وشذرات الذهب: ٦/١٤٥ والنجوم الزاهرة: ١٠/١١١ والأعلام: ٧/١٥٢.
(٤) في الديوان المطبوع (فالعلم).
(٥) ديوان أبي حيان الأندلسي ٥٠١هـ وهو من بحر الرجز.
(٦) في الأصل (هنا في حذفه)، وفي النسخة ظ (في حذفه هنا) وهو الصواب في سياق كلامه وقد اخترته.

وذهب بعض النحاة إلى أنَّها وأخواتها أسماء أفعال تتحمَّل ضميراً، مستكناً فيها[1] وأعملها استعمالاً.

والنداء إنشاء، وقيل: إن كان بالصفة فهو خبر نحو: يا عالم.

والمنادى منصوب لفظاً (أو)[2] تقديراً، وناصبه عند الجمهور فعل (مضمر)[3] بعد الأداة، تقديره: أنادي وأدعو. وهو إنشاء مثل (أُقْسِمُ) في باب القسم[4].

وقيل: الناصب الأداة وهي اسم فعل[5].

وقيل: الحرف نفسه.

وقيل: الحرف بنيابته عن الفعل، وهذا مذهب أبي علي الفارسي[6] [7].

والمنادى إن كان مُعرباً في الأصل بُنِيَ على ما يُرفَعُ به. تقول: يا زيدُ، يا رجلُ، يا سماءُ، يا أرضُ، ويا زيدانِ، ويا زيدونَ على الصّحيح فيهما، خلافاً لبعض الكوفيين في تشبيه المثنى والمجموع بالمضاف[8] فنداؤهما بالياء يا زيدَيْنِ، يا زيدِيْنَ[9] وحركة نحو: يا زيدُ ويا رجلُ، حركة بناء. خلافاً للكسائي والرياشي[10] حيث قالا: إنَّها حركة إعراب[11].

---

(١) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ـ لابن هشام ـ الباب الأول ـ ص ٤٨٨.

(٢) في الأصل والنسخة ظ (لفظاً وتقديراً) وقد اخترنا (أو) للسياق.

(٣) في الأصل (فعل ضمير). وفي ظ (فعل مضمر) وقد اخترناه لمناسبته.

(٤) همع الهوامع: ٣/ ٣٣.

(٥) على أن حروف النداء أسماء أفعال بمعنى (أدعو)، كـ(أفٍّ) بمعنى: أتضجّر. المصدر السابق: ٣/ ٣٤.

(٦) المصدر نفسه: ٣/ ٣٣.

(٧) هو الحسن بن أحمد الفارسي، أحد أئمة اللغة. ولد في فارس ٢٨٨هـ وتجول في البلدان وأقام عند سيف الدولة. من كتبه «التذكرة» توفي ٣٧٧هـ.
من مصادر ترجمته: إنباه الرواة: ١/ ٢٧٣، وفيات الأعيان: ١/ ١٣١.

(٨) الباء ساقطة من النسخة (ظ).

(٩) همع الهوامع: ٣/ ٨٣.

(١٠) هو العباس بن الفرج الرياشي البصري ولد ١٧٧هـ. وكان لغوياً راوية وله كتاب «الخيل» وكتاب «الإبل». قتل أيام فتنة الزنج ٢٥٧هـ. من مصادر ترجمته: وفيات الأعيان: ١/ ٢٤٦، الأعلام: ٣/ ٢٦٤.

(١١) همع الهوامع: ٣/ ٣٧، ونسبه إلى الرياشي.

ثمَّ ما كان علماً نحو يا زيد، هل هو باقٍ على تعريفه بالعَلَمِيَّةِ؟ كما ذهب إليه ابن السرَّاج[(١)] وجماعة[(٢)]، أو يسلب تعريفه بالعَلَمِيَّةِ ويصير معرفة بالإقبال عليه والخطاب، كنداء النكرة غير الموصوفة حيث يصير معرفة بالاستقبال عليها نحو: يا رجل ويا سماء فيه خلاف، وإلى الثاني ذهب المبرد[(٣)] والفارسي والأكثرون[(٤)].

وأمَّا الأرض: فهي الجُرْمُ المُقابِلُ للسَّماءِ[(٥)]، وهي بجملتها كُرِيَّة على الصَّواب بالبراهين القطعيَّة[(٦)].

ويطلق مجازاً على أسفل الشيء، كما تطلق السماء على أعلاه، وهي مؤنثة اسم جنس، فحق الواحدة منها أن يقال: ولكنَّه لم يسمع، وجمعوه أرَضَات وأرَضُون بفتح الراء وربّما سكنت، وأراض وأراضي على غير قياس[(٧)].

وأما (ابْلَعِي): فهو أمْرٌ من البَلْع، وهو الزَّرد، والابتلاع: الازدراد. يقال: بَلِعَ اللقمة وزَرِدَها بالكسر في كليهما[(٨)]: يَبْلَعُ ويَزْرَدُ، يريدون بذلك سرعة نزولها في الحُلْقُوم، أي من غير توقف لمضغ ولا علك ولا غيره.

---

(١) هو محمد بن السري بن سهل. أحد أئمة العربية، من كتبه «الأصول» في النحو. و «الشعر والشعراء» مات سنة ٣١٦هـ.
من مصادر ترجمته بغية الوعاة، ص ٤٤، الأعلام للزركلي: ٦/ ١٣٦، إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي: ٣/ ١٤٥.

(٢) وهو قول ابن السراج وصححه ابن عصفور، وَوُجِّهَ بأنّ في المعارف ما لا يمكن سلب تعريفه كاسم الإشارة والمضمر واسم الله. المساعد على تسهيل الفوائد: ٢/ ٤٨٩.

(٣) هو محمّد بن يزيد الأزدي إمام العربية ببغداد. ولد ٢١٠هـ بالبصرة من كتبه «الكامل» و «المقتضب» و «المذكر والمؤنث». توفي ببغداد ٢٨٦هـ. من مصادر ترجمته: بغية الوعاة، ص ١١٦، إنباه الرواة: ٣/ ٢٤١، وفيات الأعيان: ١/ ٤٩٥، الأعلام: ٧/ ١٤٤.

(٤) المساعد على تسهيل الفوائد لبهاء الدين بن عقيل: ٢/ ٤٨٩.

(٥) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، ص ١٦.

(٦) التفسير الكبير للفخر الرازي: ٤/ ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، وينظر: الخطط المقريزية للإمام المقريزي: ١/ ١٥.

(٧) انظر المفردات، ص ١٦ والصحاح مادة أرض: ٣/ ١٠٦٣.

(٨) وقد قال القرطبي في تفسيره: يقال: بَلَعَ المَاءَ يَبْلَعُهُ مثل مَنَعَ يَمْنَعُ. وبَلِعَ يَبْلَعُ مثل حَمِدَ يَحْمِدُ. لُغَتَانِ حكاهما الكسائي والفرّاء.

وقول الزمخشري ومن وافقه: البَلْعُ عبارة عن النَشْف[١]، ليس بمستقيم في المعنى ولا صحيح في اللغة، وكذا تفسير الرازي له بالشُّرب[٢].

ولقد أحسن في محاولة معناه صاحب المفتاح ما شاء كما سيأتي بيانه بحقّه في السُّؤال الرابع من الأسئلة التي ظهرت لي في هذه الآية.

وأمَّا الماء: فأصله ـ مَوَهٌ ـ بالتحريك، فقلبت الواو (ألفاً) لتحركها وانفتاح ما قبلها، ولذلك جمع على «أَمْوَاه» في القِلَّةِ ومِيَاه في الكَثْرَة، كجَمَل و(أجْمَال[٣]) وجِمَال فالهمزة فيه بدل من الهاء، وتصغيره ـ مُوَيْه ـ[٤].

والكاف في ماءك: ضمير جر متصل، كُسِرَ لأنَّه خطاب لمؤنث وهي الأرض كما تقدم. **وماء الأرض**: ما نفع منها فأضيف إليها إضافة اختصاص.

وأمَّا السَّماء فهي حقيقة: الجرم الكُريّ المقابل للأرض ذات البروج والنجوم كما تقدّم. ويجمع على: سَمَاوَات وأسْمِيَة وتُطلَقُ مَجَازاً على السّحاب وعلى المطر، وعلى كلِّ ما علاك فأظلك. ولذلك قيل لسقف البيت سماء، ويقال لظهر الفرس أيضاً سماء لعلوِّه[٥].

وقد اختار بعض المفسِّرين أن يكون نداء السماء هنا على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، وأنَّ المراد مطر السماء[٦] كقوله: ﴿**وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ**...﴾ [يوسف ١٢/ ٨٢] أي: أهلَ القَرْيةِ[٧].

وأما ـ أقلعي ـ فأمر عن الإقلاع وهو: الإمساك عن الشيء بذهابه والكفّ عن الشيء بزواله[٨].

---

(١) الكشاف لجار الله الزمخشري: ٢/ ٢٧١. وتنوير المقياس من تفسير ابن عباس، ص ١٤١.
(٢) التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي: ١٧/ ١٣٤.
(٣) في الأصل (أجماليه) وهو تحريف، وما في النسخة ـ ظ ـ أثبتناه لمطابقته للسياق والمصادر.
(٤) انظر لسان العرب: مادة مَوَهَ: ١٣/ ٥٤٣.
(٥) المصدر السابق: مادة/ سَمَا: ١٤/ ٣٩٨ و٣٩٩.
(٦) النهر الماد من البحر، هامش البحر المحيط وكلاهما لأبي حيان: ٥/ ٢٢٧.
(٧) التفسير الكبير للفخر: ١٨/ ١٩٠.
(٨) لسان العرب مادة قَلَعَ: ٨/ ٢٩٢.

قال الهذلي[1]:

بقَــرَارِ قِيعــانٍ سَقَــاهــا صَيِّــب (واه) فــأثجــم بــرهــة لا يقلــع[2]

ومنـه أقـلعت عنـه الحُمَّى أي كَفَّت وأمسكت[3]. والعجب أن الرَّاغب لم يذكره في المفردات[4].

وأما غيـض المـاء: فهـو مبني للمفعول من غَاضَهُ إذا أَنْقَصَهُ[5]، وهو كما تقدَّم في كـلام الإمـام فخـر الـدِّيـن: من الأفعال التي تقع لازمة ومتعدية. يقال: غَاضَ الشَّيءُ وغَاضَهُ غَيْرُه[6].

وقد جاء في القرآن العظيم، فمن المتعدي[7] الواقع هنا[8] لبنائه للمفعول. ومـن الـلازم[9] قـولـه تعـالـى في سورة الرعد: ﴿وَمَا تَغِيْضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَاد﴾ [الرعد ١٣/٨].

قال المفسرون: غِيضَ[10] الحَيْضُ على الحَمْلِ، فإذا حاضت الحاملُ كان نُقصاناً في الولد[11]، لأنَّ دم الحيض غذاء الولد في الرحم، وإذا لم تَحِضْ يزداد

---

(١) هو أبو ذؤيب خويلد بن خالد، شاعر مخضرم، شهد فتح افريقيا ومات في طريق عودته ٢٧هـ. وأشهر شعره العينية في رثاء أبنائه الخمسة.
ترجمته في معجم الأدباء: ١١/ ٨٣، والأغاني: ٦/ ٥٦.

(٢) (واه) ساقطة من الأصل وقد أثبتُّها بعد مراجعة أشعار الهذليين. والبيت لأبي ذؤيب الهذلي، من قصيدته العينية الشهيرة التي قالها في رثاء أبنائه الخمسة الذين ماتوا بالطاعون. وقد رويت «سَقَاها صَيِّف» وفي رواية أخرى «سقاها وابل» ـ ينظر شرح أشعار الهذليين: ١/ ١٤.

(٣) انظر لسان العرب مادة قلع: ٨/ ٢٩٣.

(٤) انتقل الراغب في المفردات من مادة: قَلَدَ إلى قَلَمَ ولم يذكر قَلَعَ. المفردات، ص ٤١١ و٤١٢.

(٥) لسان العرب مادة غيض: ٧/ ٢٠١.

(٦) التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي: ١٧/ ٢٣٤.

(٧) الفعل المتعدي: هو ما يتعدى أثرُه فاعلَه، ويتجاوزه إلى المفعول به/ جامع الدروس: ١/ ٣١.

(٨) الفعل (غيض) في الآية ٤٤ من سورة هود.

(٩) الفعل اللازم: هو ما لا يتعدى أثرُهُ فاعلَه، ولا يتجاوزه إلى المفعول به/ جامع الدروس: ١/ ٤٣.

(١٠) في النسخة ـ ظ ـ (غيض الأرحام الحيض) وما في الأصل هو الأقرب للصواب.

(١١) قاله مجاهد ـ انظر تفسير القرطبي: ٩/ ٢٨٦.

الولد ويتمّ[1]. وقيل غير ذلك في النقص والزيادة[2]، وفي غِيْضَ من اللُّغات ما تقدَّم في قِيْلَ.

وأما (الـ) الداخلة على الماء: ويقال لها أداة التعريف وحرف تعريف، فهي نوعان: عهدية وجنسية.

فالعهدية على ثلاثة أقسام[3]:

الأوّل: أن يكون مصحوبها معهوداً ذكرياً كقوله تعالى: ﴿**كَمَا أَرْسَلْنَا إلى فِرْعَوْنَ رَسُولاً، فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ**﴾ [المزمل ٧٣/ ١٥ و١٦] ﴿**فِيْهَا مِصْبَاحٌ المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّها كَوْكَبٌ**﴾ [النور ٢٤/ ٣٥].

وتعرف هذه بأن يَسُدَّ الضَّميرُ مَسَدَّها مع مَصْحُوبِها.

الثاني: أن يكون معهوداً ذهنياً، كقوله: ﴿**إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**﴾ [الفتح ٤٨/ ١٨] ﴿**إِذْ هُمَا فِي الغَارِ**﴾ [التوبة ٩/ ٤٠].

الثالث: أن يكون معهوداً حضورياً ويقع بعد أسماء الإشارة، نحو: جاءني هذا الرجل، وفي النداء، نحو:

﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ**﴾ [الأحزاب ٣٣/ ٤٥]، وإذا الفجائية نحو: خَرَجْتُ فإذا الأسَد، وفي اسم الزمن الحاضر[4]، نحو: ﴿**اليَومَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ**﴾ [المائدة ٥/ ٣].

والجنسية أيضاً على ثلاثة أقسام:

الأوّل: لاستغراق الأفراد: وهي التي يخلفها (كل) حقيقة، نحو: ﴿**إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلاَّ الَّذِيْنَ آمَنُوا**﴾ [العصر ١٠٣/ ٢ و٣]، ﴿**وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفاً**﴾ [النساء ٤/ ٢٨] ﴿**وَسَيَعْلَمُ الكُفَّارُ**﴾ [الرعد ١٣/ ٤٢] ﴿**وَيَقُوْلُ الكَافِرُ**﴾ [النبأ ٧٨/ ٤٠].

---

(١) جامع البيان ـ للطبري: ١٣/ ١١٠.

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي: ١٩/ ١٥ و١٦. حيث ذكر سبعة وجوه فيما تغيضه الرحم وتزداده منها ما تقدم.

(٣) انظر مغني اللبيب لابن هشام: ١/ ٧٢.

(٤) مغني اللبيب لابن هشام: ١/ ٧٢ و٧٣.

الثاني: لاستغراق خصائص الأفراد وهي التي يَخْلُفُها (كل) مجازاً، نحو: زيدَ الرَّجُلُ عِلماً، أي الكامل في هذه الصفة. ومنه قوله تعالى: ﴿**ذَٰلِكَ الْكِتَابُ**﴾ [البقرة ٢/ ٢].

الثالث: تعريف الماهيَّة: وهي التي لا يَخْلُفُها كلٌّ لا حقيقةً ولا مَجَازاً، نحو: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ**﴾ [الأنبياء ٢١/ ٣٠] [1]، ومنه ما ذكره الفقهاء في أنّه لو حلف لا يتزوَّج النساء أو لا يلبس الثياب، أنَّه يقع الحِنْث[2] بالواحدة منهما[3].

إذا علم ذلك بالألف واللام في «وَغِيْضَ الْمَاءُ» على قول صاحب المفتاح للمعهود الذهني[4]، وعلى قول صاحب الكشّاف لاستغراق الأفراد[5].

والأوَّل أوْلَى لِوُجوهٍ:

أحدها: أنّه أبلغ في القدرة وأجلُّ في العظمة وأعلى في نفوذ الإرادة، حيث حصل بمجرَّد أمر القادر المقتدر النافذ تصرُّفه في الموجودات ـ وهو على كلّ شيء قدير ـ تمييز ماء الأرض من ماء السماء. فبلعت الأرض ماءها الذي نبع منها، وبقي ماء السماء الذي صدر عنها حتى غيض بقدرة الحكيم العليم العليِّ العظيم.

الثاني: وأشار إليه الطيبي: أنَّه لو حمل على العموم للزم ذهاب المياه كلِّها لورود الأمر وصدور الحكم الربَّاني[6].

الثالث: أشار إليه أيضاً: أنَّه بهذا ينتظم (غِيضَ الماء) في سلك (**قِيْلَ**) و(**قُضِيَ**)، فلا يكون تابعاً للأمرين، إذ يصير التقدير: (**يا أرض ابلَعِي مَاءَكِ**)، فبلعت، (**وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي**) عن إرسال الماء فأقلعت (**وَغِيْضَ الْمَاءُ**) الذي نزل من السماء.

---

(١) المصدر نفسه: ١/ ٧٣.

(٢) الحَنْثُ: الخلف في اليمين ـ ينظر لسان العرب مادة حَنَثَ: ٢/ ١٣٨.

(٣) المغني لابن قدامة: ٩/ ٥١٨ و٥١٩، والبحر الزخار للإمام أحمد بن يحيى: ٥/ ٢٤٣ ـ ٢٤٧.

(٤) مفتاح العلوم للسكاكي، ص ٤٢٠.

(٥) لم أجده في الكشاف عند كلامه على الآية.

(٦) أشرنا إلى مؤلفاته عند ترجمته التي سبقت. ولم نعثر عليها مطبوعة.

الرابع: أنَّه لو لم يحصل منهما الامتثال الحقيقي بحسب ما أُمِرا به لقيل (فَغِيْضَ) بالفاء لمجيئه جواباً.

وما قدره صاحب الكشاف من قوله: «فامتثلا[1]، وغيض الماء دليل (قلت)[2] عليه لأنَّه لا يصحّ الامتثال الحقيقي منهما لابتلاع الأرض ماءها، وإقلاع السماء عن مطرها، والله تعالى أعلم.

فإن قيل: فما نقول في الألف واللام في «الأمر»؟ قلت: لم أر من تعرّض لذلك من المفسِّرين. والظاهر أنَّها للعهد الذكري المتقدِّم في هذه القصة وهو قوله تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ**﴾ [هود ١١/ ٤٠]. ويحتمل أن يكون ذهنياً، أي: أمر هلاكهم.

وأمَّا في «الجودي» فليست من هذا الباب، إذ فيه زيادة كما سيأتي، والله أعلم.

وأمَّا الأداة في (الظالمين) من قوله ﴿**بُعْداً لِلْقَوم الظَّالِمِيْنَ**﴾ [هود ١١/ ٤٤] فتحتمل العهد وتحتمل الاستغراق، وكذا في (لِلْقَومِ)، وسيأتي تحقيق ذلك.

وأمَّا (قُضِيَ): فهو فِعْلٌ مَاضٍ بني للمفعول من القضاء: وهو الفصل والحكم والبتّ والتمام[3].

قال الأزهري[4]: «القضاء في اللغة على وجوه مرجعها إلى انقطاع الشيء

---

(١) قال الزمخشري في الكشاف: «.. وأن السماوات والأرض وهذه الاجرام العظام منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة عليه كأنها عقلاء مميِّزون قد عرفوا عظمته «ثم قال».. وهم يهابونه ويفزعون من التوقف دون الامتثال له والنزول على مشيئته على الفور من غير ريث». الكشاف: ٢/ ٢٧١.

(٢) في النسختين (قلت) وهي غير مناسبة للسياق. ولعل العبارة فيها تقديم وتأخير من الناسخ واحتمل أن تكون (وغيض الماء دليل عليه، قلت: لأنه لا يصح..).

(٣) انظر لسان العرب: مادة قضى: ١٥/ ١٨٦.

(٤) هو محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي أبو منصور، أحد الأئمة في اللغة والأدب مولده ووفاته في هراة بخراسان، عني بالفقه وغلب عليه التبحر في اللغة.
من كتبه: «غريب الألفاظ التي استعملها الفقهاء» و«تفسير القرآن» و «تهذيب اللغة» وهو موسوعة في اللغة.
ترجمته: مفتاح السعادة: ١/ ٩٧، وفيات الأعيان: ١/ ٥٠١، الأعلام: ٥/ ٣١١.

وتمامه. وكُلّ ما أحكم عمله أو أتِمَّ أو خُتِمَ أو أُدِّيَ، أو أُوجِبَ، أو أُعْلِمَ، أو أُنْفِذَ، أو أُمْضِيَ فقد قُضِيَ» انتهى[١]. وأكثر هذه الوجوه محتملة هنا وترجع إلى الفصل والتمام.

قال الراغب: وقُضِيَ الأمْرُ أي فُصِلَ تنبيهاً على أنَّه صار بحيث لا يمكن تلافيه[٢].

فإن قيل: فما تقول في قولهم: «القضاء والقدر»[٣]، قلت: قال العلماء المحقِّقون في «القضاء المقرون بالقَدَر. المراد بالقدر: (التَّقْدِير)، وبالقضاء: (الخَلْق)، قال تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ [فصلت ٤١/ ١٢]، أيْ خَلَقَهُنَّ. فالقضاء والقدر أمران متلازمان لا ينفكُّ أحدهما عن الآخر، لأنَّ أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء. فمن رام الفصل بينهما رام هدم البناء ونقضه[٤] وقيل: «القَدَرُ بمنزلة المُعَدِّ للكيل والقضاء بمنزلة الكَيْل».

وأنَّ القدر لو لم يكن قضاء ـ فمرجوٌّ أن يدفعه الله، فإذا قُضِيَ فلا مدفع له[٥]. قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْراً مَقْضِيّاً﴾ [مريم ١٩/ ٢١] ومنه قوله تعالى: ﴿وَقُضِيَ الأَمْرُ﴾ [هود ١١/ ٤٤] والله أعلم.

وأمَّا الأمر فهو واحد الأمور، وهو لفظ عام يشمل الأقوال والأفعال[٦] قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّه للهِ﴾ [آل عمران ٣/ ١٥٤] ﴿وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ الأَمْرُ كُلُّه﴾ [هود ١١/ ١٢٣] ويطلق على الإبداع، قال تعالى: ﴿أَلاَ لَهُ الخَلْقُ والأَمْرُ﴾ [الأعراف ٧/ ٥٤]، وذلك يختصُّ بالله تعالى، وعليه حُمِلَ قوله: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء

---

(١) تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري، باب القاف والضاد: ٩/ ٢١١ مع اختلاف، وما نقله مذكور نَصّاً في لسان العرب ومنسوب إلى الأزهري فالظاهر أن المصنف نقله من اللسان ـ لسان العرب ـ مادة قضى: ١٥/ ١٨٦.
(٢) المفردات، ص ٤٠٧.
(٣) تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري فصل القاف باب الياء: ٦/ ٢٤٦٤.
(٤) لسان العرب/ مادة قضى: ١٥/ ١٨٦.
(٥) المفردات في غريب القرآن للراغب، ص ٤٠٧.
(٦) المفردات، ص ٢٤.

١٧/ ٨٥]، أي من إبداعه، وقوله: ﴿إنَّما أمْرُهُ إذا أرَادَ شَيْئاً أنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس ٣٦/ ٨٢]، إشارة إلى إبداعه فعبّر عنه بأقصر لفظ وأبلغ عبارة[١].

والأمر: التقدّم بالشيء سواء كان بلفظ افْعَلْ أو لِيَفْعَلْ أو بإشارة أو نحو ذلك[٢]. ومنه الأمر هنا أي: قُضِيَ الأمْرُ الذي تقدَّم به، وأمر من نجاة من نجا وهلاك من هلك، والله أعلم.

وأمَّا استوت فمعناه استقرّت[٣] أي الفُلْكُ فعاد ضمير الفاعل إلى ما تقدَّم في هذه القصة من هذه السورة حيث قال: ﴿وَاصْنَع الفُلْكَ بأعْيُنِنا وَوَحْيِنَا﴾ [هود ١١/ ٣٧] ﴿وَيَصْنَعُ الفُلْكَ﴾ [هود ١١/ ٣٨] ﴿حَتَّى إذا جَاءَ أمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنا احْمِلْ فِيْهَا...﴾ [هود ١١/ ٤٠] ـ أي الفلك ـ ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيْها بِسْمِ الله مَجْرَاها وَمُرْسَاهَا﴾ [هود ١١/ ٤١] ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِم﴾ [هود ١١/ ٤٢].

كلُّ ذلك عائد إلى الفلك، وهي السفينة، والفُلك تستعمل في الواحد والجمع، فهو في الواحد كبناء (قُفْل)، وفي الجمع كبناء (حُمر)[٤]. قال تعالى: ﴿والفُلْكُ تَجْرِي في البَحْر﴾ [الحج ٢٢/ ٦٥] و ﴿وحَتَّى (إذا كُنْتُم) في الفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾ [يونس ١٠/ ٢٢] [٥].

واستوى يُستعمل لِمَعَانٍ، تقول: استوى الرجل من اعوجاج، واستوى الشيء: اعتدل[٦]. قال تعالى: ﴿فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ﴾ [الفتح ٤٨/ ٢٩]، واستوى زيد وعمرو: تساويا[٧]، قال تعالى: ﴿لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ الله﴾ [التوبة ٩/ ١٩]، وَاسْتَوَى الرَّجُلُ إذا انتهى شبابُهُ[٨]. وإنْ عُدِّيَ بـ (إلى) فمعناه:

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٤ و٢٥.

(٣) انظر لسان العرب مادة سوى: ١٤/ ٤١٤.

(٤) المفردات في غريب القرآن للراغب، ص ٣٨٥.

(٥) وفي الأصل وفي النسخة ظ (حتى إذا ركبوا) وهو مخالف للنص القرآني في المصحف ومن تصحيف النساخ وقد صححناه.

(٦) لسان العرب، مادة سوى: ١٤/ ٤١٤.

(٧) المفردات للراغب، ص ٢٥١.

(٨) لسان العرب، مادة سوى: ١٤/ ٤١٤.

قَصَدَ[١]، قال تعالى[٢]: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إلى السَّمَاء﴾ [فصلت ٤١/١١].

وإن عُـدِّي بـ (علـى) فـالمعنـى استقرَّ معتدلاً كما وقع هنا وكقوله تعالى: ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾ [الزخرف ٤٣/١٣]، وقد تأتي بمعنى استولى[٣].

وأمَّـا قـولـه تعـالـى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه ٢٠/٥]، ونحوه، فللناس فيـه أقـوال أسلمهـا قول أهل السنة. قال محيـي السنة أبو محمَّد البغوي[٤] رحمـه الله: فـأمَّـا أهـل السنة والجماعة فيقولون: الاستواء على العرش صفة لله تعالـى بـلا كيـف يجب (علـى الرجل)[٥] الإيمان به ويكل العلم فيه إلى الله (عزّ وجلّ[٦]) وسأل رجل، مالك بن أنس[٧] رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَـى العَرْشِ اسْتَوَى﴾، كيـف استوى؟ فأطرق رأسه مليّاً وعلاه الرحضاء[٨]، ثمّ قـال: الاستـواء غير مجهول والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بِدْعَةٌ، وما أظنّك إلاَّ ضَالاًّ ثمّ أمر به فَأُخْرِجَ»[٩].

وأمَّـا (على) فَحَرفُ جَرٍّ خلافاً لمن زعم أنَّها لا تكون إلاَّ اسماً ونَسَبَهُ إلى سيبويه.

ولها تسعة معانٍ:

---

(١) المصدر نفسه نقلاً عن الزجاج.

(٢) وردت هنا (لا يستوون عند الله) وهي تكرار لما سبق وليس محلاً للشاهد في السياق وقد حذفناها.

(٣) المفردات في غريب القرآن، ص ٢٥١.

(٤) هو الحسين بن مسعود بن محمد الفراء. ولد ٤٣٦ ونسبته إلى «بغا» من قرى خراسان، وهو فقيه محدث ومفسر. من مصنفاته «لباب التأويل في معالم التنزيل» و«مصابيح السنة». توفي بمرو ٥١٠هـ. ترجمته في الأعلام: ٢/٢٥٩، وفيات الأعيان: ٢/١٣٦.

(٥) (على الرجل) ساقطة من النسختين وثبتناها من تفسير البغوي.

(٦) زيادة اقتضاها المقام ومن تفسير البغوي.

(٧) هو الإمام مالك بن أنس الحميري أحد الأئمة الأربعة لأهل السنة وإليه تنسب المالكية ولد بالمدينة ٩٣هـ وفيها مات ١٧٩هـ له: «الموطأ» و«تفسير غريب القرآن».
من مصادر ترجمته: الديباج المذهب: ١٧/ ٣٠، ووفيات الأعيان: ١/ ٤٣٩.

(٨) الرحضاء: الحُمّى بِعَرَق.
انظر لسان العرب، مادة ـ رَحَضَ: ٧/ ١٥٤.

(٩) تفسير البغوي بهامش تفسير الخازن: ٢/ ٢٣٧ و٢٣٨.

١ ـ **الاستعلاء**: إمّا على المجرور وهو الغالب عليها كما هي هنا أو على ما يقرب: نحو ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ [طه ٢٠/ ١٠]. وقد يكون الاستعلاء معنوياً، نحو: ﴿وَلَهُم عَلَيَّ ذَنْبٌ﴾ [الشعراء ٢٦/ ١٤].

٢ ـ **والمصاحبة**: ﴿وَآتَى المَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾ [البقرة ٢/ ١٧٧] أي: مع حبه.

٣ ـ **والمجاوزة**:

إذا رضيت علي بنو قشير لعمر الله أعجبني رضاها[١]

أي (عَنِّي).

٤ ـ **والتَّعْلِيْل**: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُم﴾ [البقرة ٢/ ١٨٥].

٥ ـ **والظَّرفِيَّة**: أي بمعنى (في): ﴿وَدَخَلَ المَدِيْنَةَ عَلَى حِيْنِ غَفْلَةٍ﴾ [القصص ٢٨/ ١٥].

٦ ـ **وبمعنى مِنْ**: ﴿إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ﴾ [المطففين ٨٣/ ٢].

٧ ـ **وبمعنى البَاء**: ﴿عَلَى أَنْ لا أَقُوْلَ عَلَى اللهِ إِلاَّ الحَقَّ﴾ [الأعراف ٧/ ١٠٥] وهي في قراءة أُبَيّ[٢] بالباء[٣].

٨ ـ **وزائدة** (للتعويض[٤]) ذكره ابن جني[٥] واستشهد بقول الشاعر:

---

(١) البيت من قصيدة للقحيف العقيلي يمدح بها حكيم بن المسيب القشيري وهو من البحر الوافر ـ ورد في الكتب الآتية: مجاز القرآن: ٢/ ٨٤، اللسان: مادة (رضى)، العيني: ٣/ ٨٢، المقتضب: ٢/ ٣٢٠، نوادر أبي زيد، ص ٤٨١، الخصائص: ٢/ ٣١١، ٣٨٩، الإنصاف: ٣٣٠، المحتسب: ١/ ٥٢، الخزانة: ٤/ ٢٤٩.

(٢) وهو أبي بن كعب بن قيس. صحابي أنصاري من الخزرج، لمّا أسلم كان من كتاب الوحي، مات بالمدينة ٢١هـ، ترجمته: معرفة القراء للذهبي: ١/ ٣٢، غاية النهاية: ١/ ٣١.

(٣) الكشاف: ٢/ ١٠٠، القرطبي: ٧/ ٢٥٦، البحر المحيط: ٤/ ٣٥٥.

(٤) في الأصل (للتعريض) وقد صححته اعتماداً على النسخة ـ ظ ـ ومغني اللبيب: ١/ ١٤٥.

(٥) وهو عثمان بن جني الموصلي. أبو الفتح من أئمة الأدب والنحو، ولد بالموصل وتوفي ببغداد ٣٩٢هـ. من تصانيفه: «شرح ديوان المتنبي»، «المحتسب»، «الخصائص» وغير ذلك كثير. والكتب التي ترجمت له: ابن خلكان: ١/ ٣١٣، اداب اللغة: ٢/ ٣٠٢، مفتاح السعادة: ١/ ١١٤، الأعلام: ٤/ ٢٠٤.

إنَّ الكَـــرِيْـــمَ وَأَبِيْـــكَ يَعْتَمِـــلُ   إنْ لَمْ يَجِدْ يَوْماً عَلَى مَنْ يَتَّكِلُ[1]

أي: مَنْ يَتَّكِلُ عليه، فزاد (على) قبل الموصول تعويضاً[2].

٩ ـ **والاستدراك والإضراب**: تقول: فُلانٌ لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ لِسُوء صَنِيعِهِ.

وقد نَظَمْتُ ذلك في بيت واحد وهو قَوْلي:

اسْتَعْـلِ صَـاحِـبْ جَـاوِزَنْ عَلِّـلا   كَفِـي كَمِـنْ كَبَـا زِدْ اسْتَـدْرِكْ طَـلاَ

وأتيت بالطاء إشارة للعدد[3].

وأمَّا الجُودِيّ: فهو الجبل المعروف المشهور بقرب المَوْصِلِ[4]. والألف واللام فيه زائدة كما سيأتي في السؤال السابع عشر، وهو جبل جزيرة ابن عمر المدينة المشهورة[5] وأخطأ من قال غير ذلك. ومسجد نوح عليه السلام الذي لمَّا أن نزل من السفينة اتّخذه مسجداً أو صلَّى به هو باقٍ فيه إلى اليوم وبه أيضاً قرية الثمانين سميت بهذا الاسم وهي مشهورة إلى اليوم. خرج منها جماعة من العلماء ونسبوا إليها وإنَّما سمِّيت بالثمانين لعدَّة من كان مع نوح الذين آمنوا به وركبوا معه في السفينة وبقي بعض خشب السفينة هناك حتى أدركه الإسلام[6].

والجُوْدِيُّ: جَبَلٌ مُبَارَكٌ ـ بتشديد الياء، وقُرِئَ في غير المشهور بتخفيفها[7].

---

(١) البيت مجهول القائل، ورد في: اللسان مادة/ عمل، والكتاب لسيبويه: ٣/ ٨١، والمحتسب: ١/ ٢٨١، والخزانة: ٤/ ٢٥٢، والخصائص: ٢/ ٣٠٥.

(٢) الخصائص لابن جني: ٢/ ٣٠٥، مع اختلاف يسير. ومغني اللبيب: ١/ ١٤٢ ـ ١٤٥.

(٣) فـ (الطاء) تساوي الرقم ٩ في حساب الحروف الأبجدية ـ معجم متن اللغة: ٣/ ٥٧٧.

(٤) هو جبل مطل على جزيرة ابن عمر في الجانب الشرقي من دجلة من أعمال الموصل. البداية والنهاية: ١/ ١١٥، معجم البلدان: ٢/ ١٧٩، مراصد الاطلاع: ١/ ٣٥٦، الروض المعطار، ص ١٨١.
والمَوصِل: بفتح الميم وكسر الصَّاد، مدينة عظيمة في أعلى العراق: معجم البلدان: ٥/ ٢٢٣.

(٥) بلدة فوق الموصل بالعراق، وأول من عمرها الحسن بن عمر بن خطاب التغلبي، وهذه الجزيرة تحيط بها دجلة إلا من ناحية واحدة. معجم البلدان لياقوت: ٢/ ١٣٨، مراصد الاطلاع للبغدادي: ١/ ٣٣٣.

(٦) الدر المنثور: ٣/ ٣٣٥، تفسير ابن كثير: ٢/ ٤٤٦.
وقد ذكر القرطبي حديثاً في هذا المعنى «لَقَدْ بَقِيَ مِنها شَيءٌ أَدْرَكَهُ أَوَائِلُ هَذِهِ الأُمَّةِ» قرطبي: ٩/ ٤١.

(٧) قرأ الأعمش وابن أبي عبلة (الجُودِيْ) بسكون الياء مخففة / البحر المحيط: ٥/ ٢٢٩. وقرأ المطوعي بالتخفيف أيضاً كما نقل مؤلف إتحاف فضلاء البشر، ص ١٥٥.

قال الجوهري[١]: وهو جائز للتخفيف[٢]، ويجوز أن يكون سُمِّي بفعل الأنثى مثل (حُطِّي) ثمّ أدخل عليه الألف واللام انتهى[٣].

والصواب: أنَّه اسم، وتخفيف يائه لغةً.

قال مجاهد: «تَشَامَخَتِ الجِبَالُ يَوْمَئِذٍ مِنَ الغَرَقِ وَتَطَاوَلَتْ، وَتَوَاضَعَ هُوَ للهِ فَلَمْ يَغْرَقْ، واسْتَوَتْ عَلَيْهِ سَفِيْنَةُ نُوحٍ. استوت عليه شهراً، يعني حتَّى نزلوا منها»[٤] انتهى.

وبنيت ثمّ مدينة الجزيرة ثمّ نسبت إلى ابن عمر، يقال: إنَّ بعض بني عمر بن الخطاب نزلها وأهلها أهل السنة والجماعة، شافعية المذهب: والنسبة إليها: جَزَرِيّ، على القاعدة المعروفة عند أهل التصريف من حذف ياء (فَعِيْلَة) في النسبة بشرطه، فقالوا في مَدِيْنَةٍ: (مَدَنِيٌّ)، وفي حَنِيْفَةٍ: (حَنَفِيٌّ)[٥].

خرج منها خَلْقٌ من العلماء والمحدِّثين قديماً وحديثاً ومن المتأخِّرين: الأئمة الثلاثة الجَزَرِيُّونَ الأخوة: الإمام العلاّمة مجد الدِّين أبو السعادات المبارك ابن محمّد بن عبد الكريم ابن الأثير[٦]، مؤلِّف كتابي (جامع الأصول) و (النهاية

---

(١) هو إسماعيل بن حماد أبو نصر، لغوي من الأئمة، أشهر كتبه «الصحاح» وله كتاب في العروض. أصله من فاراب ثم دخل العراق ثم أقام بنيسابور إلى موته سنة ٣٩٣هـ. ترجمته: معجم الأدباء: ٢/ ٢٦٩، إنباه الرواة: ١/ ١٩٤، أعلام: ١/ ٣١٣.

(٢) ذكره الفراء في معاني القرآن: ٢/ ١٦، وابن جني في المحتسب: ١/ ٣٢٣.

(٣) تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري: ٢/ ٤٦١ و٤٦٢.

(٤) نقل الطبري في تفسيره: «جامع البيان» عن مجاهد حيث قال: «فلم يغرق وأرسيت سفينة نوح عليه» ـ تفسير الطبري: ١٢/ ٤٨.

(٥) ينظر المفصل للزمخشري، ص ٢٠٧، وشرح ابن عقيل: ٤/ ١٥٩.

(٦) هو المبارك الشيباني الجَزَرِيّ: المحدث اللغوي، ولد ونشأ في جزيرة ابن عمر ومن مصنفاته إضافة إلى ما ذكر: «الإنصاف في الجمع بين الكشف والكشاف» تفسير و «الشافي في شرح مسند الشافعي» وغيرها. من مصادر ترجمته: بغية الوعاة، ص ٣٨٥، وفيات الأعيان: ١/ ٤٤١، والأعلام: ٥/ ٢٧٢. جامع الأصول: هو كتاب جامع لأحاديث الرسول ﷺ لابن الأثير وقد طبع محققاً من عبد المجيد سليم ومحمّد حامد الفقي.
النهاية في غريب الحديث والأثر: كتاب مطبوع لابن الأثير حققه طاهر الزاوي ومحمود الطناحي.

في غريب الحديث)، والإمام الحافظ عزّ الدِّين علي مؤلِّف (الكامل في التأريخ) (أسد الغابة في أسماء الصحابة)(١).

والعلاَّمة ضياء الدِّين نصر الله مؤلِّف (المثل السائر) وغيره(٢). ومنهم الإمام الكبير الأديب شمس الدِّين أبو الندى معد بن نصر الله الجزري صاحب المقامات (الخمسين) الجزريَّة التي لم يُنسج على منوالها(٣).

وصنَّف في فضائلها الإمام المؤرِّخ الأديب أبو الحسن علي بن سعيد الأندلسي كتاباً سمّاه (هالة القمر في فضل جزيرة ابن عمر)(٤).

ولم يزل أهلها يجاهدون باليد واللسان فيمن جاورهم يميناً وشمالاً من الرافضية واليزيدية كما هو مشهور إلى اليوم، حتى بلغنا أنَّ ملكها الأمير سيف الدِّين البختي(٥) أو ولده أحرق قبر الشيخ الصالح عدي بن

---

(١) هو علي بن محمّد الشيباني الجَزَرِيّ ولد ٥٥٥هـ في جزيرة ابن عمر ثم سكن الموصل وتوفي بها ٦٣٠هـ. له تصانيف منها «اللباب» و «تأريخ الدولة الأتابكية» و «الجامع الكبير» في البلاغة.
ترجمته: في وفيات الأعيان: ١/ ٣٤٧ والأعلام: ٤/ ٣٣١.
والكامل: وهو كتاب مطبوع طباعة حديثة بـ١٣ جزءاً.
وأسد الغابة: مطبوع بسبعة أجزاء بتحقيق: محمّد البنا ومحمّد عاشور.

(٢) هو نصر الله بن محمد أبو الفتح الجزري ولد في الجزيرة ٥٥٨هـ ونشأ وتعلم بالموصل مع أخويه (المبارك) و(علي) ومات ببغداد ٦٣٧هـ، ومن مصنفاته: «المعاني المخترعة» و «البرهان في علم البيان» وغيرهما. ومن مصادر ترجمته: وفيات الأعيان: بجزءين ٢/ ١٥٨، شذرات الذهب: ٥/ ١٨٧، الأعلام: ٨/ ٣١. والمثل السائر: وهو كتاب مطبوع بجزئين تحقيق محمّد محيي الدين عبد الحميد. والجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور: حققه د. مصطفى جواد ود. جميل جيد.

(٣) وهو معد بن نصر الله المعروف بابن الصيقل. أديب من أهل الموصل له المقامات الزينية، توفي ٧٠١هـ. ترجمته: الأعلام: ٧/ ٢٦٦ وكشف الظنون، ١٧٨٥، وفي الأصل والنسخة ظ (المقامات الخمس الجزرية) وهو تصحيف حيث أن المقامات المحققة هي (المقامات الزينية) وهي خمسون مقامة سماها باسم ابنه (زين الدين) والمقامة التاسعة والأربعون منها اسمها (المقامة الجزيرية). المقامات الزينية، ص ٣٧. تـ عباس الصالحي. وقد ذكر صاحب إيضاح المكنون تسميتها «الجزرية» ونسبها إلى غير مؤلفها، إيضاح: ٢/ ٥٣٥.

(٤) هو علي بن سعيد، ابن حمامة: شاعر من الأندلس، توفي ٦٠٤هـ. له: نفائس الأعلاق في مآثر العشاق، والمقتبس في ملح أشعار الأندلس ـ ترجمته: الأعلام: ٤/ ٢٩١. ولم أعثر على كتاب (هالة القمر) ولم يذكر في كتب الفهارس ضمن مؤلفاته.

(٥) لم أعثر على ترجمته.

مسافر[1] المدفون في جبل هكار[2] عند الأكراد لمغالاتهم في اعتقاده وفي حب يزيد[3]. وهم قوم جهال لا علم لهم ولا دين ولا عقل ولا رأي. وحكايات جهلهم تجاوز الوصف[4].

وفي أهل الجزيرة يقول القائل وقد أحسن ما شاء في استخدام التورية كاملة من الوجهين وأشار إلى رأيهم في أهل البدعتين الرفض والنصب:

أَهْلُ الجَزِيْرَةِ لَيْسَ يُقْدَرُ قَدْرُهُم   أَعْدَاءُ مَنْ هُوَ رَافِضي وَيَزِيْدِي
قُولُوا لِمَنْ بالجَهْلِ يَجْحَدُ فَضْلَهُم   أَهْلُ الجَزِيرَةِ فُضِّلُوا بالجُوْدِي[5]

فأجاد في استخدامه اللفظ في المعنيين وإيهامه بالجود الذي هو السخاء[6].

وقد حدّه بعض علمائنا فقالوا: «هو بذل ما يحتاج إليه عند الحاجة وإيصاله[7] إلى مستحقّه بقدر الطاقة».

وأمّا قول بعضهم: حَدُّ الجُود: بَذْلُ المَجْهُود. فليس بوافٍ بالمقصود ولا شامل للمحدود، ولعلّه ذكره على سبيل المبالغة، وإلاّ فلو كان كذلك لارتفع اسم السّرف والتبذير[8] اللّذين ورد الشَّرعُ بذمّهما.

---

(١) هو عدي بن مسافر الهكاري. من ذرية مروان بن الحكم، بنى زاوية في جبل الهكارية. توفي ودفن فيها ٥٥٧هـ وغالى أتباعه في اعتقادهم فيه. ثم أحرق قبره ٨١٧، فاجتمع أتباعه واتخذوه قبلةً لهم.
مصادر ترجمته: وفيات الأعيان: ٣/ ٢٥٤، وجامع كرامات الأولياء: ٢/ ١٤٧، والأعلام: ٤/ ٢٢١.

(٢) الهكارية: بلدة وقرى فوق الموصل في بلد جزيرة ابن عمر، سكنها أكراد. مراصد الاطلاع: ٣/ ١٤٦٣، ومعجم البلدان: ٥/ ٤٠٨.

(٣) هو يزيد بن معاوية الأموي ولد ٢٥هـ، وولي الخلافة بعد أبيه ومات ٦٤هـ ترجمته: تأريخ الخميس: ٢/ ٣٠٠، الأعلام: ٨/ ١٨٩.

(٤) وقد أُلِّفت فيهم كُتُبٌ تبين معتقداتهم منها: تأريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم لعبّاس العزّاوي.

(٥) لم أعثر على قائلهما.

(٦) السخاء: هو التوسط في الإعطاء والأخذ. وهو أن ينفق الأموال فيما ينبغي بمقدار ما ينبغي وعلى ما ينبغي، تهذيب الأخلاق لمسكويه.

(٧) في النسخة ـ ظ ـ (اتصاله) وهو تصحيف.

(٨) لم أعثر على هذا القول وقد قال مسكويه: السرف والتبذير: هو بذل ما لا ينبغي لمن لا يستحق وهو ضد التقتير: الذي هو منع ما ينبغي عمّن يستحق ـ انظر تهذيب الأخلاق لمسكويه، ص ٢٨.

قـلت: هـذا جود بني آدم، وأمَّا جود الله سبحانه وتعالى، فقال فيه بعض المتأخِّرين، حَدُّ الجُودِ: إفاضَةُ ما يَنْبَغِي لِمَا يَنْبَغِي لا لِعَوضٍ[١].

ولله دَرُّ القائل:

وَيُظْهِرُ عَيْبَ المَرْءِ فِي النَّاسِ بُخْلُهُ ... وَيَسْتُـرُهُ عَنْهُـم جَمِيْعـاً سَخَـاؤُهُ

تغَـطَّ بـأثْـوَابِ السَّخَـاءِ فَـإنَّنِـي ... أَرَى كُـلَّ عَيْـبٍ فَـالسَّخَـاءُ غِطَـاؤُهُ[٢]

وهذا مقتبس من قول أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب فيما بلغنا «كُلُّ عِنَبٍ الكَرْمُ يُغَطِّيهِ» يريد بذلك تصحيفه وهو: كُلُّ عَيْبٍ الكَرَمُ يُغَطِّيهِ»[٣].

واستقـرَّت السّفينـةُ علـى الجُـوديِّ يـومَ الأضحـى من ذي الحجَّة كما قال قتادة[٤] وغيره من أئمَّة التفسير[٥].

وأمَّا «**وَقِيْلَ بُعْداً**» فتقدَّم الكـلام في (قِيْلَ) ولكن اختلفوا في القائل. فقيل: هو الله تعالى وهو الذي قاله صاحب المفتاح[٦].

وقيل: من كلام نُوحٍ وأصْحَـابِهِ، ومَالَ[٧] الإمام فخر الدِّين إلى الثاني كما تقدَّم من كلامه[٨].

والأصـحّ بـل الصحيـح عندي هو الأوّل لأنَّ الله تعالى يقول بُعَيْدَ ذلك في قصّـة هـود: ﴿**ألا بُعْداً لِعَادٍ قَوْمِ هُوْدٍ**﴾ [هود ١١/ ٦٠]، وفي قصَّة ثمود: ﴿**ألا بُعْداً**

---

(١) عُرف الجود: هو إفادة ما ينبغي لا لعوض ـ المباحث المشرقية للفخر الرازي، ص ٥٤٢. وقال الكرماني: الجود: إعطاء ما ينبغي لمن ينبغي لسان العرب: مادة جود.

(٢) لم أعثر على قائلهما.

(٣) لم أعثر عليه في نهج البلاغة وقد ورد في معناه كثير.

(٤) الذي نقله ابن كثير عن قتادة: «وكان خروجهم من السفينة في يوم عاشوراء من المحرم» تفسير ابن كثير: ٣/ ٥٥٥.

(٥) وقد قال أبو حيان في البحر: «وقيل في ذي الحجة» ولم ينسبه: ٥/ ٢٢٩.

(٦) مفتاح العلوم، ص ٤١٧ ـ ٤١٩ وذكره مجمع البيان: ١٠/ ١٦٠.

(٧) في النسخة ـ ظ ـ (قال) وهو تصحيف.

(٨) أورده في الوجه الأول نقلاً عن الفخر الرازي في تفسيره: ١٧/ ٢٣٥.

لِثَمُودَ﴾،[1] وفي قصَّة شعيب[2]: ﴿أَلا بُعْداً لِمَدْيَنَ﴾ [هود ١١/ ٩٥].

والقائل في ذلك كلِّه هو: الله تعالى، والقرآن يفسِّرُ بعضُهُ بعضاً فيجري القول على نسقٍ واحدٍ، والله أعلم.

واختلفوا أيضاً في معنى (بُعْداً)، هل هو الإبعادُ بالطَّردِ ونحوه أو هو الإهْلاكُ؟ فالذي يظهر من أقوال أكثر سلف المفسِّرين: أنَّه الطرد من (بَعُدَ) بالضمّ إذا تباعد فهو بَعيدٌ يَبْعُدُ، كذلك بَعُدَ الّذي هو ضدّ القُرْب[3].

قال ابن عباس: بُعْداً من رحمة الله[4].

وقال غيره: خَسَاراً لهم[5].

وقال آخرون: هو الهلاك ونحوه، من (بَعِدَ) بالكسر (يَبْعَدُ) بالفتح (بَعَداً) بفتح الباء والعين، و (بُعْد) بالضم والإسكان أيضاً[6].

وكذلك[7] اختلفوا فيه في قوله ﷺ في حديث شهادة الأعضاء يوم القيامة على صاحبها. فتقول: بُعْداً وسُحْقاً[8].

---

(١) ثمود: ابن عابر بن ارم من بني سام بن نوح، رأس قبيلة من العرب العاربة. آثارهم في مدائن صالح إلى الآن، الأعلام: ٢/ ١٠١.

(٢) شعيب: النبي العربي، من بني مدين. وكان بعد هود وصالح عليهما السلام وقبيل أيام موسى عليه السلام. ومنازل قومه بقرب تبوك. وقد ورد ذكره في القرآن الكريم. تفسير القرطبي: ٧/ ٢٤٦، الأعلام: ٣/ ١٦٥ و١٦٦.

(٣) جامع البيان للطبري: ١٢/ ٢٩. ونقله الفخر الرازي: ١٧/ ٢٣٥.
وتفسير مجمع البيان: ١٠/ ١٦٠.

(٤) ورد في تنوير المقباس من تفسير ابن عباس «سُحْقاً من رحمة الله»، ص ١٤١.
بينما ورد في زاد المسير قال ابن عباس: «بُعْداً من رحمة الله...»: ٤/ ١١٢.

(٥) ذكره ابن كثير في تفسيره: ٣/ ٥٥٥.

(٦) الجامع للقرطبي: ٩/ ٤١، الكشاف: ٢/ ٢٧١، البحر المحيط: ٥/ ٢٢٩، التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي: ٢/ ١٩٤، وبصائر ذوي التمييز للفيروزابادي: ٢/ ٢٥٧، تفسير البيضاوي، ص ٣١١، والمفردات للراغب، ص ٥٣، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود: ٣/ ٣٦، ومعالم التنزيل للبغوي، وكذا الخازن في لباب التأويل: ٣/ ٢٣٤.

(٧) في النسخة ـ ظ ـ (لذلك) وما في الأصل أقرب إلى السياق.

(٨) ورد في رواية الإمام مسلم «... بُعْداً لَكُنَّ وسُحْقاً فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ»: ١٨/ ١٠٤ و١٠٥ وكنز=

ولكنَّ الجوهري جعل (البُعْد) بالضم هو ضد (القُرْب) وجعل (البَعْد) بالفتح هو الهَلاَك[1]. والصَّواب ثبوت الضم في الهلاك أيضاً، وبه ورد القرآن، قال تعالى: ﴿أَلَا بُعْداً لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ [هود ١١/ ٩٥]. وهو مُقتضى كلام الكشّاف وتَفْسيرُهُ كَمَا تَقَدَّم، ومقتضى كلام الزمخشري تفسيره بِضِدِّ القُرْبِ[2]، كما قدّمنا.

وقول الزمخشري هو الأقرب عندي، لقوله تعالى: ﴿كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ فإنّ القرآن يفسِّرُ بعضُهُ بعضاً ويجوز أن يُراد المعنيان، ويكون من التورية والإبهام كما سيأتي في موضعه، والله تعالى أعلم.

وأمَّا اللام في[3] (لِلْقَوْمِ) فهي حَرْفُ جَرٍّ. ولها اثْنَانِ وَعِشْرُونَ مَعْنَى، نَظَمْتُها في هذه الأبيات الثلاثة وهي:

والَلاّمُ فِي الجَرِّ اسْتَحِقْ وَخَصِّصَا ... وَمُلْكٌ وَتَمْلِيْكٌ وَشِبْهٌ لَهُ حَلاَ
وَتَوْكِيدُ نَفْيٍ بَلِّغَنْ وَصَيِّرَنْ ... تَعَجَّبْ وَمَعْهُ احْلِفْ تَبَيَّنْ وَعَلِّلاَ
وَتَعْدِيةُ تَوْكِيدِهِم وَكَمِثْلِ فِي ... وَعِنْدَ وَبَعْدَ مَعْ وَمَنْ عَنْ إلَى عَلَى[4]

١ ـ فالاستحقاق: وهي الواقعة بين معنى وذات كما هي هنا ونحو: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِيْنَ﴾ [المطففين ٨٣/ ١] و﴿الحَمْدُ للهِ﴾ [الحمد ١/ ١].

٢ ـ والاختصاص: نحو ﴿الجَنَّةُ لِلْمُتَّقِيْنَ﴾ [الشعراء ٢٦/ ٩٠] و﴿إنَّ لَهُ أباً﴾ [يوسف ١٢/ ٧٨].

٣ ـ والملك: نحو ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ [البقرة ٢/ ٢٥٥].

٤ ـ والتمليك: نحو: وَهَبْتُ لِزيدٍ ديناراً.

= العمال: ١٤/ ٣٧٣، وتفسير ابن كثير في تفسيره للآية ٢٤ من سورة النور: ٥/ ٧٨، والدر المنثور للآية ٦٥ من سورة يس: ٥/ ٢٦٧.

(١) الصحاح للجوهري مادة بَعَدَ: ٢/ ٤٤٨.

(٢) الكشاف: ٢/ ٢٧١.

(٣) (في) ساقطة من النسخة ـ ظ.

(٤) لم أعثر عليها في مصدر آخر.

٥ ـ وشبه التمليك: نحو: ﴿جَعَلَ لَكُم مِنْ أَنْفُسِكُم أَزْوَاجاً﴾ [الشورى ٤٢/١١].

٦ ـ وتوكيد النفي: وهي الدّاخلةُ في اللّفظ على الفعل مسبوقة بـ (مَا كَانَ) أو بـ (لَمْ يَكُنْ)، ناقصتين مسندتين (لما)[١] أسند إليه الفعلِ المقرون باللام نحو: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الغَيْبِ﴾ [آل عمران ٣/١٧٩]، ﴿لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ [النساء ٤/١٦٨].

الأصلُ عند البصريين ما كانَ قَاصِداً[٢] لِلْفِعْلِ، ونَفْيُ قَصْدِ الفِعْلِ أَبْلَغُ مِنْ نَفْيِهِ.

والكُوفيُّون يقولون: أصل مَا كَانَ لِيَفْعَل: مَا كَانَ يَفْعَل ثمَّ أُدخلت اللام زيادة لتقوية النفي، كما أدخلت الباء زيادة في: (ما زَيْدٌ بِعَالِم)، لذلك فهي عندهم زائدة[٣] مؤكدة غير جارة، بل هي حرف ناصب للفعل[٤]، ويسمِّيها أكثرُ النُّحاة لامَ الجُحُودِ.

٧ ـ والتّبليغ: وهي الجارة لاسم السامع لقولٍ أو ما في معناه، نحو: قُلْتُ لَهُ، وأذِنْتُ لَهُ وفَسَّرتُ لَهُ.

٨ ـ والصّيرورة: وتسمّى لامَ العَاقِبَةِ ولام المَآل نحو: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُم عَدُوّاً وَحَزَنَاً﴾ [القصص ٢٨/٨].

٩ ـ والتّعجب المجرّد: ويُستعمل في النداء، كقولهم: (يَا لَلْسَمَاء) و (يَا لَلْغَيْث) إذا تعجّبوا مِنْ كَثْرَتِهما.

---

(١) في الأصل والنسخة ـ ظ ـ (بما) وما ثبتناه من مغني اللبيب.

(٢) في النسخة ـ ظ ـ (واحداً) وهو تصحيف.

(٣) مغني اللبيب مع اختلاف يسير: ١/٢٠٨ ـ ٢٢٠.

(٤) ذهب الكوفيون إلى أن لامَ الجَحْدِ هِيَ النّاصبَةُ بنفسِهَا، ويجوز إظهار ـ أن ـ بَعدَهَا للتّوكيد. ويَجُوزُ تقديمُ مَفعول الفِعلِ المَنْصُوب بلام الجَحْد عليها. وقد احتجّوا على عَمَلِها بنَفْسِها بالقياس، وعلى جَوَازِ تَقْدِيم المَفعولِ بما نُقِلَ عَنِ العَرَب.
بينما ذهب البصريون إلى أن الناصب للفعل ـ أن ـ مقدرة بعد ـ اللام ـ ولا يجوز إظهارها، ولا يجوز تقديم مفعول الفعل المنصوب بلام الجحد عليها. واحتجوا بالقياس، وأوّلوا ما استدلّ به الكوفيون.
الإنصاف في مسائل الخلاف: ٢/٥٩٣ ـ وانظر مدرسة البصرة النحوية، ص ١٢٠.

١٠ ـ والتعجُّبُ مَعَ القَسَم: معاً ويختصُّ باسم الله تعالى كقول الشاعر:

لله يَبْقَـى عَلَـى الأيَّـامِ ذُو حِيَـدٍ ... بِمُشْمَخِـرٍّ بِـهِ الضَيَّـانُ وَالآس[1]

١١ ـ والتَّبْيين: وَهِـيَ التـي تُبَيِّنُ المَفْعُولَ مِنَ الفَاعِلِ وضَابِطُها أن يَقَعَ بعد فِعلِ تَعَجُّب أو اسم تَفْضِيل مُفهِمَين حُبّاً أو بُغْضاً تقول: (ما أحَبَّنِي) و (مَا أبْغَضَنِي)، فإن قلت (لفُلان) فأنت فاعل الحُبِّ والبُغْضِ وهو مفعولُهُما. وإن قُلتَ (إلى فُلانٍ) فالأمرُ بالعكس.

وقد تبيِّنُ فاعلية غير ملتبسة بمفعولية.

أو تبيِّنُ مفعولية غير ملتبسة بفاعلية.

١٢ ـ والتَّعْلِيل: نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الخَيْرِ لَشَدِيْد﴾ أي من أجل حبِّ المال لبخيل[2].

١٣ ـ والتَّعْـدِيَـة: نحـو: مَـا أضْرَبَ زَيْداً لِعَمْرو وما أحبَّهُ لِبَكْرٍ. ومَثَّلَهُ ابن مالك في شرح الكافية[3] بقوله تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَّدُنْكَ وَلِيّاً﴾ [مريم ١٩/٥] [4] وَلاَ يَخْفَى مَا فِيهِ.

١٤ ـ والتَّوكِيْد: وهي اللام الزائدة، كاللّام المعترضة بين الفعل المتعدِّي ومفعوله. كقول الشاعر[5]:

---

(١) البيت من البحر البسيط. وهو لأبي ذؤيب الهذلي، وقيل لأبي عائذ الهذلي وقيل لمالك بن خالد. و(الآس) نبات خضرته دائمة ويسمو حتى يكون شجراً. انظر لسان العرب، أوَسَ: ١٩/٦، وهو من شواهد سيبويه: ٤٩٧/٣، والجنى الداني، ص ٩٨، والمقتضب: ٣٢٤/٢، وشرح المفصل لابن يعيش: ٩٨/٩، والخزانة: ٣٦١/٢، ولسان العرب مادة أوس: ١٩/٦.

(٢) انظر تفسير القرطبي: ١٦٢/٢٠.

(٣) الكافية الشافية: أرجوزة في النحو والصرف لابن مالك في ٢٧٩٤ بيتاً وقد شرح ابن مالك كافيته نثراً باسم ـ الوافية ـ هامش المغني، ص ١٥٢.

(٤) شرح الكافية الشافعية لابن مالك: ٨٠٢/٢.

(٥) هو ابن ميادة: الرمّاح بن أبرد بن ثوبان الذبياني، شاعر رقيق، كان مقامه في نجد ويفد على الخلفاء ويمدحهم. ترجمته في الأعلام: ٣١/٣.

وَمَلَكْتَ مَا بَيْنَ العِرَاقِ وَيَثْرِبٍ   مُلْكاً أجَارَ لِمُسْلِمٍ وَمُعَاهِدِ[1]

١٥ ـ وَمِثْلُ (في) نَحْوَ: ﴿وَنَضَعُ المَوَازِيْنَ القِسْطَ لِيَومِ القِيَامَةِ﴾ [الأنبياء ٢١/٤٧].

١٦ ـ ومِثْلُ (عِنْدَ) كقولهم: (كَتَبْتُهُ لِخَمْسٍ خلَوْنَ).

١٧ ـ وَمِثْلُ (بَعْدَ) كقوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ[2] الشَّمْسِ﴾ [الإسراء ١٧/٧٨].

وقوله ﷺ: «صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ»[3].

١٨ ـ ومِثْلُ (مَعَ): كقول الشاعر[4]:

فَلَمّا تَفَرَّقْنَا كَأنِّي وَمَالِكاً[5]   لِطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبِتْ لَيْلَةً مَعا[6]

١٩ ـ ومِثْلُ (مِنْ): نَحْوَ: سَمِعْتُ لَهُ صُرَاخاً.

٢٠ ـ وَمِثْلُ (عَنْ): نَحْوَ: ﴿وَقَالَ الَّذِيْنَ كَفَرُوا لِلَّذِيْنَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْراً مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف ٤٦/١١].

٢١ ـ ومثل (إلى) نَحْوَ: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ [الزلزلة ٩٩/٥].

---

(١) وهو يمدح في هذا البيت عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك وقد ورد في: مغني اللبيب: ١/٢٣٧، همع الهوامع: ٢/٣٣، شرح الأشموني: ٢/٢١٦، والمعاهد: في عرف الشرع يختص بمن يدخل من الكفار في عهد المسلمين ـ المفردات، ص ٣٥٠.

(٢) دُلُوك الشمس: زوالها نصف النهار، لسان العرب، دَلَكَ: ١٠/٤٢٣.

(٣) الحديث في مسند أحمد: ٤/٣٢١، والنسائي: ٤/١٣٣.

(٤) هو متمم بن نويرة اليربوعي التميمي. شاعر فحل وأشهر شعره في رثاء أخيه مالك، توفي ٣٠هـ. ترجمته: الأعلام: ٥/٢٧٤.

(٥) هو مالك بن نويرة أخو الشاعر وقد رثاه الشاعر فكان أشهر شعره وقصّة قتله واختلاف الصحابة في ذلك ورد في خزانة الأدب: ٢/٢٤ ـ ٢٨.

(٦) البيت لمتمم بن نويرة، والكتب التي ورد فيها:
ديوان الشاعر، ص ١١٢، ومغني اللبيب: ١/٢٣٤، والجنى الداني، ص ١٠٢، وشرح التصريح: ٢/٤٨، والأزهية، ص ٢٨٩، والهمع: ٤/٢٠٣، وشرح الأشموني: ٣/٢١٨.

٢٢ ـ ومثل (عَلَى) في الاستعلاء الحقيقيّ نحو قوله تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ﴾ [الإسراء ١٧/ ١٠٩]، ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِيْنِ﴾ [الصافات ٣٧/ ١٠٣] (١).

إذا عُلم ذلك فليعلم: أنَّ أصل لام الجر الفتح، ولكنَّها كُسرت مع الظاهر مناسبة لعملها ويدلّ على ذلك فتحها مع الإضمار. والإضمار يَرُدُّ الشيءَ إلى أصلهِ(٢).

والقَوْمَ: في الأصل مصدر قَامَ، فوصف به، ثمَّ غلب على الرجال دون النِّساء ولذلك قابَلَهُنَّ به(٣).

قال تعالى: ﴿لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ (عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُم) وَلاَ نِسَاءٌ مِن نِساء﴾(٤) وقال ﷺ:

«إنْ إنْسَانِيَ الشَّيطَانُ شَيْئَاً مِنْ صَلاتِيَ فَلْيُسَبِّح القَوْمُ وَلْتُصَفِّقِ النِّسَاء»(٥)
وقال زُهير:

وَمَا أدْرِي وَسَوْفَ أخَالُ أدْرِي أقَوْمٌ آلُ حِصْنٍ(٦) أم نساء(٧)

---

(١) تَلَّهُ: صَرَعَهُ ـ انظر لسان العرب: تَلَلَ: ١١/ ٧٨، وقال ابن قتيبة في الغريب، ص ٣٧٣: أي صرعه على جبينه، فصار أحد جبينيه على الأرض.
ونُقل عن ابن عباس: وضع جبينه على الأرض لئلاّ يرى وجهه فتلحقه رقة الآباء ـ نقله الطبرسي في مجمع البيان: ٨/ ٧٠٧.
(٢) مغني اللبيب ـ مع اختلاف يسير ـ: ١/ ٢٢٨ ـ ٢٤٤.
(٣) نقله في لسان العرب عن ابن الأثير وزاد المصنف (فوصف به) ـ انظر لسان العرب: مادة قوم: ١٢/ ٥٠٥.
(٤) وما بين الحاصرتين ساقط في الأصل ولعلّه للاختصار.
(٥) سنن أبي داود ـ وقد ورد فيه (وليصفق النساء). النكاح: ٢/ ٢٥٣، وفي طبعة أخرى للسنن (نَسّاني): ٢/ ٦٢٦. ورواه أحمد في مسنده: (إن نسّاني الشيطان شيئاً في صلاتي فليسبح القوم وليُصفق النِّساء): ٢/ ٥٤١.
(٦) آل حصن: من بيوتات العرب والذي يضم شرف القبيلة، معجم قبائل العرب: ١/ ٢٨٠.
(٧) البيت لزهير بن أبي سلمى وهو من البحر الوافر. وقد ورد في ديوانه، ص ٧٣، والصحاح باب الميم/ القاف، وجمهرة اللغة القاف/ الميم: ٣/ ١٦٦، وورد في المخصص: ١/ ٣/ ١١٩، والمغني، ص ٦١، ولسان العرب مادة قَوَمَ.

فسُمُّوا بذلك (لأنَّهم)[1] قوّامون على النساء بالأمور[2].

قال الجوهري: القَوْمُ الرجال دون النساء ولا واحد له من لفظه، وربَّما دخل فيه النساء على طريق التَبَع، لأنَّ قوم كلِّ نبي رجال ونساء[3].

وقال الراغب: وفي عامَّة القرآن أراد به الرجال والنساء جميعاً، وحقيقته الرِّجال[4].

قلت: ثمّ نصَّ أئمة النُّحاة واللغويين على أنَّ (القَوْم) اسْمُ جَمْعٍ بمعنى الرِّجال خاصَّة، فواحدهُ في المعنى رجل[5] بدليل ما جاء في القرآن، وفي الحديث وكلام العرب، لكن شموله الرجال والنساء عند الإطلاق ظاهر فيدخل النساء فيه بالتبعيَّة، بحسب العرف. ولهذا حمل ما ورد في القرآن من ذكر قوم كلِّ نبي على الرجال والنساء.

ولكن نصّ الفقهاء على أنَّه إذا أوصى لقوم زيد أو وقف عليهم، فلا يصرف منه للإناث شيء. كذا ذكروه مع الإطلاق[6]، وفي النفس منه شيء ونقل الإمام أبو الفتوح العجلي في كتاب الخناثى له في دخولهن - يعني النساء - وجهين[7]. وهذا أقرب عندي، والله أعلم.

وأمّا (الظالمين):

فهو جمع ظالم، من الظُلْم الذي هو: وَضْعُ الشَّيءِ (في غَيْرِ مَوْضِعِهِ)[8]

---

(١) في الأصل والنسخة - ظ - (لانهن) وهو من تصحيف النساخ، والصواب (لأنهم) لذلك ثبّته.

(٢) انظر لسان العرب - مادة قوم -: ١٢/ ٥٠٥.

(٣) الصحاح: مادة قوم: ٥/ ٢٠١٦ مع اختلاف يسير.

(٤) في المفردات المطبوع (وفي عامة القرآن أريدوا به والنساء جميعاً وحقيقته الرجال)، المفردات، ص ٤١٨ و٤١٩.

(٥) المخصص لابن سيده: أسماء الجماعات: ١/ ٣/ ١١٩، وباب اسم يقع على الجميع: ٤/ ٤/ ١٢٠.

(٦) المغني لابن قدامة: ٥/ ٦١٥.

(٧) لم أعثر على كتابه (الخناثى) ولم أعثر على رأيه في المصادر.

(٨) انظر لسان العرب مادة ظلم: ١٢/ ٣٧٣.

وزاد الراغب (المختص به)، إما(بنقصان)[1] أو بزيادة، وإمّا بعدول عن وقته أو (مكانه)[2] انتهى. وأصله الجور ومجاوزة الحَدِّ[3].

وحيث أطلق في القرآن فالمراد به الكفر[4] لقوله تعالى: ﴿**ألا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِيْنَ * الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ**﴾ [هود ١١/ ١٨ و١٩].

وقال: ﴿**وَالكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ [البقرة ٢/ ٢٥٤]، ﴿**وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ**﴾ [هود ١١/ ٨٣]. ولمّا نَزَلَ قولُهُ عزّ وجلّ: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيْمَانَهُم بِظُلْمٍ**﴾ [الأنعام ٦/ ٨٢]، شقّ ذلك على المسلمين وقالوا: يا رسول الله وأيُّنا لم يَظْلِمْ؟ فقال: ليس كذلك. ألم تسمعوا قول لقمان لابنه: ﴿**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيْمٌ**﴾؟ [لقمان ٣١/ ١٣] [5].

وقد يُرادُ به ظُلْمُ النّاس، كقوله تعالى: ﴿**فَمَنْ عفا وأصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**﴾ [الشورى ٤٢/ ٤٠].

﴿**إِنَّما السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ**﴾ [الشورى ٤٢/ ٤٢] الآية.

وقوله: ﴿**وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً**﴾ [الإسراء ١٧/ ٣٣] الآية.

وقد يُرادُ به ظُلْمُ النَّفْسِ: كقوله تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّي إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسي**﴾ [القصص ٢٨/ ١٦] ﴿**فمنهم ظالم لنفسه**﴾ [فاطر ٣٥/ ٣٢]، ﴿**ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين**﴾ [البقرة ٢/ ٣٥].

وقد يراد به ذلك كله كما في هذه الآية[6] فإنَّ قوم نوح عليه السلام كفروا بالله، وأشركوا به، وظلموا نوحاً بتكذيبهم إيّاه، وافترائهم عليه، وظلموا أنفسهم بكفرهم وعنادهم وتكذيبهم.

---

(١) النون ساقطة من آخر الكلمة في الأصل، وثبتناها للسياق اعتماداً على ظ والمفردات للراغب.
(٢) (مكانه) ساقطة وقد ثبتناها من المفردات.
(٣) انظر لسان العرب لابن منظور: مادة جوز: ١٢/ ٣٧٣.
(٤) تنوير المقياس من تفسير ابن عباس، ص ٢٩، ٩٠، ١٣٩.
(٥) رواه البخاري ـ باب تفسير مع اختلاف في الألفاظ، عمدة القاري: ١٨/ ٢٢٥، وكذا رواه الترمذي، باب التفسير: ١١/ ١٨٨، مع اختلاف، ورواه الإمام أحمد في المسند مع اختلاف أيضاً: ١/ ٣٧٨.
(٦) يعني الآية ٤٤ من هود التي يدور حولها البحث.

الوجه الثالث

فيما ظهر لنا ولهم من الأسئلة الواردة عليها والأجوبة عنها

والذي ظهر لي[1] من الأسئلة الموجهة، ممّا لم أُسبق إليه فيما علمت ثلاثة وعشرون سؤالاً، وظهر لي أيضاً من كلام صاحب المفتاح وغيره: اثنان وعشرون، فتكون[2] جملة الأسئلة الموجهة عليها: خمسة وأربعين سؤالاً والله أعلم.

وسأذكر أوّلاً ما ظهر لي ثمَّ ما يظهر من كلام غيري، وأجيب عن ذلك بحول الله تعالى وقوّته وعونه وتوفيقه.

السؤال الأوّل: ما فائدة (واو العطف) هنا في قوله (وقيل)؟ وهلا أتى بغير واو؟ كما جاء في الآية بعد آخر القصة ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلاَمٍ﴾ [هود ١١/٤٨].

الثاني: ما الحكمة في قوله تعالى: «قِيْلَ»، دُون (قَال الله) أو (قُلنا) أو نحو ذلك؟

الثالث: لِمَ عدل إلى النّداء ولم يقل: وقيل للأرض والسماء؟

الرابع: لِمَ قدّم الأرض على السماء مع أنّه أكثر ما وقع في القرآن تقديم السماء لفضلها وشرفها وشرف من بها؟

الخامس: لِمَ أتى بصيغة «ابلعي» دون ما هو نظيره مثل (اشربي) أو (غوري)[3] أو (اذهبي) أو (نَشِّفِي) أو نحو ذلك؟

السادس: لِمَ قال (ماءك)[4] بالإضافة دون أن يقول (الماء) كما قال (وغيض الماء)؟

---

(١) في النسخة ظ (ظهر لي فيها).

(٢) في ـ ظ ـ (فيكون) وهو تصحيف.

(٣) غار الماء غوراً وغؤوراً: ذهب في الأرض وسفل فيها. انظر لسان العرب/ مادة غور: ٥/ ٣٤.

(٤) في النسخة ـ ظ ـ (ما ترك) وهو تصحيف.

السابع: لم عدل عن (أمسكي)[1] ونحوه إلى (أقلعي)؟

الثامن: لِمَ لم يصدر الأمر ذلك كما صدر الأرض والسماء.

التاسع: لم جيء بالواو في (وَغِيْضَ) دون الفاء مع أنَّه أظهر؟

العاشر: لم قال (وغيض) على البناء للمفعول دون (غَاضَ) على البناء للفاعل؟

الحادي عشر: لم أتى بـ(غِيْض) دون ما في معناه: (نَضَبَ) و(نَقَصَ) ونحوه؟

الثاني عشر: لِمَ لَمْ يجمع الماء هنا ليكون أصرح وأبلغ في هذا المقام؟

الثالث عشر: لِمَ عدل إلى «قُضِيَ» دون (انقضى) مع أنَّه أوضح ويوافق ما بعده، وهو «اسْتَوَتْ» فيكون فعلان بُنيا للمفعول وفعلان بُنيا للفاعل؟

الرَّابع عشر: لِمَ جيء بالألف واللام في «الأمر» دون أن يقال: (أمر قوم نوح) أو (أمرهم) فيكون أوضح؟

الخامس عشر: لِمَ قال «اسْتَوَت» دون ما في معناه وهو (استَقَرَّتْ) أو (رَسَتْ)[2] الذي هو مخصوص بالسُّفن من حيث الاستعمال؟

السادس عشر: لِمَ لَمْ يصرِّح بالفاعل في «اسْتَوَتْ» فيقول (استوت السَّفينةُ) أو (الفُلْكُ) ليكونَ أبْيَنَ؟

السابع عشر: لِمَ لَمْ يَقُل (بجَبَل الجُوديِّ) ليعلم أنه جبل بل اكتفى باسمه؟ ومن أين يعلم أنه جَبَل؟

الثامن عشر: ما السرُّ في استقرار السفينة على جبل الجودي دون غيره؟

التاسع عشر: لِمَ (بُنِيَ)[3] (قِيْلَ) هذه لما لم يسمَّ فاعله مع قول كثير

---

(١) أمسك الشيء: حَبَسَهُ ـ انظر لسان العرب: مسك: ١٠/ ٤٨٨.

(٢) رست السفينة ترسو رسواً: بلغ أسفلها القعر وانتهى إلى قرار الماء فثبتت وبقيت لا تسير. انظر لسان العرب/ مادة رسو: ١٤/ ٣٢١.

(٣) (بُنِيَ) ساقطة من الأصل وثبتناها من النسخة ـ ظ ـ.

من المفسِّرين: إنَّ القائل هو نوح[1] عليه السلام، ولم يُبْنَ للفاعل ليكون أظهر في البيان؟

العشرون: هل في قوله «بُعْداً» نكتة عَدَلَ بها عن أن يقول (طَرْداً وسُحقاً وهَلاكاً) ونحو ذلك ليكون أصرح؟

الحادي والعشرون: ما الفائدة في ذكر القوم ولم يقل للظالمين مع أنَّه في مقام الإيْجاز؟

الثاني والعشرون: ما الحكمة في قوله: «لِلْقَوْمِ» دون غيره مثل (للناس) و (للجماعة) ونحو ذلك؟

الثالث والعشرون: ما النكتة في ذكر الظالمين[2] هنا دون الكافرين؟ ليوافق قوله تعالى حكاية نوح عليه السلام: ﴿رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيّاراً﴾ [نوح ٧١/٢٦] أو الفاسقين، كما قال تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُم كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ﴾ [الذاريات ٥١/٤٦].

وأمَّا السؤالات التي تخرج من كتاب المفتاح وغيره:

فأوَّلها: لِمَ اختير «يا» من حروف النداء دون غيرها؟

ثانيها: لِمَ لَمْ يقل (يا أرضِ) بالكسر؟

ثالثها: لِمَ لَمْ يقل (يا أيّتها الأرض)؟

رابعها: لِمَ اختير لفظ (الأرض) دون غيرها؟

خامسها: لِمَ اختير لفظ (السماء) دون سائر أسمائها؟

سادسها: لِمَ اختير (ابلعي) دون (ابتلعي)؟

سابعها: لِمَ قال (ماءك) بالإفراد دون الجمع؟

---

(١) رجّحه الفخر الرازي في تفسيره.
حيث قال: (فَجَعْلُهُ من كلام البَشَرِ أَلْيَق) ـ التفسير الكبير: ١٧/ ٢٣٥.

(٢) في ظ (ما النكتة في ذكر الظَّالمين مع أنه في مقام الإيجاز هنا..).

ثامنها: لِمَ أفرد الأرض والسماء؟

تاسعها: لِمَ لَمْ يقل (ابلعي) بدون المفعول؟

عاشرها: لِمَ لَمْ يذكر مفعول (أقلعي)؟

الحادي عشر: لِمَ لَمْ يقل (فبلعت وأقلعت)؟

الثاني عشر: لِمَ اختير (غِيْضَ) على (غُيِّضَ) المشدّد؟

الثالث عشر: لِمَ قال (الماء) دون ماء طوفان السماء؟

الرابع عشر: لِمَ قال (الأمر) دون أن يقول (أمر نوح)؟

الخامس عشر: لِمَ لَمْ يقل (سُوِّيَتْ) على البناء للمفعول الموافق سائر أفعال الآية؟

السادس عشر: لم قيل «بُعْداً لِلْقَومِ» دون (لِيَبْعُده القَوْمُ).

وهذا من حيث التركيب.

وأمّا من حيث ترتيب الجمل:

فالسابع عشر: لِمَ قدّم النداء على الأمر؟

والثامن عشر: لِمَ قدّم أمر الأرض على أمر السماء؟

والتاسع عشر: ما فائدة اتباع ذلك بغيض الماء؟

والعشرون: ما فائدة اتباع «غيض الماء» بـ «قضي الأمر»؟

والحادي والعشرون: ما فائدة اتباع «قضي الأمر» بحديث السفينة؟

والثاني والعشرون: ما فائدة ختم القصة بما ختمت به؟

تتمة خمسة وأربعين سؤالاً، غير أنَّ السابع عشر إن (يكن)[1] مكرراً فيصحُّ أربعة وأربعون سؤالاً. وأمّا الرابع من سؤالاتنا فإنّه تضمّن قاعدة كليّة وجواباً آخر. وقد نبهنا على ذلك كما سيأتي، والله أعلم.

(١) في الأصل (أن يكون) وهو تصحيف وقد صححناه من النسخة ـ ظ ـ.

فأمّا الجواب عن السؤال الأول، وهو: فائدة الوصل بالواو دون الفصل فقال: «وَقِيلَ يَا أرضُ» ولم يقل (قِيلَ يَا أرضُ) كما قال: ﴿قِيْلَ يَا نُوح اهبِطْ بِسَلاَمٍ﴾ [هود ١١/٤٨].

فلأنه لمّا تقدَّم الإخبار عن نوح[١] مع قومه مرتّباً موصولاً وَصْلَ جُملةٍ بجُملَة معطوفاً عَطْفَ لاحِقٍ عَلَى سَابقٍ من الإرسال وقوله وقولهم والإيحاء إليه في شأنهم، وأمره أن يصنع الفلك والإخبار بالأمر لها وبمجيء الأمر بإهلاكهم، وبالركوب في الفلك والإخبار عنها، وبنداء نوح ابنه، وبحَول المَوجِ بينهما، وبما قيل عند انتهاء أمر الطوفان وبغَيضِ الماء وبتمام الأمر، وباستواء السفينة على الجبل، وبالدُّعاء عليهم وبنداء نوح ابنه، وبحَول المَوجِ بينهما، وبما قيل عند انتهاء أمر الطوفان وبغَيضِ الماء وبتمام الأمر، وباستواء السَّفينة على الجبل، وبالدعاء عليهم وبنداء نوح ربَّه إلى آخره.

فوقوع ذلك كلّه معطوفاً بالواو على أحسن نسق وألطف وصل بخلاف قوله: «قِيلَ يَا نُوْح اهْبِط»، فإنّه وقع جواباً لتعوُّذ[٢] نُوح بربِّه أن يسأله ما ليس له به علم، كما وقع. قال ﴿يا نُوْحُ إنَّهُ لَيْسَ مِنْ أهْلِكَ﴾ [هود ١١/٤٦] جواباً لقوله: ﴿إنَّ ابْنِي مِنْ أهْلِي﴾ [هود/٤٥] فتعيَّنَ الفصلُ لذلك، ولو وَصَلَ بالعطف لانقطع الكلام، ولم يكن للسُّؤال جواب، فظهر ما بينهما من كمال الانقطاع وما بين ذلك من كمال الاتصال، ولِبَاب ـ الفَصْل والوَصْل ـ دقائق ولطائف وحقائق يعرفها علماء المعاني والبيان، ويُدركها أهلُ الذَّوق السّليم والطّبع المُستقيم، ولهذا كان منْ أعظم أركان البلاغة، حتى أنَّ بعضهم حد البلاغة بأنها: معرفة الفصل والوصل[٣].

---

(١) (فلأنه لما تقدم الأخبار عن نوح) مكرر في النسختين وقد حذفناه.

(٢) في النسخة ـ ظ ـ (لعوذ).

وتعوّذ بالله واستعاذ فأعاذه: لاذ به ولجأ إليه.

انظر: لسان العرب/ مادة عوذ: ٣/٤٩٩.

(٣) نقلوه عن ابن جني ونقله في مواد البيان عن الفارسي.

يُنظر مختصر التفتازاني على تلخيص المفتاح للقزويني: ١/١٢٣، وسر الفصاحة، ص ٥٠. وقال محمد الجرجاني: البلاغة هي معرفة الفصل والوصل ولم يرد به قصرها عليها بل أراد أنه أعظم=

وقال الأستاذ عبد القاهر الجرجاني[1]: «إنّه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد إلاَّ كمل لسائر معاني البلاغة»[2] انتهى والله تعالى أعلم.

والجواب عن السؤال الثاني:

أعني فائدة العدول عن البناء للفاعل للبناء للمفعول، من ثلاثة أوجه:

أحدها: الإيجاز، فإنَّ المقام مقام اختصار.

وهذه الآية جمعت أكثر ضروب الإيجاز والاقتصار مع ما أعني من كمال التوفية بالمعنى، فإنَّ ألفاظها قَوالبُ مَعَانِيها، وفي بديع بيانها إعجاز معارضها ومعانيها.

الثاني: التعظيم والإجلال، وأنَّه تعالى لا يصدر عن غيره مثل هذا المقال، كما أشار إليه الإمام[3] حيث قال: «إنَّه سبحانه في الجلال والعلو والعظمة بحيث إنَّه متى قيل: (قِيْلَ) لم ينصرف الفعل[4] إلاَّ إليه.

(ولم يتوجَّه الفكر إلاَّ إلى ذلك القائل هو هو)[5].

الثالث: الإبهام ليذهب السامع كل مذهب ويطلب الصواب من مقصد ومطلب ويُعمِلُ العالِمُ فِكرَهُ الصَّحيح ليظْهَرَ له وجه الصّواب بالترجيح فيتحقق

= أبوابها، كقول النبي ﷺ: «الحَجُّ عَرَفَة» أراد أعظم أركان الحج، انظر الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ص ١٢١.

(١) هو عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، أبو بكر: واضع أصول البلاغة، كان من أئمة اللغة من أهل جرجان، من كتبه: أسرار البلاغة، دلائل الإعجاز، والمغني في شرح الإيضاح ثلاثون جزءاً.

من مراجع ترجمته: مفتاح السعادة: ١/١٤٣، وطبقات الشافعية: ٣/٢٤٢، وبغية الوعاة، ص ٣١٠، والأعلام: ٤/٤٨ و٤٩.

(٢) دلائل الإعجاز في علم المعاني للإمام الجرجاني، ص ١٧١.

(٣) يعني الإمام الفخر الرازي في تفسيره الكبير.

(٤) في تفسير الرازي (العقل): ١٧/ ٢٣٤.

(٥) ما بين الحاصرتين من التفسير الكبير للرازي، وبه يصح سياق الكلام ويضبط النص من المصدر الذي أشار إليه المصنف، التفسير: ١٧/ ٢٣٤، وفي الأصل (ولا يوجه النصر إلا عليه)، وفي النسخة ظ (ولا يوجه النص إلا عليه) وكل منهما ينافي السياق ويخالف النص في تفسير الرازي.

ـ القـائـل ـ فـي هذا المقام هو في الحقيقة الملك المقتدر العلاّم، فإنَّ من بواعث البناء للمفعول: الإيجاز والتعظيم والإبهام، والله أعلم.

والجواب (عن)[1] السؤال الثالث:

وهو: لِمَ عَدَلَ إلى النداء؟ ولَمْ يَقُلْ (وَقِيْلَ للأرض) كذا (وللسماء) كذا من وجهين:

١ ـ **أحـدهمـا**: ظهـور العنـاية بالإقبال على المنادي تنويهاً بذكره وتشريفاً لقدره، ولهذا نزّلَهُ منزلة العاقل فكان لامتثال أمره غير غافلٍ.

وقـال تعـالـى: ﴿**يَـا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاَماً عَلَى إِبْرَاهِيْمَ**﴾ [الأنبياء ٢١/٦٩] «يا آدمُ» «يا نوح» «يا إبراهيمُ» «يا مُوسى» «يا عيسى» ﴿**يا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي واسِعَـةٌ فـإِيَّـايَ فـاعْبُـدُونِ**﴾ [العنكبوت ٢٩/٥٦]﴿**يَا عِبَادِيَ لاَ خَوفٌ عَلَيْكُم وَلاَ أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ**﴾ [الزخرف ٤٣/٦٨].

٢ ـ **والثاني**: التنبيه على أنَّ القدرة العظيمة صالحة بأن تُصَيِّر هذه الأجرام الجسيمة إلى حال من يعقل، وتوصل مثل هـذه الجمـادات الكثيفة إلى رتبة من يعقل، وإلاّ فخطـاب مـن لا يعقـل مهمـل، والإقبـال عليه بالأمر أمر معضل[2] وقد مضى تقرير ذلك بحقه.

والجواب عن السؤال الرابع:

فـي وجـه تقـديـم الأرض على السماء في هذا المكان، وهذا يستدعي ذكر قـاعـدة يعلـم بهـا الحكمة في الحديث والقرآن، وهو نوع من أنواع علم المعاني والبيان كما سيأتي في بابه. فإنَّه لا بدّ من الوقوف على الحكمة في تقديم ما قُدِّم فـي القـرآن وتأخّر ما أُخِّر، كتقديم الأرض على السماء في هذا الموضع[3] ونحوه

---

(١) في الأصل (عند) وهو (تحريف)، وفي النسخة ظ (عن) وهو الصواب وقد أثبتناه.

(٢) معضل ـ معضلة: المسألة الصعبة أو الخطة الضيقة المخارج من الإعضال. انظر لسان العرب/ عضل: ١١/٤٥٣.

(٣) أي في الآية، ٤٤ من هود.
ونحوه كالآية: ﴿الّذي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً والسَّماءَ بِنَاءً﴾ [البقرة ٢/٢٢].

وتقديم السماء[1] على الأرض في سائر القرآن، وكنحو تقديم (السمع والبصر)[2] و(الظلمات والنور)[3] و(الجن والإنس)[4] في أكثر المواضع وفي بعضها الإنس[5]. وكنحو (سميع عليم)[6] ولم يأت (عليم سميع)، وكذا (عزيز حكيم)[7] و(غفور رحيم)[8] وفي موضع واحد (رحيم غفور)[9] إلى غير ذلك ممَّا لا يكاد ينحصر. وليس شيء من ذلك يخلو من فائدة وحكمة فإنَّه كلام الحكيم الخبير، وقد كنت أشرت إلى ذلك في كتابي (البيان لمتشابه القرآن)[10]، جمع الله الشمل به بمنه إنَّه المجيب المنَّان، وينبغي أن نقدم على (الشروع)[11] في ذلك أصلاً يقف عليه، وركناً يستند إليه.

فنقول: ما تقدَّم من الكلم فتقديمه في اللسان على حسب تقديم المعاني في الجنان[12].

والمعاني تتقدَّم بحسب خمسة أمور:

إمَّا بالفضل والكمال، وإمَّا بالطبع، وإمَّا بالزمان، وإمَّا بالرتبة، وإمَّا بالسبب.

فإذا سبق معنى من المعاني إلى القلب والفكر ببعض هذه الأمور الخمسة سبق اللّفظ الدَّال على ذلك المعنى الذي سبق، وكان ترتيب الألفاظ بحسب ذلك

---

(١) كالآية: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُم مِنَ السَّماء والأرض﴾ [يونس ١٠/ ٣١].
(٢) ﴿إنَّ السَّمْعَ والبَصَرَ والفُؤاد كُلُّ أولئكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤولاً﴾ [الإسراء ١٧/ ٣٦].
(٣) ﴿.. هَلْ تَسْتَوي الظُلُمَاتُ والنُّورُ..﴾ [الرعد ١٣/ ١٦].
(٤) ﴿يا مَعْشَرَ الجِنِّ والإنْسِ أَلَمْ يَأتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُم﴾ [الأنعام ٦/ ١٣٠].
(٥) ﴿قُلْ لَئِن اجْتَمَعَت الإنْسُ والجِنُّ..﴾ [الإسراء ١٧/ ٨٨].
(٦) ﴿... إنَّ الله سَمِيعٌ عَلِيْمٌ﴾ [البقرة ٢/ ١٨١].
(٧) ﴿... واللهُ عَزِيْزٌ حَكِيْمٌ﴾ [البقرة ٢/ ٢٤٠].
(٨) ﴿... واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة ٢/ ٢١٨].
(٩) ﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ الغَفُورُ﴾ [سبأ ٣٤/ ٢].
(١٠) لم أعثر له على هذا الكتاب، وقد ورد ذكره في عدة مواضع من هذا الكتاب.
(١١) في الأصل (الشرع)، وما أثبتناه من النسخة ـ ظ ـ وهو الأقرب إلى السياق.
(١٢) الجنان: القلب لاستتاره في الصدر. وقيل لوعيه الأشياء وجمعه لها. انظر لسان العرب ـ مادة جنن: ١٣/ ٩٣.

وربّما قُدِّم الشيء لمعنيين، وربّما قُدِّم (لثلاثة)[1] معانٍ ولأربعة ولخمسة وقد يقدم لمعنى واحد من هذه الخمسة، فممّا قدِّم (للفضل)[2] والشرف السماء على الأرض.

ولكن قدِّمت الأرض هاهنا بمعنى الزمان والرتبة، وذلك أنَّ الماء نبع أولاً من الأرض. قال تعالى: ﴿حتّى إذَا جَاءَ أمْرُنا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيْها مِنْ كُلٍّ زَوْجَينِ اثْنَينِ﴾ [هود ١١/ ٤٠]. فقُدِّمت بسبب نبع الماء منها أولاً وأنَّ السفينة وأهلها على وجهها.

فإن قُلتَ: فما تقول: في قوله تعالى في سورة يونس: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ في السَّمَاءِ﴾ [يونس ١٠/ ٦١] [3] وقال في سورة سبأ: ﴿لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ في السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ﴾ [سبأ ٣٤/ ٣].

قُلتُ: تقديم الأرض في (يونس) بالرتبة لأنَّها منتظمة بذكر ما هي أقرب إليه، وهم أهلها المخاطبون بقوله: (ولا) ﴿تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾[4] فاقتضى حسن النظم تقديمها مرتبةً في الذكر مع المخاطبين الّذين هم أهلها، بخلاف آية (سبأ) فإنَّها منتظمة بقوله ﴿عَالِمِ الغَيْبِ﴾ [سبأ ٣٤/ ٣] [5].

ـ والجواب عن السؤال الخامس ـ:

وهو الإتيان بلفظ (ابْلَعِي) دون (اشْرَبِي)، و (تَشَرَّبي)، و (نَشِّفي) و (غَوِّري)، و (أذْهِبِي) ممّا هو مثله أو بمعناه، فمن وجهين: معنوي ولفظي:

فالمعنوي: أنَّه لا يقوم لفظ من هذه الألفاظ ونحوها في معناه الذي وضع

(١) في الأصل والنسخة ـ ظ ـ (الثلاثة) وهو تصحيف يخالف السياق وقد صححناه.

(٢) في النسختين (الفضل) وما ثبتناه هو الأنسب للسياق.

(٣) وما يعزب: ما يبعد وما يغيب عن علم ربك ورؤيته وقدرته من مثقال ذرة: أي وزن نملة صغيرة، انظر مجمع البيان: ١٢/ ١٧.

(٤) في الأصل والنسخة ـ ظ ـ (وما تعملون) وهو تصحيف مخالف لنص الآية ٦١ من سورة يونس، وقد صححناه.

(٥) ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَأتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُم عَالِمِ الغَيْبِ لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ مثقالُ ذَرَّةٍ في السّماوَاتِ وَلاَ في الأرض ولا أصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ ولا أكْبَرُ إلاّ في كِتَابٍ مُبِينٍ﴾.

له، وهو: ازْدِرَاد اللُّقْمَةِ ونحوها في الحُلْقُوم ونحوه دفعة واحدة من غير توقف لمضغ ولا نحوه، كما تقدَّم، ومنه سمّيت (بالوعة) البيت ونحوه: بالوعة وبلوعة، وهي ثقبة تكون على مجوف يبتلع الماء ونحوه[١].

ولمّا أمر الله تعالى بتفجير الأرض عيوناً نبع الماء من تلك العيون، فلمّا انتهى أمر الطوفان أمر الله تعالى الأرض أن تبتلع ماءها، يعني الذي خرج من كلّ عين فرجع الماء غائراً في تلك العيون تبتلعه الأرض بأسرع وقتٍ لأمر الله تعالى وإذنه.

واللَّفظي: حسن الجناس بين «ابْلَعِي» و «أَقْلِعِي» كما سيأتي في علم البديع.

والجواب عن السؤال السادس:

وهو إضافة الماء إلى الأرض. فقال «ماءك» ولم يقل (الماء) كما قال «**وغيض الماء**». فإنّه لمّا كان ماء الطوفان ماءين: ما نبع من الأرض، وما نزل من السماء، أمر الأرض ببلع الماء الذي نبع منها إعلاماً بعظم قدرة قدير قادر على كلِّ شيء، قدير[٢] على تمييز كلّ من الماءين بعد اختلاطهما فسبحانه ما أعظم شأنه! ولو قال (الماء) لم يكن فيه دلالة على هذه القدرة العظيمة.

فبهذا يظهر حسن كلام صاحب المفتاح وفضله كما قدّمناه.

والجواب عن السؤال السابع:

وهو العدول عن (أمسكي) ونحوه إلى «أقلعي» فإنَّ الإقلاع هو الإمساك عن الشيء بحيث يذهب وينقطع أصلاً، بخلاف (الإمساك) الذي هو التوقُّف به.

وقد تقدَّم عن ابن عباس رضي الله عنهما: لم تمطر السماء قبل ذلك اليوم ولا بعده[٣].

---

(١) انظر لسان العرب، مادة بلع: ٨/ ٢٠.

(٢) في النسخة ظ (يقدر).

(٣) في الرواية قال ابن عباس «لم تمطر السماء قبل ذلك اليوم ولا بعده إلاّ من السحاب وفتحت أبواب السماء بالماء من غير سحاب ذلك اليوم..» وردت الرواية في الوجه الأول من الكتاب، وهي في الدر المنثور: ٦/ ١٣٤.

وأيضاً فحسن الجناس بين «أقلعي» و «ابلعي» من بديع اللفظ كما سيأتي.

وأيضاً فإنَّ في ذلك المناسبة اللفظيَّة التامة كما سيأتي بيانه في البديع، والله أعلم.

والجواب عن السؤال الثامن:

وهو عدم صدور الأمر للماء مع صدوره للأرض والسماء فإنَّه: لو صدر أمره تعالى للماء لم يبق في الدنيا ماء. ولو ذهب ماء الدنيا لخرب العالم.

والمقصود: ذهاب ماء الطوفان فأمر سبحانه وتعالى الأرض بابتلاع الماء الذي خرج منها للطوفان وبقي الماء الذي نزل من السماء فغاض، كما سيأتي وعاد الحال إلى ما كان عليه قبل الطوفان.

والجواب عن السؤال التاسع:

وهو مجيء (الواو) في «وغيض» دون (الفاء) مع كونها أظهر في هذا الموضع. فلفائدة جليلة وهي: أنَّه لو جاء بالفاء هنا لم يكن فيه دليل على امتثال الأمر من كُلٍّ من الأرض والسماء، وكان التقدير فبلعت الأرض ماءها، وأقلعت السماء عن المطر وغيض، فهذا من أحسن الإيجاز وأبلغه، وهو من إيجاز الحذف كما سيأتي في موضعه في المعاني والبيان، وهذا كما قرره الزمخشري في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً وَقَالاَ الحَمْدُ للهِ﴾ [النمل ٢٧/ ١٥] أي: «آتينا داود وسليمان علماً فعملا به وعَلَّماه وعَرَفا حقّ النعمة وقالا الحمد لله»[١] وهو أحسن ممَّا قرّره صاحب المفتاح وألطف حيث جعل الجامع هو الوجود، وذلك «أنَّه تعالى أخبر عمَّا صنع بهما وأخبر عمّا قالا، ولم يرتِّب الثاني على الأوَّل تفويضاً لاستفادته إلى فهم السامع مَثَلُهُ (قُمْ يَدْعُوك) بدل قوله: (قُمْ فإنَّهُ يَدْعُوك)[٢] والله أعلم».

---

(١) في الكشاف «. . . حق النعمة فيه والفضيلة وقالا الحمد لله» الكشاف: ٣/ ١٣٩.

(٢) مفتاح العلوم مع اختلاف يسير المفتاح: / ٢٧٨.

والجواب عن السؤال العاشر:

وهو مجيء «غِيْضَ» على البناء للمفعول دون (غاض) المبني للفاعل فمن وجهين: لفظي ومعنوي.

فاللفظي مناسبته الفعل قبله وزناً ولفظاً ليجريا على نسقٍ واحدٍ.

والمعنوي لنكتة لطيفة، وهي الإعلام بأنَّ الماء مسخّر بأمر الله تعالى وتحت طاعته كسائر المخلوقات ليس لواحد منها تصريف بنفسه في الحقيقة.

فبُني للمفعول ليعلم أنَّ له من يغيضه وهو الله سبحانه وتعالى فلو بُني للفاعل لم يكن ذلك منه حقيقةً ولا تصريحاً بل بالإيماء والتأويل. والتصريح بالحقيقة أولى سيّما في هذا المقام.

والجواب عن السؤال الحادي عشر:

اختيار (غِيْضَ) على ما هو بمعناه مثل (نقص) فلموازنته (قِيْلَ) كما قدّمناه ولمثل ذلك تأثير (في)[1] الفصاحة فلأنَّه أخفّ لفظاً وأسهل حروفاً، والغين وإن كانت من حروف الاستعلاء فإنَّها حرف رَخْوٌ ضعف بالكسر، والياء بسكونها في غاية الخفة، والضادّ مع أنَّها من حروف الإطباق والاستعلاء فإنَّها رخوة فليس فيها الشدَّة والقلقلة التي في القاف[2]، ومع كون (نقص) أثقل من (غيض) اجتمع فيه

---

(١) في الأصل والنسخة ـ ظ ـ (من) وما ثبتناه هو المناسب للسياق.

(٢) **معنى الاستعلاء**: أن تصعد في الحنك الأعلى، فيكون علو الصوت عند النطق بها وحروفه: الغين والخاء والقاف ـ الطاء، الظاء، الصاد، الضاد ـ ومجموعها سبعة.

والحرف الرخو: هو الحرف الذي أجريت فيه الصوت إن شئت. الهاء، الحاء، الغين، الخاء، الشين، الصاد، الضاد، الزاي، السين، الظاء، الثاء، الذال، الفاء.

والإطباق: ارتفاع طائفة من اللسان إلى الحنك فينحصر الريح بينهما ـ ويعلو الصوت ـ عند النطق بحروف الاستعلاء إلى الحنك، فينطبق الصوت مستعلياً بالريح، مع طائفة من اللسان، مع الحنك، مع حروف الأطباق الأربعة: الطاء، الظاء، الصاد، والضاد، ولا ينطبق مع حروفالاستعلاء الثلاثة الباقية: الخاء، الغين، والقاف، وإنما يستعلي الصوت فيها غير منطبق بالحنك.

الحرف الشديد: هو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه.

وحروف الشدة: الهمزة، القاف، الكاف، الجيم، الطاء، التاء، الدال، الباء. =

تــوالــي الحــركــات التي صيَّرها إلى (فعل) (الذي)[1] جوَّزت العرب تسكين عينه فهو أثقل الحـركـات والحروف. والحس يدرك خفة «غيض» بالنسبة إلى (نقص) مع أنَّ الغيض للماء ونحوه ممَّا يسيل ويجري أكثر استعمالاً عند العرب ممَّا (لا يجري)[2].

والجواب عن السؤال الثاني عشر:

وهو إفراد لفظ الماء فلم يرد مجموعاً فإنَّه لو قال: (وغيضت المياه) لتناول جميع المياه على وجه الأرض وليس الأمر كذلك، بل إنَّما غاض (ماء السماء) على ما قرّرنا أو (ماء الطوفان) على تقدير صاحب الكشاف[3] كما قدَّمنا.

والجواب عن السؤال الثالث عشر:

وهو مجيء «قُضِيَ» على البناء للمفعول أيضاً ولم يقل: (انقضى الأمر) أو (قضى الله الأمر) أو نحو ذلك، فسمَّى الفاعل ليوافق فعل استوت بعده، فللاختصار كما سيجيء بيانه ولمجيء أفعاله قبله على وتيرة واحدة مبنية للمفعول.

ولصاحب المفتاح مسلك آخر في مجيء هذه الأفعال مبنيَّة للمفعول، وهو سلوك سبيل الكناية: «إنَّ تلك الأمور العظام لا تتأتى إلاَّ من ذي قدرة لا يكتنه[4]، قهار لا يغالب فلا مجال لذهاب الوهم (إلى)[5] أن يكون غيره جلت عظمته (قائل يا أرض ويا سماء)[6] كما تقدَّم في كلامه.

= القلقلة: صوت حادث ـ عند خروج حروفها ـ بالضغطة عن موضعها ولا يكون إلاَّ في الوقف. وحروفه: القاف، الطاء، الدال، الجيم، والباء.
انظر مخارج الحروف وصفاتها لابن الطحان، ص ٩٣ ـ ٩٦، والكتاب لسيبويه: ٢/ ٤٠٥ و٤٠٦ والرعاية لتجويد القراءة للقيسي، ص ٩٩.

(١) في نسختي المخطوط (التي) وما أثبتناه يناسب السياق.
(٢) في النسختين (لا يبرح) أنه تحريف وما أثبتناه يناسب السياق.
(٣) انظر الكشاف: ٢/ ٢٧٠.
(٤) كنـه كـل شـيء قـدره ونهـايتـه وغـايتـه، ولا يكتنهه الوصف بمعنى لا يبلغ كُنْهَهُ. انظر لسان العرب مادة كَنَهَ.
(٥) (إلى) ساقطة من النسختين وقد أثبتناها من المفتاح لمناسبتها.
(٦) ما بين الحاصرتين من المفتاح وبه يستقيم الكلام، المفتاح، ص ٤١٩.

والجواب عن السؤال الرابع عشر:

وهو مجيء الأمر محلّى بالألف واللام دون أن يقول (أمر قوم نوح) أو (أمرهم): فللتطويل الذي لا يليق بالمقام، ولو يقول (أمرهم) لم يفِ بالمقصود فأتى بلفظ المعرف بالأداة الدالَّة على العهد الذكري الذي ذكر في هذه القصة وهو قوله تعالى: ﴿حَتّى إذا جَاءَ أمْرُنَا﴾ [هود ١١/ ٤٠] أي الأمر المتقدِّم أي أمرهم فيهم أو بالطوفان ونحو ذلك ممَّا يفسِّر به أمرنا، أو يراد العهد الذكري أمر هلاكهم أو لما هو أعمّ من ذلك كما تقدَّم في معنى الأمر وهذا غير السؤال الرابع عشر المستخرج من كلام صاحب المفتاح كما سيأتي وإن كان داخلاً في هذا، والله أعلم.

والجواب عن السؤال الخامس عشر:

وهو النكتة في قوله «استوت» دون ما في معناها وهو (استقرَّت) أو (رست) المخصوص بالسفن مع كونه أخصر، فنقول:

أمَّا عدوله عن (استقرَّت) فلوجهين:

أحدهما: الخفة والاختصار. فالخفة في اللفظ ظاهر، وكذا الاختصار. فإنّ (استوت) خمسة أحرف، و (استقرت) سبعة.

والثاني: إنّ (استقرت) تدلّ على الاستقرار و «استوت» تدلّ على ذلك وزيادة، فإنَّه يدلّ على الاستقرار والسلامة والاعتدال، قال الله تعالى: ﴿لِتَسْتَوُا عَلَى ظُهُورِهِ﴾ [الزخرف ٤٣/ ١٣] ﴿فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾ [الفتح ٤٨/ ٢٩].

أتى بـ (استوى) الدالَّة على أنَّ السفينة استقرّت بالسلامة على جبل الجودي فلم يصبها ما يصيب السفن المشحونة إذا استقرّت على الأرض سيّما حجارة الجبل فكان هذا من آيات الله وجملة المعجزات الجارية على يديه عليه السلام، وهذه نكتة في غاية اللطف والحسن، والله أعلم.

وأمَّا عدوله عن (رست) مع الاختصار وأنَّها مخصوصة بالسفن في لسان العرب لا يقولون إذا وقفت السفن غير ذلك.

يقولون: (رست السفينة) إذا ثبتت (ترسو رسواً) إذا وقفت على المراسي.

والمراسي جمع (مرساة): وهي حديدة كبيرة ثقيلة ترسى بها السفن فتدلى بالجبال الثخان حتى تبلغ قعر البحر فتثبت[1]. قال تعالى: **﴿بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾** [هود ١١/ ٤١] [2] أي بسم الله جريها أو إجراؤها على وجه الماء وثبوتها أو إيقافها عليه. إذا علم ذلك فليعلم:

أنه لو[3] قال: (ورست على الجودي) لم يكن موافقاً للمعنى المراد بالاستواء، لأنَّ الاستواء على الجبل والرسو على الماء كما تقدَّم من قول أهل التفسير: تشامخت الجبال يومئذ وتطاولت من الغرق وتواضع هو لله فلم يغرق، واستوت عليه سفينة نوح شهراً[4].

والجواب عن السؤال السادس عشر:

وهو لِمَ لَمْ يصرِّح بفاعل (استوت) ليكون أظهر؟

فيقول: لو صرّح بذلك لكان تطويلاً بلا فائدة فإنَّ الضمائر تقدَّمت عائدة عليها جملة بعد جملة فقال تعالى: **﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ﴾** [هود ١١/ ٣٧] الآية: **﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا﴾** [المؤمنون ٢٣/ ٢٧] أي في الفلك، وقال: **﴿ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾** [هود ١١/ ٤١] وهي تجري حتى قال **﴿واستوت﴾** [الآيات من ٤١ ـ ٤٤ من هود] أي هي يعني الفلك، والمقام مقام اختصار كما رأيت، وليس هنا ما يوجب أو يحسن إقامة الظاهر مقام المضمر من لبس وغيره.

والجواب عن السؤال السابع عشر:

وهو أنَّه لم يقل (بجبل الجودي) ليعلم أنَّه جبل.

---

(١) انظر لسان العرب، مادة سور: ١٤/ ٣٢١.

(٢) وقرأ أهل الحرمين وأهل البصرة: بضم الميم فيهما على معنى (بسم الله إجراؤها) وقرأ الأعمش وحمزة والكسائي: بفتح الميم في «بسم الله مَجريها» وضم الميم في «مُرساها» وقرأ يحيى بن وثاب: بفتح الميم فيهما: «بسم الله مَجراها ومَرساها». ينظر القرطبي: ٤/ ٣٧.

(٣) (لو) ساقطة من النسخة ظ.

(٤) نقلاً عن مجاهد وقد سبق تخريجه.

فنقول: لما كان ـ الجودي ـ علماً لهذا الجبل المعروف، وكانت الألف واللام ليست للتعريف، بل زائدة تقع في العلم لغلبتها على من هي له كالبيت ـ للكعبة ـ والمدينة ـ لطَيْبَةَ[١] ـ والنّجم ـ للثّريا ـ والجُودي ـ (لجبل)[٢] الجزيرة. لم يحتج إلى ذكر الجبل لأنَّ هذه الأسماء في نفسها أعلام، فلو قيل على جبل الجودي لكان من إضافة الشيء إلى نفسه وهو تطويل بلا فائدة والمقام كما علمت مقام اختصار وإيجاز، فعلم أنَّه جبل من حيث العلمية، ولذلك يقول تعالى وتقدّس: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ﴾ [مريم ١٩/ ٥٢] ﴿وَوَاعَدْنَا (كُم)[٣] جَانِبَ الطُّور﴾ [طه ٢٠/ ٨٠] يعني بذلك جبل الطور المعروف[٤]، وهو الجبل الذي كلّم الله عليه موسى عليه الصَّلاة والسَّلام، ولم يقل في شيءٍ من ذلك جبل الطور إيجازاً[٥] واختصاراً للعلم به، والله أعلم.

والجواب عن السؤال الثامن عشر:

وهو هل علم السر في استقرار السفينة على جبل الجودي دون غيره؟

إنّه ورد في التفسيروصحّ عن الإمام الكبير (التابعي الجليل الحجّة في علم التفسير صاحب)[٦] الحبر البحر عبدالله بن عباس ترجمان القرآن رضي الله عنهما أنَّه قال: (تشامخت الجبال وتطاولت يوم الطوفان من الغرق وتواضع جبل الجودي لله تعالى فلم يغرق، فاستوت عليه السفينة)[٧]. ولله تعالى في مخلوقاته

---

(١) طيبة: اسم لمدينة الرسول ﷺ. قيل: سميت به لطيبها لساكنيها ولأمنهم ودعتهم فيها. الروض المعطار، ص ٤٠١.

(٢) في الأصل والنسخة ظ (للجبل) واللام زيادة من الناسخ.

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من النسختين وقد أثبتناه من المصحف، وهو من تصحيف الناسخين.

(٤) قال الفرّاء: هو الجبل الذي بمدين الذي كلّم اللهُ تعالى مُوسى عليه السلام عليه تكليماً. انظر لسان العرب/ مادة طور: ٤/ ٥٠٨.

(٥) وفي موضع آخر من القرآن الكريم: «وناديناه من جانب الطور الأيمن» مريم: ١٩/ ٥٢.

(٦) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل وأثبتناه من النسخة ـ ظ ـ وبه يستقيم الكلام، والمقصود بالتابعي هنا (مجاهد) كما في كتب التفسير.

(٧) ورد في رواية قريبة عن مجاهد ـ في الدر المنثور: ٣/ ٣٣٥.

=

أسرار لا يعلمها إلاّ هو «وَمَنْ تَوَاضَعَ للهِ رَفَعَهُ اللهُ»(١).

وورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالتِّينِ﴾ [التين ٩٥/١] أنّه مسجد نوح عليه السلام الذي على الجودي. رواه العوفي(٢) عن ابن عباس(٣).

وقيل: كان الجودي جبلاً منخفضاً فكان استواء السفينة عليه دليلاً على انقطاع مادّة الماء(٤) والله أعلم.

والجواب عن السؤال التاسع عشر:

وهو لِمَ بُني «قِيْلَ» في قوله تعالى: ﴿وَقِيْلَ بُعْداً﴾ للمفعول؟ ولو بُني للفاعل لكان أوضح، إذ قد اختلف أهل التفسير في قائل ذلك.

فنقول: نعم، اختلف المفسِّرون فيمن قال: ﴿بُعْداً لِلْقَومِ الظَّالِمينَ﴾ كما قدَّمنا عند الكلام في التفصيل وجنح(٥) الإمام فخر الدين إلى أنَّ القائل هو نوح عليه السلام وأصحابه، قال: «لأنَّ الغالب فيمن(٦) يسلم من الأمر الهائل بسبب اجتماع قومٍ من الظلمة، فإذا هلكوا ونجا منهم قال مثل هذا الكلام(٧) (و) لأنَّه جارٍ مَجْرى الدُّعاء عليهم فَجَعْلُهُ من كلام البشر أليق»(٨) انتهى.

= وزاد المسير: ٤/ ١١٢، وفي تفسير الطبري: ١٢/ ٢٩، والقرطبي: ٩/ ٤١ و٤٢ وكذا ابن كثير: ٣/ ٥٥٥.

(١) «ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله» بهذا النص رواه مسلم: ١٦/ ١٤١ وأحمد: ٢/ ٣٨٦ والترمذي: ٤/ ٣٧٦. ورواه مالك في الموطأ «وما تواضع عبد إلا رفعه الله» الموطأ، ص ٧٠٦.

(٢) هو عطية بن سعد بن جنادة القيسي. من رجال الحديث، أمر الحجاج بضربه أربعمائة سوط وحلق رأسه ولحيته لرفضه سبَّ الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثم لجأ إلى فارس بعدها. وعاد بعد الحجاج إلى الكوفة وبها توفي سنة ١١١هـ.
ترجمته في الأعلام: ٥/ ٣٢، وتهذيب التهذيب: ٧/ ٢٢٤ ـ ٢٢٦.

(٣) انظر مجمع البيان: ١٠/ ٥١١، وتفسير ابن كثير: ٧/ ٣٢٣.

(٤) انظر التفسير الكبير للإمام الرازي: ١٧/ ٢٣٥. وزاد المسير للإمام ابن الجزري: ٤/ ١١٢.

(٥) جنح إليه: مال انظر لسان العرب مادة جنح: ٢/ ٤٢٨.

(٦) في تفسير الرازي (ممن).

(٧) الواو ساقطة من الأصل وثبتناها من تفسير الرازي لتناسب السياق.

(٨) التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي: ١٧/ ٢٣٥.

والذي يظهر عندي أنَّ جعله من كلام الله أولى وأصحّ لما قدّمناه من الدَّليل عند ذكره في التفصيل. والله تعالى أعلم. وبهذا يندفع السُّؤال لأنَّه يصير الكلام على نسق واحد منتظماً في سلك.

فالقائل أولاً هو القائل آخراً، وما قيل في «قيل» هناك يقال في الـ (قيل) هنا، وعلى تقدير أن يكون القائل نوح وقومه.

والجواب عن السؤال الذي هو تمام العشرين:

هل في قوله «بُعْداً» نكتة عدل بها من أن يقول (طَرْداً) أو (هَلاَكاً) أو (سُحْقاً) أو نحو ذلك ليكون أصرح؟

قلت: نكتة وأيُّ نكتة يذكرها في أنواع البديع من الوجه الثالث الآتي إن شاء الله تعالى.

والجواب عن السؤال الحادي والعشرين:

ما الفائدة من ذكر القوم فلم يقل: (بُعْداً للظالمين) مع أنّه أخصر والمقام مقام إيجاز كما تقرّر. وفائدة الإيضاح ورفع اللبس والإعلام بأنَّهم قوم نوح الذي أرسل إليهم فكفروا به، فإنّه لمّا تقدّم أوّل القصة وبعده: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ﴾ [هود ١١/ ٢٥] ﴿وَقَالَ المَلأُ مِنْ قَوْمِهِ﴾ [المؤمنون ٢٣/ ٣٣] (١) ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ﴾ ﴿وَيَا قَوْمِ لاَ أَسْأَلُكُمْ﴾ ﴿وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي﴾ [هود ١١/ ٢٨ ـ ٣٠].

﴿وَأُوْحِيَ إِلى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ﴾.

﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ [هود ١١/ ٣٦ ـ ٣٨].

كرّر ذكر القوم في سبعة مواضع، ناسب أن يختم القصَّة عند ذكر ما آل إليه أمرهم بقوله: ﴿بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِيْنَ﴾ أي قوم نوح المقدّم ذكرهم،

---

(١) أما آية هود/ ٢٧ فهي ﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه﴾.
(الملأ): أشراف القوم ووجوههم الذين يُرجع إلى قولهم. انظر لسان العرب/ مادة ملأ: ١/ ١٥٩.

فأتى بالألف واللام التي هي للعهد الذكري كما تقدَّم، فكان ذلك كقوله تعالى في آخر قصة عاد الآتية بعد هذه القصة: ﴿ألاَ بُعْداً لِعَادٍ قَوْمِ هُوْدٍ﴾ [هود ١١/٦٠] [١].

ولو لم يقل «لِلْقَوْمِ» لحصل في الكلام لبس كما سيأتي بيانه في المعاني والبيان، والله أعلم.

والجواب عن السؤال الثاني (والعشرين)[٢]:

وهي ما الحكمة في قوله تعالى: ﴿لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ دون قوله (الناس) ونحوه ممَّا يقوم مقامه؟

إنَّه[٣] لا يقوم مقام ـ القوم ـ في هذا الموضع غيره، وذلك لحكمة ظريفة وفائدة شريفة ينبغي التنبيه عليها، والإصغاء إليها. وهي:

أنَّ القوم حيث ورد الإخبار عنهم مطلقاً كان المراد بهم المخالفين لنبيِّهم الخارجين عن طاعته والجهلة الطغام[٤]، ومردة العوام، من قوله: قام فلان على فلان أي خالفه وخرج عليه، ومنه المقاومة في المصارعة وغيرها، وتقاوموا في الحرب: أي: قام بعضهم على بعض[٥] قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِيْنَ﴾ [الشعراء ٢٦/١٠٥]، ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوْطٍ الْمُرْسَلِيْنَ﴾ [الشعراء ٢٦/١٦٠] [٦] وقال تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُم قَوْمُ نُوْحٍ وَعَادٍ وَثَمُود. وَقَوم إِبْرَاهِيمَ وَقَوْم لُوط﴾ [الحج ٢٢/٤٢ و٤٣] وقال عزّ وجلّ: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الحَقُّ﴾ [الأنعام ٦/٦٦] ومعلوم أنَّ كلّ قومهم لم يكذِّبوهم وذلك بخلاف الناس فإنَّه

---

(١) (عاد) وهي قبيلة يقال لكبيرهم عاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح وكانوا عرباً.. وكانوا كثيراً ما يسكنون الخيام ذات الأعمدة الطوال.
انظر البداية والنهاية: ١/١٢٠.

(٢) في الأصل (العشرون) وهو خطأ من الناسخ.

(٣) في النسخة ظ (فإنه).

(٤) الطغام: أرذال الناس وأوغادهم. انظر لسان العرب/ مادة «طغم»: ١٢/٣٦٨.

(٥) الصحاح: مادة قوم، وفيه: قام بعضهم لبعضٍ.

(٦) ورد في نسختي المخطوط زيادة ليست من الآية: (كذبت قبلهم) وهي من خطأ الناسخين.

حيث أُطلق يراد به الفضلاء الأكياس[1] دون من يتناوله اللفظ تجوزاً نظراً إلى معنى الإنسانية[2].

ولهذا يُقال: فلان ليس فيه إنسانيّة. قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾ [البقرة ٢/١٣] أي كما فعل مَنْ فيه معنى الإنسانيَّة. وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء ٤/٥٤] أي من وجد فيه معنى الإنسانية، أي إنسان كان.

وانظر إلى مخاطبة الأنبياء قومهم بلفظ يا قومِ يا قومِ، والله تعالى يخاطب أمّة محمد ﷺ ويأمره أن يخاطبهم عند الإطلاق بـ (يا أيها النّاس) (قُلْ يَا أيّها النّاس) فتعين حينئذٍ أن يذكر هنا القوم دون الناس وغيره ممّا لا يقوم مقامه. وهذا من ألطف ما أُتِيَهُ العالم فهماً في كلام الله تعالى.

والجواب عن السؤال الثالث والعشرين:

وهو ما النكتة في ذكر الظالمين ولم يقل الكافرين؟ ليطابق قول نوح عليه السلام في دعائه: ﴿رَبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِيْنَ دَيّاراً﴾ [نوح ٧١/٢٦] ولا قال: الفاسقين ليوافق قوله: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُم كَانُوا قَوْماً فَاسِقِيْنَ﴾ [الذاريات ٥١/٤٦].

إنّه تقدَّم قوله تعالى في هذه القصة من هذه السورة: ﴿وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُغْرَقُونَ﴾ [هود ١١/٣٧] فكان ذكر الظالمين هنا أنسب لذلك، والله تعالى أعلم.

وقال صاحب المفتاح: «إنّه[3] ختم الكلام بالتعريض تنبيهاً لسالكي مسلكهم في تكذيب الرسل ظلماً لأنفسهم[4] ختم إظهار (لمكان)[5] السخط،

---

(١) الكيس: خلاف الحمق. والرجل كَيْسٌ وكَيِّسٌ، أي ظريف والجمع أكياس.
انظر لسان العرب/ مادة كَيَسَ: ٦/ ٢٠٠.

(٢) المفردات، النون، ص ٥٠٩ مع اختلاف يسير.

(٣) في المفتاح «ثم ختم...».

(٤) في المفتاح (ظلماً لأنفسهم لا غير).

(٥) في نسختي المخطوط (لامكان)، وقد اخترنا ما في المفتاح لأنه أقرب للسياق.

ولجهة استحقاقهم إيّاه، وأنَّ قيامة الطوفان وتلك الصورة الهائلة ما كانت إلاّ لظلمهم»(١) انتهى.

ولا يخفى ما فيه، إذ لقائل أن يقول: بل ما كانت إلاّ لكفرهم وفسقهم بمقتضى الآيات الأخرى والكلام في نُكتةِ ذِكرِ الظالمين هنا دون غيرها. إذ يَصُحّ مجيء (كلّ) هاهنا فلا بدّ من مخصِّص والله تعالى أعلم.

وهذا آخر الأسئلة التي ظهرت في هذه الآية الكريمة ممّا لم أعلم أحداً ذَكَرَهُ غيري وأجوبتها التي فتح الله تعالى عليّ بها من خزائن علمه ومكنون أسراره فإن كان صواباً فمن الله تعالى، وإن كان خطأً فمنّي وكلام الله عزّ وجلّ منزّه عنه والله المستعان.

وأمّا الأجوبة عن الأسئلة التي تخرج من كلام صاحب المفتاح وغيره:

فعن الأوّل:

وهو لم اختير «يا» من حروف النداء دون غيرها من سائر أخواتها؟ فلوجهين:

أحدهما: كثرة استعمال «يا» في النداء دون أخواتها.

والثاني: دلالتها على بُعد المنادى الذي يستدعيه مقام إظهار العظمة، وإبداء شأن العزّة والجبروت(٢) وهو تبعيد المنادى المُشعر بالنهاية.

ومنه قوله تعالى حكاية عن فرعون: **﴿إِنِّي لأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُوراً﴾** [الإسراء ١٧/ ١٠١] (٣).

وعن الثاني:

وهو: لِمَ لَمْ يقل (يا أرضِ) بالكسر على الإضافة، فإنّ ذلك يقتضي تشريف

---

(١) المفتاح للسكاكي، ص ٤١٩.
(٢) الجَبَرُوت: على زنة فَعَلُوت من الجبر والقهر. لسان العرب: مادة جبر: ٤/ ١١٣.
(٣) ورد في الأصل وفي النسخة ظ (واو) زائدة في أول الآية وهي ليست منها لذلك أسقطناها.

الأرض وتكريمها بإضافتها إلى نفسه المقدَّسة، فَتَرَكَ ذلك إيراداً للتهاون الذي من أجله اختار لفظ «يا» على أخواتها مثل: (أي) و(الهمزة).

وعن الثالث:

وهو لِمَ لَمْ يقل (يا أيّتها الأرض) مع كثرته في نداء أسماء الأجناس؟

فلقصد الاختصار وللاحتراز ممَّا في إتيانها من تكلّف التنبيه المشعر بالغفلة التي لا تناسب ذلك المقام.

وعن الرابع:

وهو: لم اختير لفظ الأرض دون سائر أسمائها؟

فلكونه أخفّ وأخصر (وأدور)[1] في الاستعمال، من أن يقول (الغبراء) و (المُقِلّة)[2] وغير ذلك.

وعن الخامس:

وهو لم اختير لفظ السماء دون غيرها من سائر أسمائها؟

فرعاية المطابقة لأنَّ السماء اشتهرت بهذا الاسم مقابلة للأرض، ولأنَّها أخفّ وأكثر استعمالاً من (الخضراء)[3] و (الزرقاء) و (المظلة) ونحو ذلك.

وعن السادس:

وهو لم اختير «ابْلَعِي» دون (ابتلعي) فذلك لوجهين:

أحدهما: الاختصار

والثاني: لخط التجانس بين «ابْلَعِي» و «أقْلِعِي» لأنَّه بهذا أوفر، فإنّ همزة

---

(١) في الأصل والنسخة ظ (أدر) وهو تحريف وقد صححناه من المفتاح.
(٢) ورد في لسان العرب مادة ـ غَبَرَ: ٥/ ٥.
والمخصص لابن سيده ـ أسماء الأرض: ٣/ ١٠ ـ ٦٨، ولم يورد المُقلّة منها وفي مجمع البيان عند تفسير الآية ٥٧ من الأعراف: أَقَلَّتْ: حَمَلَت فيكون معنى المُقلّة: الحاملة. مجمع البيان: ٥/ ٦٦٥.
(٣) الخضراء: السماء. ينظر لسان العرب مادة خضر: ٤/ ٢٤٥.

الـوصـل إن اعتبرت تساويا في عدد الحروف وإلاّ تقاربا فيه، بخلاف ابتلعي كما سيأتي فيما نذكره من أنواع البديع.

ثـمَّ إنَّـه لا يشتبـه على ذي خبرة بقواعد البلاغة أنَّ ذكر التجنيس والمطابقة على سبيل التبعية لنكت علم البيان.

وعن السابع:

وهو: لِمَ قال «مَاءَكِ» بالإفراد دون الجمع؟: لما كان في الجمع من صورة الاستكثار الذي يتأتّى عند مقام إظهار الكبرياء، انتهى[1]، وله جواب أوجه منه، وهو ما تقدَّم في الجواب الثاني عشر من أسلوبنا.

وعن (الثامن)[2]:

وهو لم أفرد الأرض والسماء؟: للجواب المتقدّم في إفراد الماء. يعني أنَّه لِمَا في الجمع من صورة الاستكثار كما تقدَّم.

وعن التاسع:

وهو لِمَ لَمْ يَقُل «ابْلَعِي» بدون المفعول؟

أن لا يستلزم تركه ما ليس بمراد من تعميم الابتلاع للجبال والتلال والبحار وساكنات الماء بأسرهنَّ، نظراً إلى مقام ورود الأمر الذي هو مقام عظمة وكبرياء.

وعن العاشر:

وهو لِمَ لَمْ يذكر مفعول «أَقْلِعِي»؟

إنّه حيث بيَّن المراد في ذكر مفعول (ابْلَعِي)، من أنَّه بلع الماء وحده، عُلم أنَّ المقصود بالإقلاع إمساك السماء عن إرسال (الماء)[3] فلم يذكر متعلق «اقلعي» اختصاراً واحترازاً عن الحشو المستغنى عنه.

---

(١) في هذا الموضع ورد (وعن الثامن) وهي زيادة من الناسخ، مما أدى إلى خطأ في ترقيم الأجوبة التالية، وقد حذفناها.

(٢) في نسختي المخطوط (عن التاسع) وهو خطأ ذكرنا سببه في الهامش السابق ويسري التصحيح في الأرقام التالية دون إشارة.

(٣) (الماء) زيادة اقتضاها السياق.

وعن الحادي عشر:

وهو لِمَ لَمْ يقل (فبلعت) و(أقلعت)؟

هو الجواب المتقدّم أي الاختصار احترازاً عن الحشو في ترك حصول المأمور به بعد الأمر لأنَّ مقام الكبرياء وكمال الانقياد يُغني عن ذكره.

وعن الثاني عشر:

وهو لِمَ اختير «غِيْضَ» على «غُيِّضَ» المشدَّد؟

لأنَّه أخصر فإنَّ الحرف المشدد بحرفين والمقام مقام إيجاز.

وعن الثالث عشر:

وهو لِمَ قال: «المَاءُ» دون ماء طوفان السماء؟

لوجهين: أحدهما: قصد الاختصار.

والثاني: الاستغناء بحرف التعريف إمّا لأنّ الألف واللام بدل من المضاف إليه كما هو مذهب الكوفيين وإمَّا لأنَّها تغني عن الإضافة من الإشارة إلى المعهود[1].

وعن الرابع عشر:

وهو لِمَ قال (الأمْرُ) دون أن يقول (أمر نوح)؟

فهو ما تقدَّم في الجواب قبله من قصد الاختصار والاستغناء بحرف التعريف على أنَّه تقدَّم في السؤال الرابع عشر من أسئلتنا ما فيه الكفاية، فإنّ هذا السؤال داخل في ذاك ومن جملته، والله أعلم.

وعن الخامس عشر:

وهو لِمَ لَمْ يقل (سُوِّيَتْ) على البناء للمفعول ليوافق سائر أفعال الآية؟

فلاعتبار كون الفعل المقابل للاستقرار أعني: الجريان، منسوب إلى السفينة

(١) مفتاح العلوم، ص ٤٢٠ مع اختلاف.

على صيغة المبني للفاعل في قوله: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِم﴾ [هود ١١/٤٢] مع أنّ «اسْتَوَت» أخصر من (سُوِّيَتْ).

وعن السادس عشر:

وهو لِمَ قيل «بُعْداً لِلْقَوْمِ» دون (لِيَبْعُد القَوْم)؟

بل اختير المصدر طلباً لتأكيد معنى الفعل بالمصدر مع الاختصار في العبارة وهو نزول «بُعْداً» وحده منزلة (لِيَبْعُدُوا بُعْداً)، مع فائدة أخرى وهي: الدلالة على استحقاق الهلاك بذكر اللاّم، وإطلاق الظلم على مقيداته في مقام المبالغة يفيد تناول كلّ نوع، فيدخل فيه ظلمهم على أنفسهم لزيادة التنبيه على فظاعة سوء اختيارهم في التكذيب من حيث إنّ تكذيبهم للرسل ظلم على أنفسهم لأنَّ ضرره يعود إليهم[1].

وعن السابع عشر:

وهو لِمَ قدّم النداء على الأمر فلم يقل (ابلعي يا أرض) و (أقلعي يا سماء)؟

فقدم النداء جرياً على مقتضى اللازم فيمن كان مأموراً حقيقة من تقديم التنبيه ليتمكن الأمر الوارد عقيبه في نفس المنادى قصداً بذلك لمعنى الترشيح أي ترشيح الاستعارة المكنية ـ في الأرض والسماء، حيث شبهتا بالمأمور حيث سلك معهما الطريقة التي تسلك معه، وهذا بحسب ما قرّره على مذهبه.

وعن الثامن عشر:

وهو لِمَ قدّم أمر الأرض على أمر السماء؟

فهو أنّه ابتدئ به مقدماً لابتداء الطوفان منها ونزولها لذلك في القصّة منزلة الأصل، والأصل بالتقديم أولى.

وعن التاسع عشر:

ما فائدة اتباع ذلك بغيض الماء:

---

(١) المفتاح مع اختلاف في الألفاظ.

وذلك لاتصاله بقصة الماء وأخذه بحُجْزَتِهَا، ألا ترى أنّ أصل الكلام «قِيْلَ يَا أرضُ ابْلَعِي مَاءَكِ» فبلعت ماءها، «وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي» عن إرسال الماء «وَغِيْضَ المَاءُ» النازل من السماء فغاض. ووجه تقييده الماء بالنازل من السماء وإن كان في الآيـة مطلقـاً، لأنَّ ابتـلاع الأرض ماءها فُهِمَ من قوله: «ابلعي ماءك» وهذا الذي قرّره في غاية الجودة خلافاً لصاحب الكشاف كما قدّمنا.

وعن العشرين:

وهو ما فائدة اتباع «غيض الماء» بـ «قُضِيَ الأمر»؟

وذلـك أنَّـه المقصـود مـن القصـة وهـو قوله: «وَقُضِيَ الأَمْرُ» أي: الجزاء الموعود من إهلاك الكفرة وإنجاء نوح (ومن معه في السفينة)[1].

وعن الحادي والعشرين:

وهو ما فائدة اتباع (قضي الأمر) بحديث السفينة؟

وهو أنَّه لما ذكر المقصود إنجاز الموعود وإغراق أهل الجحود أتبع ذلك بحديث السَّفينة لتأخّره عنه في الوجود فقال: «**وَاسْتَوَت عَلَى الجُودِي**».

وعن الثاني والعشرين:

وهو ما فائدة ختم القصة بما ختمت به؟

وهو الدعاء عليهم إشعاراً وإيذاناً بتمام المراد من الإخبار عن ملخص شأن هذه القصة وأنَّهم أخذوا جزاءهم وفعل بهم ما يستحقونه، ﴿**وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً**﴾ [الكهف ١٨/ ٤٩].

---

(١) في النسخة ـ ظ ـ في السفينة ومن معه.

الوجه الرابع

فيما ظهر لنا فيه من المعاني والبيان وأنواع البديع سوى ما ذكروه فيها مع الإشارة إلى ما ذكروه أيضاً.

وقد اجتمع في هذه الآية الكريمة من ضروب المعاني والبيان والبديع، (اثنان وثلاثون ضرباً) وهي: الإيجاز، والمجاز، والاستعارة، والكناية، والإرداف، والإشارة، والتمثيل، والتورية، والإبهام، والتقديم والتأخير، والفصل والوصل، والحذف والإضمار، وحسن التعليل، وصحّة التقسيم، والإرصاد، والتسهيم، وإيراد المثل، والتجنيس والطباق، والمقابلة والمناسبة، والإيضاح (والإبداع)[1] والاحتراس والتهذيب، والتمكين وحسن النسق، و(الائتلاف)[2] والمساواة والانسجام والوصف.

أمّا (الإيجاز): وهو العبارة عن الغرض بأقلّ ما يمكن من الحروف. وضدُّه (الإطناب)[3]، وهما من الأمور النسبية ويحقِّقهما الكلام الوسط الذي يقال له: المساواة، وهو: ما يؤدِّي المعنى المقصود بالمطابقة فما نقص منه إن لم يخل بالمقصود فهو (الإيجاز)، وإن أخلّ فهو (التقصير)، وما زاد عليه، إن[4] قصد به المبالغة فهو (الإطناب) وإلاّ فهو (التطويل).

والتمييز بين ذلك يحتاج إلى تدقيق وذوق وتحقيق.

ولهذا كان حدّ البلاغة: «بُلُوغُ المُتكلمِ بِعبارتِهِ كُنْهَ[5] مُرادِهِ مع إيجاز

---

(١) في الأصل والنسخة ظ (الإيداع) بياء مثناة.
وقد صححناه إلى (الإبداع) بباء موحدة وسيأتي تفصيله.

(٢) في الأصل (الابتلاء) وفي النسخة ظ غير واضح وهو تحريف والصحيح ما أثبتناه اعتماداً على السرد التفصيلي للمصنف.

(٣) (الإطناب) ساقطة من النسخة ظ.

(٤) في النسخة ظ (أعني قصد به).

(٥) كنه الأمر: حقيقته، ينظر أساس البلاغة للزمخشري، كَنَهَ، ص ٥٥٢.

بلا إخلال، وإطناب بلا إملال[1] وارتقاء شأن الكلام بحسب المقام، فلكلّ مقام مقال.

ولله درّ القائل:

يَرْمُونَ بِالخُطَبِ الطِّوالِ وَتَارَةً وَحْيَ[2] المُلاحِظِ خِيفَةَ الرُّقَبَاءِ[3]

ومن تأمّل القرآن العظيم، وأعطاه الله الفهم المستقيم، تحقق أنّ العليم الحكيم[4] سيّما متشابه الآيات والقصص التي كم تجرّع منها الملحد[5] كأس سقم فمات بالغصص، ثمّ الإيجاز على ضربين:

أحدهما: **إيجاز قصر** وهو تقليل اللفظ وتكثير المعنى لقوله تعالى: ﴿**وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ**﴾ [البقرة ٢/١٧٩] [6]، فانظر كيف نكّر الحياة ليدلّ بأنَّ شرعية القصاص رادعة من الإقدام على القتل غالباً لا دائماً. كقوله تعالى: ﴿**فِيْهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ**﴾ [النحل ١٦/٦٩] حيث لم يكن يعمّ الجميع، وأيضاً فإنَّه لو عرف لاقتضى أن تكون الحياة من أصلها القصاص، وليس كذلك. وانظر إلى قوله تعالى: ﴿**وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللهُ بِهَا**﴾ [الفتح ٤٨/٢١]، فإنّ المقصود فيها المبالغة في وصف الله تعالى نفسه بالقدرة عليهم مع حسن وضعه وقلّة ألفاظه.

الثاني: **إيجاز حذف**، وهو الاستغناء بالمذكور عمّا لم يذكر، سواء كان حرفاً أو كلمة أو جملة أو أكثر، كقوله تعالى: ﴿**فَلاَ تَكنْ فِي مِرْيَةٍ**﴾ [السجدة ٣٢/٢٣] [7] ﴿**وَاسْأَلِ القَرْيَةَ**﴾ [يوسف ١٢/٨٢] ﴿**وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ**

---

(١) التعريف من حسن التوسل مع اختلاف يسير، ص ١٠٢ وعرفها نهاية الأرب: ٧/٧.

(٢) الوحي: الكلام الخفي وكل ما ألقيته إلى غيرك. انظر لسان العرب «وَحَيَ»: ١٥/ ٣٧٩.

(٣) البيت لأبي دواد بن حريز الأيادي ـ كما نقل الجاحظ في البيان: ١/٢٦، وقد ورد البيت في: تحرير التحبير، ص ٤٢٠، ومفتاح العلوم: ص ٢٧٧، ومحاضرات الأدباء ٢٦ وأنوار الربيع: ٦/ ٢٢ والبرهان في وجوه البيان ص ١٩٥، والصناعتين، ص ٢١١، والبديع لابن منقذ، ص ١٨٢.

(٤) الكلام غير مترابط ممّا يدلّ على سقوط عبارة منه.

(٥) عن ابن السكيت: (الملحد) العادل عن الحق المدخل فيه ما ليس فيه. انظر لسان العرب: مادة لَحَدَ: ٣/ ٣٨٨.

(٦) القصاص: هو القود وهو القتل بالقتل، أو الجرح بالجرح، انظر لسان العرب: مادة قَصَصَ: ٧/ ٧٦.

(٧) والمِرْيَة: الشك والجدل ـ انظر لسان العرب ـ مادة مري: ١٥/ ٢٧٧.

الجِبَالُ﴾ [الرعد ١٣/ ٣١]. وقد جمعت هذه الآية ألطف هذين الضربين، وأحسن هذين النوعين[١].

أمّا الضرب الأوّل فظاهر من فحاويها[٢] حتى كأن ألفاظها قوالب معانيها، وقد تقدَّمت الإشارة إليه في تفسيرها وبسطت العبارة في تقريرها.

وأمَّا الضرب الثاني: فمن الحرفي ورود «غِيْضَ» مخففاً، كما ذكره السكاكي[٣].

ومن الكَلِمِيّ: «**يَا سَمَاءُ أَقْلِعِي**»، حيث لم يذكر المفعول، وكذا في قوله: «يَا سَمَاءُ» على حذف المضاف قالوا وقد جمعت هذه الآية من الإيجاز ما لا يجمعه غيرها. وقد[٤] ذكر القصة باللفظ القصير.

وأمَّا **المجاز** ومقابلة الحقيقة **فحدُّهما: في المفرد** أنَّ كلّ كلمة أُريد بها ما وضعت له فهي حقيقة، كالأسد للحيوان المفترس واليد للجارحة[٥]، فإن أُريد بها غيره لمناسبة بينهما[٦] فهي مجاز كالأسد للشجاع، واليد للنعمة (والقوة، فإنَّ الشجاعة تعرف بالجرأة والإقدام، وإن النعمة تعطى باليد)[٧] والقوة تظهر بكمالها في اليد.

وحدّهما في الجملة: أنّ كلّ جملة كان الحكم الذي دلّت عليه كما في العقل فهي حقيقة كقولنا: (خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ)، وكلّ جملة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضوعه في العقل بضربٍ من التأويل الصحيح فهي مجاز[٨].

---

(١) ورد الكلام بتفصيل حول الإيجاز وأقسامه في: المثل السائر: ٢/ ٣٠٣ ـ ٣٨٨، ونهاية الأرب: ٧/ ٤ و٥، والإشارات والتنبيهات، ص ١٤٥ ـ ١٥٠، والطراز: ٣/ ٣١٧.

(٢) (فحاوي) جمع مفردهُ فحوى، وفحوى القول: مضمونه ومرماه الذي يتجه إليه القائل. المعجم الوسيط: باب الفاء: ٢/ ٦٧٧.

(٣) المفتاح، ص ٤٢٠.

(٤) في النسخة ظ (وهو).

(٥) الخصائص لابن جني، باب (الفرق بين الحقيقة والمجاز): ٢/ ٤٤٢.

(٦) في النسخة ـ ظ ـ (عنها).

(٧) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة الأصل وقد أثبتناه عن النسخة ـ ظ ـ، وهو في حسن التوسل مع اختلاف يسير.

(٨) بحثه في حسن التوسل، ص ١٠٥ ونهاية الأرب، ٧/ ٣٧، والإشارات، ص ٢٠٢.

ثمّ المجاز قد يكون بزيادة كقوله تعالى: ﴿وَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً﴾ [النساء ٤/ ٧٩] وقد يكون بنقصٍ كقوله: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف ١٢/ ٨٢].

وقد تقدَّم ذكر ما في هذه الآية من المجاز في قول صاحب المفتاح، وعلى قول غيره المجاز فيها (وَيَا سَمَاء) أنّ المراد: مَطَر السماء.

وأمَّا الاستعارة: فهي ادعاء معنى الحقيقة في الشيء للمبالغة في التشبيه مع (طرح ذكر)[1] المشبه من البين لفظاً وتقديراً، وإن شئت: جعل الشيء للشيء للمبالغة»[2].

فالأوَّل: كقولك: (لقيت أسداً)، وأنت تعني الرجل الشجاع، والثاني: كقول لبيد[3]: إذْ أَصْبَحَت بِيَدِ الشِّمَالِ زِمَامُها[4] [5].

وقد وقع منها في هذه الآية ما تقدّم ذكره في كلام صاحب المفتاح، وقد ذكر ابن أبي الأصبع[6] وغيره أنَّ الاستعارة فيها في «أقلعي»[7].

---

(١) في الأصل والنسخة (ظ) (مع ذكر طرح المشبه) وهو ينافي تعريفه ويخالف ما ورد في حسن التوسل، وقد صححناه بناءً على ذلك.

(٢) في حسن التوسل: (وإن شئت قلت هو جعل الشي الشيء أو جعل الشي للشيء لأجل المبالغة في التشبيه) حسن التوسل، ص ١٢٦.

(٣) وهو لبيد بن ربيعة بن مالك من بني عامر بن صعصعة، وقد نشأ هذا الشاعر في كنف أسرة من الزعماء مما أثّر في شعره. وهو واحد من أصحاب المعلقات وقد امتد به العمر وتوفي ٤١هـ. ترجمته: في خزانة الأدب: ١/ ٣٣٧ والأعلام: ٥/ ٢٤٠.

(٤) وهو عجز بيت من معلقته المشهورة، صدره: وَغَدَاة رِيْحٍ قَدْ وَزَعْت، وَقرّة
ورد في موسوعة الشعر العربي، معلقة لبيد: ٢/ ٤٨٥، وشرح القصائد السبع لأبي بكر الأنباري، ص ٥٧٨ ونهاية الأرب: ٧/ ٥٧، وهو يفخر في هذا البيت بإطعام الجياع، أيام الضيق والشدة في حين يمسك غيره عن ذلك في مثل هذا اليوم.

(٥) بحثه في حسن التوسل، ص ١٢٦، ونهاية الأرب: ٧/ ٤٩ و٥٠، وفي الإشارات والتنبيهات، ص ٢٠٧.

(٦) هو عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن أبي الأصبع العدواني. من العلماء بالأدب، ولد ٥٩٥هـ ومات ٦٥٤هـ في مصر.
له كتب منها: بديع القرآن، وتحرير التحبير، والبرهان في إعجاز القرآن. من مصادر ترجمته: النجوم الزاهرة: ٧/ ٣٧ وفوات الوفيات: ١/ ٢٩٤، والأعلام: ٤/ ٣٠.

(٧) تحرير التحبير، ص ٦١١.

وأمّا الكناية: قال صاحب حسن التوسّل(١): إنَّه يقال لها الإرداف أيضاً وهو: أن يريد المتكلّم(٢) إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلاً عليه، كقولهم: فلان طويل النجاد، كثير الرماد(٣)، يعنون أنَّه طويل القامة، كثير القرى. فلم يذكروا المراد بلفظه الخاص بل توصَّلوا إليه بذكر معنى آخر هو ردفه في الوجود. ألا ترى أنَّ القامة إذا طالت طال النجاد ـ وهو حمائل السيف ـ(٤) وإذا كثر القرى كثر رماد القدور»(٥).

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ العَزِيْزُ العَلِيْمُ﴾ [الزخرف ٤٣/ ٩] الآيات إلى قوله: ﴿إنَّا إلى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾(٦).

وإنّما يكون جوابهم (الله) فقط فوضع الآيات موضعه والمعنى: لَتَنْسُبَنَّ خَلْقَها إلى الذي وُصف بهذه الأوصاف، وفيه دليل لقول من ذهب إلى أن اسم الله تعالى دالٌّ على الذات الجامعة للصِّفات الإلهيّة(٧).

---

(١) هو محمود بن سلمان بن فهد، أبو الثناء شهاب الدين، ولد بحلب، سنة ٦٤٤ هـ ثم توفي في دمشق ٧٢٥هـ. من تصانيفه: «أهنى المنائح في أسنى المدائح» ترجمته: الدرر الكامنة: ٤/ ٣٢٤، وكشف الظنون: ١/ ٦٦٦، والأعلام: ٧/ ١٧٢.

«حسن التوسل إلى صناعة الترسل» هو كتاب في كتابة الإنشاء والبلاغة طبع في المطبعة الوهبية بمصر سنة ١٢٩٨هـ، ثم طبع محققاً من قبل أكرم عثمان ببغداد سنة ١٩٨٠م.

(٢) في حسن التوسل: (فالأول هو الكناية ويقال له الإرداف أيضاً فالكناية عند علماء البيان أن يريد المتكلم..).

(٣) في حديث أم زرع قالت: (زوجي رفيع العماد طويل النجاد عظيم الرماد قريب البيت من النادي)، صحيح مسلم: ٤/ ١٨٩٨.

(٤) (وهو حمائل السيف) لم ترد في حسن التوسل ـ والظاهر أن المصنّف أدخلها للتوضيح.

(٥) اعتمدنا على النسخة المحققة من حسن التوسل، ص ١٤١ والبحث في دلائل الإعجاز، وفي نهاية الأرب: ٧/ ٥٩.

(٦) والآيات هي: ﴿الَّذي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْداً وَجَعَلَ لَكُم فِيْهَا سُبُلاً لَعَلَّكُم تَهْتَدُونَ وَالَّذي نَزَّلَ مِنَ السَّماء مَاءً بِقَدَرٍ فأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدةً مَيْتاً كَذَلكَ تُخْرَجُونَ. والَّذِي خَلَقَ الأزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِنَ الفُلْكِ والأنْعَام مَا تَرْكَبُونَ. لِتَسْتَوُوا عَلى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُم إذا اسْتَوَيْتُم عَلَيْهِ وَتَقُولوا سُبْحَانَ الَّذي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِيْنَ. وَإِنَّا إلى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ [الزخرف ٤٣/ ١٠ ـ ١٤].

(٧) ورد في (البيان في تفسير القرآن) للإمام الخوئي، ص ٤٥٢ و٤٥٣. (الله: علم للذات المقدسة. وقد=

ومن الكناية أيضاً: ما ذكره صاحب (حسن التوسل) قوله تعالى: ﴿إِنّ الّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِم ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ [آل عمران ٣/ ٩٠]، كنّى (بنفي قبول التوبة) عن (الموت على الكفر) لأنّه يردفه(١).

وقد تقدّم من قول صاحب المفتاح في هذه من الكنايات(٢).

ـ **وأمّا الإرداف** ـ وقد ذكر ابن أبي الأصبع: إنّه زائد على الكناية وهو: أن يأتي المتكلّم بلفظ قريب من المعنى المقصود يقرّر ذلك المعنى به ومثّله بقوله تعالى: ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الجُودِيِّ﴾ قال: فإنّه عبر عن استقرارها بهذا المكان استقراراً متمكناً بلفظ قريب بلفظ المعنى(٣).

وقال شيخ شيوخنا الأستاذ أبو حيّان: والإرداف في قوله: ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الجُوْدِيِّ﴾، فقوله: (استوت) كلام تام، و (على الجودي) مردف قصداً للمبالغة في التمكّن بهذا الإمكان(٤).

ـ **وأمّا الإشارة** ـ وقد يقال لها الإيماء وهو: أن يشتمل اللفظ القليل على معانٍ كثيرة بإيماء إليها وذكر لمحة تدلّ عليها(٥)، كقوله تعالى: ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ [النجم ٥٣/ ١٠] وقوله: ﴿فَغَشِيَهُم مِنَ اليَمِّ مَا غَشِيَهُم﴾ [طه ٢٠/ ٧٨].

= عرّفها العرب به حتى في الجاهلية قال لبيد: ألا كُلُّ شَيءٍ مَا خَلا اللهَ بَاطلُ. وَكُلُّ نَعِيم لا مَحَالةَ زَائِلُ، وقال عز وجل: ﴿وَلَئِنْ سألتهُم مَنْ خَلَقَ السَّمَاواتِ وَالأرضَ لَيَقُولُنَّ الله..﴾ من سورة لقمان ٣١: ٢٥.

(١) انظر حسن التوسل، ص ١٤١، ونهاية الأرب، ٧/ ٥٩، وبحثه في الإشارات والتنبيهات، ص ٢٣٨.

(٢) مفتاح العلوم، ص ٤٢٠.

(٣) النص في بديع القرآن «... وهو أن يريد المتكلم معنى فلا يعبر عنه بلفظه الموضوع له ولا بلفظ الإشارة الدال على المعاني الكثيرة، بل بلفظ هو ردف المعنى الخاص وتابعه، قريب من لفظ المعنى الخاص قرب الرديف من الردف...» بديع القرآن، ٨٣.
وفي تحرير التحبير «... فإن حقيقة ذلك: وجلست على هذا المكان فعدل عن لفظ المعنى الخاص به إلى لفظ هو ردفه.. وإنما عدل عن لفظ الحقيقة لما في الاستواء الذي هو لفظ الإرداف من الإشعار بجلوس متمكن لا زيغ فيه ولا ميل وهذا لا يحصل من قولك: جلست أو قعدت أو غير ذلك من ألفاظ الحقيقة...».
تحرير التحبير باب الإرداف والتتبيع: ١/ ٢٠٧.

(٤) النهر الماد من البحر، هامش البحر المحيط: ٥/ ٢٢٧.

(٥) حسن التوسل، ص ٢٦٣ وتحرير التحبير، ص ٢٠٠، ونهاية الأرب: ٧/ ١٤٠.

وممّا عدّوه من الإشارة في الآية قوله تعالى: ﴿وَغِيْضَ المَاءُ﴾ فإنّه عبّر بهذين اللفظين عن معانٍ كثيرة ذكره أبو حيان وابن أبي الأصبع(١)، وعدّ بعضُهم من الإشارة قول امرئ القيس: قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيْبٍ وَمَنْزِلِ»(٢) فإنّه في هذه الكلم (اليسيرة)(٣) وقف واستوقف، وبكى واستبكى، وذكر الحبيب والمنزل في هذا المصراع(٤)، وما حكاه أنّه سمع جارية أنشدت شعراً، فقال: قاتلك الله ما أفصحك، قالت أوبعد قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إلى أُمِّ موسَى أنْ أرْضِعِيْهِ﴾ [القصص ٢٨/ ٧] (٥) الآية فصاحة؟

وقد جمع فيها بين أمرين ونهيين وخبرين وإشارتين ولا يخفى ما فيه على ما عرّفوا به الإشارة بل هو من بلاغة الإيجاز، بل من الإشارة(٦).

قال الشاعر:

فَظَلّ لَنَا يَوْمٌ لَذِيْذٌ بِنِعْمَةٍ فَقُلْ فِي نَعِيْمٍ نَحْسُهُ مُتَغَيِّبُ(٧)

وقوله في كتاب الشفاء في ذكر المعراج: «فكان بينه وبين ربّه ما شئت من حديثه وقُربه»(٨).

---

(١) «النهر الماد من البحر» هامش «البحر المحيط» وهما لأبي حيان: ٥/ ٢٢٧. وتحرير التحبير لابن أبي الأصبع: ١/ ٢٠٢.
وكذا في «بديع القرآن» لنفس المؤلف، ص ٨٢.

(٢) صدر بيت من مطلع معلقة امرىء القيس الكندي من الطويل. وعجزه «بسقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُول فَحَوْمَلِ».
ورد في تحرير التحبير، ص ١٦٩ وأنوار البديع، ١/ ٣٥، وديوان امرىء القيس، ص ٨.

(٣) (اليسيرة) ساقطة من الأصل وأثبتناها من (ظ) وهي مناسبة للسياق.

(٤) ذكره في أنوار الربيع في باب ـ حسن الابتداء: ١/ ٣٥. وكذا في تحرير التحبير، ص ١٦٩.

(٥) وأم موسى التي أوحى إليها سبحانه اسمها (أيارخا) انظر تفسير القرطبي: ١١/ ٢٥٠.

(٦) لم أعثر على هذه الرواية فيما اطلعت عليه من مصادر.

(٧) ورد هذا البيت في أنوار الربيع لابن معصوم في باب الإشارة: ٥/ ٣٠٢.
وفي نهاية الأرب للنويري: ٧/ ١٤٠ وقد نسباه لامرئ القيس ولم أجده في ديوانه المطبوع.

(٨) «الشفا بتعريف حقوق المصطفى».
للقاضي عياض بن موسى السبتي. وكان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وقد شرحه العلامة شهاب الدين الخفاجي. انظر الأعلام: ٥/ ٢٨٢ وكشف الظنون: ٢/ ١٠٥٢.
ورد في الشفا للقاضي عياض:
«وأما ما ورد في هذه القصة من مناجاته لله تعالى وكلامه معه بقوله: «فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى» إلى=

ـ وأمّا التمثيل ـ فقال الشيخ في حسن التوسل: إنّه إنّما يكون من باب المجاز إذا جاء على حدّ الاستعارة مثاله قولك للمتحيّر: فلان يقدم رجلاً ويؤخّر أخرى[1]، فلو قلت إنّه في تحيُّر (كمن)[2] يقدم رجلاً ويؤخر أخرى لم يكن من باب المجاز. وكذلك قوله لمن أخذ في عمل لم يحصل منه مقصود: أراك تنفخ في غير ضرم[3]، أو تخطّ على الماء.

قال: والفرق بين الاستعارة والتمثيل:

أنّ الاستعارة تجيْ في المفرد والجمل والتمثيل لا يجيْ إلاّ في الجمل خاصّة[4].

وأمّا الأستاذ أبو حيان فإنّه جعل التمثيل: هو أن يأتي بلفظة فيها بُعد عن لفظ المعنى الموضوع له (كقوله تعالى: ﴿وَقُضِيَ الأَمْرُ﴾، فإنّه عبّر عن هلاك الهالكين ونجاة الناجين بلفظة فيها بُعد عن لفظ[5] المعنى الموضوع له)[6].

قلت: وهذا هو التلويح عند الجمهور من علماء المعاني والبيان[7].

ـ وأمّا التورية ـ وهو الإيهام عند المتقدّمين، وأصحابنا المتأخِّرين فرّقوا بينهما وهو الصحيح.

= ما تضمنته الأحاديث فأكثر المفسرين على أنّ الموحي هو الله عزّ وجلّ إلى جبريل عليه السلام وجبريل إلى محمّد ﷺ، إلاّ شذوذاً منهم، فذكر عن جعفر بن محمّد الصادق رضي الله عنه قال: أوحى إليه بلا وساطة. انظر الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض، ص ٢٠٢.

(١) في حسن التوسل: (أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى).

(٢) في الأصل (لكن) وهو مناف للسياق وما ثبتناه من حسن التوسل.

(٣) الضرم: مصدر ضرم: اشتعل والتهب.
ينظر لسان العرب: مادة ضرم: ١٢/ ٣٥٤.

(٤) حسن التوسل، ص ١٤٣ و١٤٤ مع اختلاف يسير.

(٥) (لفظ) ساقطة من النسخة ـ ظ ـ.

(٦) وما بين القوسين مكرر في الأصل.
والنص من النهر الماد ـ هامش البحر المحيط: ٥/ ٢٢٧ مع اختلاف يسير.

(٧) قال ابن الأثير: (واعلم أنه قد اختلف جماعة من أرباب هذه الصناعة في تسمية أنواع علم البيان، حتى أنّ أحدهم يضع لنوع واحد منه اسمين اعتقاداً منه أنّ ذلك النوع نوعان مختلفان. وليس الأمر كذلك). المثل السائر: ٣/ ٢٤٧.

فالتورية: أن يأتي بكلمة لها معنيان فتوطئ[1] لها حتى تخدم في المعنيين معاً، وهو الغاية في البلاغة، وربّما وطئ لها حتى تخدم في أكثر من معنيين.

وأمّا (الإيهام)[2]: فأن يأتي بكلمة ذات معنيين؛ قريب وبعيد، فيريد البعيد، أو يصحّ في أحدهما دون الآخر[3]، وبعضهم يسمّي الأوّل تورية تامّة، والآخر ناقصة.

وقد أولع المتأخّرون من أدباء بلادنا وأهل عصرنا بالتورية نظماً ونثراً فأتوا من ذلك بالمطرب والمُرقص. وأفضل من أدركناه في ذلك وأبلغ من سلك فيه أكمل المسالك، أستاذنا إمام البلاغة ومن لم يُرَ مثله ولا رأى هو مثل نفسه: جمال الدِّين محمّد بن محمّد بن محمّد بن نباتة المصري مولداً الدمشقي محتداً[4] رحمه الله تعالى[5].

فمن التورية التامة: ما استخرجتُهُ من القرآن العظيم قوله تعالى: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد ٦/٤٧] يصحّ فيه المعنيان من المعرفة والعُرف الذي هو

---

(١) وطأها: ذللها ومهدها. ينظر لسان العرب، مادة وطأ: ١/ ١٩٧.

(٢) في الأصل (الابهام) بباء موحدة، وبعد مراجعة المصادر وجدت انطباق العنوان على (الإيهام) بالياء المثناة.

(الإبهام): بباء موحدة هو أن يقول المتكلم كلاماً مبهماً يحتمل معنيين متضادين. انظر نهاية الأرب للنويري: ٧/ ١٧٤.

(٣) والإيهام: ويقال له التورية والتخييل وهو: أن تذكر ألفاظاً لها معان قريبة وبعيدة، فإذا سمعها الإنسان سبق إلى فهمه القريب ومراد المتكلم البعيد. انظر حسن التوسل، ص ٢٤٩، ونهاية الأرب: ٧/ ١٣١.

(٤) حَتَدَ بالمكان: أقام به وثبت. والمحتد: الأصل والطبع.
ينظر لسان العرب، مادة حتد: ٣/ ١٣٩.

(٥) هو محمد بن محمد بن محمد الجذامي، ابن نباتة، شاعر عصره، وأحد العلماء بالأدب، ولد ٦٨٦هـ بالقاهرة وتوفي فيها ٧٦٨هـ.
من آثاره: ديوان شعر، و«شرح العيون في شرح رسالة ابن خلدون» و«فرائد السلوك في مصايد الملوك».
من مصادر ترجمته: الدرر الكامنة: ٤/ ٢١٦، والنجوم الزاهرة: ١١/ ٩٥، والبداية والنهاية: ١٤/ ٣٢٢، والأعلام: ٧/ ٣٨.

الطِيب، فيصحّ أن يراد: وَصَفَها وبَيَّنَها وشَوَّقَهُم إليها، ويصحّ أن يراد: طَيَّبَها وزَيَّنَها[1].

ومنه قوله قديماً من جملة قصيدة:

وَكَأَنَّما المَاءُ القُرَاحُ مُتَيَّمٌ ... كَتَمَ الهَوَى فِي قَلْبِهِ فَتَجَلَّدا[2]

وهذا من أبلغ ما وقع في هذا الباب وأحسنه، فإنّ التورية وقعت فيه في ثلاث كلمات متواليات:

في الهوى، وفي قلبه، وفي تجلُّده، ولا أعلم وقع مثله لغيري.

وممّا وقع لي في تورية ذات ثلاثة أوجه على لغة طي من قصيدة قلتها في شيخنا العلاَّمة خطيب الخطباء بهاء الدِّين أبي البقاء السبكي[3] رحمه الله:

إِمَامٌ يَكَادُ الصَّخْرُ يَعْنُو لِوَعْظِهِ ... إذا مَا عَلاَ عُودَ المَنَابِرِ أَوْرَقَا

ووقع في تورية ذات أربعة أوجه قولي في خطبة صداق أنشأته لبعض بنات الكبار، ولي عقده القاضي ولي الدِّين قاضي قضاة الشام[4]:

مَنِيْعَةُ سِتْرٍ بِكْرُ دُرٍّ يَتِيمَةٌ ... فَلاَ غَرْوَ أَنْ قَاضِي القُضَاةِ لَهَا وَلِي

أشرت إلى لقبه وكونه وليها وولي العقد بنفسه، فهو فعل وفاعل ولها ولي: جار ومجرور.

---

(١) وقد ورد في النهر الماد «عَرَّفَها لهم»: أي بينها لهم من (التعريف) أو علاها من (الأعراف) وهي الجبال أو طيّبها من (العرف) وهو الطيب انظر النهر الماد هامش البحر المحيط: ٨/ ٧٢.

(٢) الجلد: القوة والشدة والصلابة. والتجلد: تكلف الجلادة وإظهارها، انظر لسان العرب، جلد: ٣/ ١٢٦. ولم أعثر على قائل البيت في المصادر التي اطلعت عليها.

(٣) هو أحمد بن علي بن عبد الكافي، بهاء الدين السبكي، ولد ٧١٩، ومات بمكة ٧٦٣. من مصنفاته: «عروس الأفراح، شرح تلخيص المفتاح».
ترجمته في البدر الطالع: ١/ ٨١، والدرر الكامنة: ١/ ٢٢٤، والأعلام: ١/ ١٧٦.

(٤) هو ولي الدين عبدالله بن أبي البقاء السبكي، ولد بالقاهرة، ٧٣٥، ثم انتقل إلى دمشق، وسمع بها من الحافظ المزي، وأبي العباس الجزري وغيرهما، وأفتى ودرس بالشامية الجوانية والرواحية وغيرهما، ثم ولي قضاء الشام وتدريس القضاء، مات ٧٨٥هـ.
من مصادر ترجمته: قضاة دمشق لابن طولون، ص ١١٢، والشذرات: ٦/ ٢٨٨.

ومن التورية التامّة ذات الوجهين قولي في السلطان الكبير السيد رضاكيا الذي ألَّفت هذا الكتاب باسمه، وجعلته في خزانته العالية برسمه، خلد الله تعالى بالعدل سلطانه ونصره في الدِّين والدنيا وأعانه:

حَبِيْبَـةُ قَلْبِـي إِنَّنِـي فِيْـكِ مُغْـرَمٌ أَسِيْرُ هَوًى مَا لِلْعذول[1] وَمَا لِيَا
فَـإِنْ تَصِلـي أو تَهْجُـري فَـأَنَـا امْـرؤٌ رِضَايَ وَحُبِّي وَالهَوى فِي رِضَاكِيا[2]

فالوجه الأوّل: اسم السيِّد المشار إليه ضاعف الله نعمه عليه.

والوجه الثاني: أخبر أنّه لا يزال في رضا المحبوبة، و (الكاف): كاف الخطب لها، و (يا) حرف النداء للمحبوبة، وحذف المنادى الذي هو المحبوبة وذلك لغة فصيحة ورد بها القرآن[3] في قوله: ﴿أَلاَ يَسْجُدُوا﴾ [النمل ٢٧/ ٢٥]، على قراءة أبي جعفر[4]، والكسائي[5]، ويعقوب[6] في رواية رويس[7] عنه، وقرأ بها أيضاً أبو عبد الرحمن السّلمي[8] والحسن البصري وحميد بن قيس الأعرج[9] [10].

---

(١) العذول: اللوم. انظر اللسان، مادة عذل: ١١/ ٤٣٧.

(٢) رضاكيا: مرت ترجمته.

(٣) انظر القرطبي: ١٣/ ١٨٦ و١٨٧، ومجمع البيان: ٧/ ٣٣٧.

(٤) هو يزيد بن القعقاع: أحد القراء العشرة من التابعين، كان إمام أهل المدينة في القراءة، قرأ القرآن على عبدالله بن عياش المخزومي، ومات سنة ١٢٧هـ.
ترجمته في: الأعلام: ٨/ ١٨٦، ومعرفة القراء للذهبي: ١/ ٥٨ ـ ٦٢، وغاية النهاية: ٢/ ٣٨٢.

(٥) سبقت ترجمته.

(٦) سبقت ترجمته.

(٧) مرت ترجمته.

(٨) هو عبدالله بن حبيب بن ربيعة ولد في حياة النبي ﷺ وقرأ القرآن وحفظه وأخذ القراءة عن عثمان وعلي وابن مسعود وغيرهم. وأخذ عنه عاصم بن أبي النجود وعطاء بن السايب، توفي ٧٤هـ.
ترجمته: معرفة القراء: ١/ ٤٥.

(٩) هو أبو صفوان المكي القارىء، قرأ القرآن على مجاهد ثلاث مرات، وروى عن مجاهد وعطاء والزهري وغيرهم. توفي ١٣٠هـ، ترجمته: في معرفة القراء للذهبي: ١/ ٨٠ و٨١.

(١٠) قرأ جماعة «ألا يسجدوا لله» بتخفيف اللام. والتخفيف على تقدير: (ألا يا قوم اسجدوا) فالمنادى (قوم) محذوف. أما قراءة الباقين فهي: «ألاّ يَسْجُدوا لله» بالتشديد.
انظر مجمع البيان: ٧/ ٣٧ ـ ٤١، طبع دار المعرفة بيروت ١٤٠٦هـ.

ومن ذلك قول الشماخ:

«ألا يَا اصْحَبانِي قَبْلَ غَارَةِ سِنْجَالِ»[1]، يعني: يا صاحبيّ اصْحَبَانِي.

وقال ذو الرمة:

ألا يَا اسْلَمِي يَا دَارَ مَيّ عَلَى البِلَى وَلاَ زَالَ مُنْهَلاً (بِجُرْعَائِكِ)[2] القَطْرُ

وسُمع بعض العرب يقول: ألا يا ارحَمُونَا، ألا يا تَصَدَّقُوا علينا.

فعلى الوجه الأوّل تكتب الكاف موصولة بياء.

وعلى الثاني تكتب مفصولة، وكذلك وصلت بالحمرة ليحتمل المعنيين[3]، ولكن اللّفظ بهما لا يختلف، والواو في (والهوى) يحتمل أن تكون (واو عطف) وهو الأنسب (للقائل) ويحتمل أن تكون (واو قسم)، وهو الأنسب (في المقول فيه)، ولا زالوا في تغزُّلهم يقسمون بالهوى، كقول بعضهم:

وَحَقِّ الهَوَى إنِّي لَفِيكِ مُتَيَّمُ وَحُبُّكُمُ فَرْضٌ عَلَيَّ مُحَتَّمُ[4]

---

(١) الشمّاخ بن ضرار بن حرملة: شاعر مخضرم. أدرك الجاهلية والإسلام وهو من طبقة لبيد والنابغة، جُمِع بعض شعره في ديوان مطبوع. ترجمته في: الأغاني: ٨/ ٩٧، والكامل للمبرد: ٢/ ٢٨.
وسِنْجَال: هي قرية بأرمينية. انظر: معجم البلدان: ٥/ ١٤٦، وشرح الديوان، ص ٤٥٧، وهذا صدر بيت للشمّاخ ورد في ديوانه وعجزه: «وَقَبْلَ مَنَايَا بَاكِرَاتٍ وَآجَالِ»
ملحق الديوان، ص ٤٥٦.
وقد روي (ألا يَا اسْقِيَانِي). في المغني، ص ٤١٤، والكتاب: ١/ ٣٢٠، والإنصاف، ص ١١٨، وفي رواية أخرى (ألا عَلِّلاَنِي) في الخزانة: ٤/ ٤٧٩، والجنى الداني، ص ٣٥٦، والمفصل، ص ٢٢.

(٢) هو غيلان بن عقبة العدوي، من مضر، من فحول شعراء عصره، وكان شديد القصر، أكثر شعره تشبيب وبكاء أطلال، له ديوان شعر مطبوع.
ترجمته: في وفيات الأعيان: ١/ ٤٠٤، ومعاهد التنصيص: ٣/ ٢٦٠.
وقد ورد في نسخة الأصل (بحر عليك) وهو تحريف وما أثبتناه من النسخة (ظ) وديوان الشاعر وهو الصواب.
ـ ديوان ذي الرمة تـ مكارتي ـ ٢٠٦، والبديع لابن منقذ، ص ٥٦.
وقال الباهلي في شرح البيت: «يا اسلمي»، يريد: ألا يا هذه اسلمي أي أحييك بالسلامة وإن كنت بالية.
منهلاً: جارياً سائلاً. الجرعاء من الرمل: رابية سهلة لينة. شرح ديوان ذي الرمة للباهلي: ١/ ٥٦٠.

(٣) تكتب موصولة: (رضاكيا) ومفصولة (رضاكِ يا).

(٤) التيم: ذهاب العقل من الهوى، انظر لسان العرب مادة تيم: ١٢/ ٧٥. ولم أعثر على قائل هذا البيت.

وقد وقع من التورية التامة قوله تعالى في هذه الآية: ﴿وَقِيْلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِيْنَ﴾، إذ يصحّ في (بُعْداً) كلٌّ من المعنيين، الذي هو (الطَرْدُ وضدّ القرب)، والذي هو (الهلاك).

ويشهد للأوّل: قوله تعالى: ﴿إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ الله وَالملائِكَةِ والنَّاسِ أجْمَعِيْنَ﴾ [البقرة ٢/ ١٦١] (١).

ذهب إليه كثير من المفسِّرين كما تقدَّم.

ويشهد للثاني قوله تعالى: ﴿ألاَ بُعْداً لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُوْدُ﴾ [هود ١١/ ٩٥].

والدَّليل على جواز إرادة المعنيين وكونه من التورية التامة: أنَّه لم يرد (بعداً) بالفتح، فإنّه لو أراد الهلاك فقط لكان بالفتح.

وأمّا الإيهام ـ وتقدَّم تعريفه آنفاً ـ فمنه قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ والشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن ٥٥/ ٦]، فإنَّ المراد بالنجم نجم الأرض وهو: ما لا ساق له من النبات والشجر: ما له ساق(٢)، فأراد البعيد دون القريب، إذ الفهم يسبق إلى نجم السماء.

ومنه قول المتنبي: «فَعُيُونُ أَهْلِ اللاّذِقِيَّةِ (صُوْرُ)»(٣) يعني: متوجهات

---

(١) والآية لا تتعلق بالسياق وليست محل الشاهد والظاهر أن محل الشاهد هو الآية ٦٠ من هود حيث يقول سبحانه:
﴿.. ألا بُعْداً لِعَادٍ قَوْمِ هُوْدٍ﴾ وفيها دلالة على الطرد كما ذكر المفسرون.

(٢) انظر القرطبي: ١٧/ ١٥٣ وقد نسبه إلى ابن عباس.

(٣) هو أحمد بن الحسين الكوفي أبو الطيب. ولد ٣٠٣هـ بالكوفة في محلة كندة وتنقل بالبادية ومات مقتولاً، وهو من أعلام الأدب العربي، وله ديوان شعر مطبوع له شروح كثيرة.
ترجمته: في الأعلام: ١/ ١١٥، ومعاهد التنصيص: ١/ ٢٧، والمنتظم: ٧/ ٢٤ وفي الديوان (وعيون).
في الأصل: (صورة) بزيادة تاء وقد حذفناها اعتماداً على ديوان الشاعر وهو عجز بيت في الرثاء صدره: «وَحَفِيفُ أجْنِحَةِ المَلاَئِك حَوْلَهُ».
وقد ورد هذا البيت في قصيدة له يرثي بها محمّد بن إسحاق التنوخي ومطلعها:
إنِّي لأعْلَمُ واللّبِيبُ خَبِيرُ ... أنّ الحَيَاةَ وَإنْ حَرَصْتَ غُرُورُ
والمعنى: وعيون أهل اللاذقية (بلد المرثي) مائلة إلى نعشه لا يصرفون عيونهم عنه شوقاً إليه وحزناً عليه.
انظر: ديوان المتنبي، ص ٧١، وشرح الديوان للبرقوقي: ٢/ ٢٣٣، ومعجم البلدان: ٧/ ٣١٣.

قصور. واللاذقيّة: مدينتان على ساحل الشام مشهورتان، فأراد المعنى البعيد دون القريب.

ومنه قولي قديماً:

يـزَخْـرِفُ خَـدَّيْـهِ وَنَمْـلَ عَـذَارِهِ   جري قِصَصٍ حَارَت (بِهِ) الشُّعَرَا وَصْفَا[1]

وقولي جديداً مخاطباً لوزير اسمه عليّ:

مَـا زلْـتُ فـي هَـمٍّ وَغَـمٍّ وَعَنَـا   إنْ كَـانَ مَـا بِـي بِـالـوَزِيـرِ يَنْجَلِـي
أَقُـولُ زَالَ الجَـوْرُ يَـا دَهْـرُ اتَّئِـدْ   إنِّـي اسْتَغَثْـتُ صَـارِخـاً يَـا لَعَلِـي[2]

أشار إلى ما هو مشهور في بلادنا على الألسنة، أنَّ من وقع في أمر مهول، إذا نزلت به شدَّة فإنَّه يقول مستغيثاً: (يالعلي)، وهذا هو المعنى القريب إلى الفهم المتبادر إليه، ولكن أراد اسم الوزير المذكور فحصل الإيهام على أنَّه يصحّ أن يكون أراد بهما فيكون تورية تامّة.

وكذا يصحّ في هذه الآية أيضاً على مقتضى قول صاحب الكشَّاف، ومن قال بقوله: إنَّ المراد بالبُعد الهلاك[3] فيكون من الإيهام على هذا، ويكون من التورية التامة على ما تقدّم.

وقد يصحّ في هذه الآية إيهام آخر على قول من جعل (وَيَا سَمَاءُ) على حذف مضاف أي: (يا مطر السماء) أو يحتمل المعنيين ويكون البعيد منهما مراداً، والله أعلم.

وأمّا التقديم والتأخير[4] فقد تقدَّم الكلام فيه في السؤال الرابع، وفي هذه الآية منه تقديم الأرض على السماء، وأجبنا عن ذلك، ثمّ وما في الجمل والألفاظ في هذه الآية كلّه ظاهر المناسبة في التقديم والتأخير على أحسن نظام وأكمل تمام.

---

(١) عذار الرجل: شعره النابت في موضع العذار وهو استواء شعره، انظر اللسان مادة عَذَرَ: ٤/ ٥٥٠، وفي الأصل (فيه) وقد اخترنا ما في النسخة ـ ظ ـ ليستقيم الوزن.

(٢) اتأد يتئد اتئاداً: إذا تأنّى في الأمر انظر لسان العرب مادة تأد: ٣/ ٤٤٢. ولم أعثر على ترجمة للوزير المذكور.

(٣) الكشاف: ٢/ ٢٧١.

(٤) بحثه حسن التوسل، ص ١٥٦ ونهاية الأرب: ٧/ ٦٣.

وأمَّا الفصل والوصل: «وهو العلم بمواضع العطف والاستئناف والتهدي إلى كيفية إيقاع حروف العطف في مواقعها»[1]، وقد تقدَّم الإشارة إليه في السؤال الأوّل وهو: ما الفائدة فيما عطف في هذه الآية بحرف وما لم يعطف؟ والله تعالى أعلم.

وأمَّا الحذف والإضمار[2]

فقد تقدّمت الإشارة إلى ما في هذه الآية من ذلك في الإيجاز.

وأمَّا حسن التعليل فهو: أن يدعى المتكلم (لوصف)[3] علة مناسب له بأمر لطيف، إمَّا بتصريح أو إيماء، كما أنشدنا بعض شيوخنا للأستاذ أبي حيان:

عِـدَاتِـي لَهُـم فَضْـلٌ عَلَـيَّ وَمِنَّـةٌ ... فَلَا أذْهَبَ الرَّحْمَنُ عَنِّي الأعَادِيَا[4]

هُـمُ فَحَصُـوا عَـنْ زَلَّتِـي فَـاجْتَنَبْتُهَـا ... وَهُـمْ نَـافَسُونِـي فَاكْتَسَبْتُ المَعَالِيَا

وأنشدنا بعض أصحابنا ممّن قدم علينا من الأندلسيين[5] لقاضي الجماعة بغرناطة من الأندلس[6] أبي البركات (البلفيقي)[7]:

رَعَـى اللهُ إخْـوَانَ الخِيَـانَـةِ إنَّهُـم ... كَفَـوْنَـا مَـؤُونَـاتِ البَقَـاءِ عَلَـى العَهْـدِ

---

(١) بحثه حسن التوسل، ص ١٥٨ ونهاية الأرب، ٧/ ٧٠. وفي الإشارات والتنبيهات، ص ١٢١ ـ ١٤٠.

(٢) بحثه حسن التوسل، ص ١٦٥.

(٣) في نسختي المخطوط (لأمر) وما أثبتناه من حسن التوسل وهو أقرب للسياق.

(٤) البيتان في ديوان الشاعر، ص ٥٠ ـ ٥١، وبغية الوعاة: ٢/ ٢٨٣، وأنوار الربيع: ٣/ ٢٧.

(٥) هم: محمد بن أحمد الشرقي وأبو عبدالله الأليري ومحمد بن محمد بن ميمون الأندلسيون/ انظر: غاية النهاية: ٢/ ٢٣٦.

(٦) غَرْنَاطة: بفتح أوله وسكون ثانيه ثم نون: معناها: «رمانة» بلسان عجم الأندلس سمي البلد ـ لحسنه ـ بذلك، وهي من أقدم مدن الأندلس. انظر مراصد الاطلاع: ٢/ ٩٩٠، والأندُلُس: كلمة عجمية بضم الدال واللام. وهي جزيرة فتحها المسلمون ثم استولى عليها الفرنج فذهب أكثر معالمها الإسلامية. انظر مراصد الاطلاع: ١/ ١٢٣، ومعجم البلدان: ٢/ ٢٦٢.

(٧) في الأصل (التلفيقي) وهو تحريف وقد صححناه اعتماداً على مصادر ترجمته. وهو محمد بن محمد بن إبراهيم البلفيقي، من ذرية عباس بن مرداس السلمي وهو قاض مؤرخ من أعلام الأندلس في الحديث والأدب، ولد ٦٨٠هـ، ومات سنة ٧٧٠هـ.
له كتب منها: «سلوة الخاطر»، و «أسماء الكتب ومؤلفيها»، و«العذب الأجاج». ترجمته: في الأعلام: ٧/ ٣٩، وغاية النهاية: ٢/ ٢٣٥ و٢٣٦، وفهرس الفهارس: ١/ ١٠٦، والدرر الكامنة: ٤/ ١٥٥.

فَلَو قَدْ وَفَوا كُنّا أُسَارَى حُقُوقِهِم ... نُرَاوِحُ مَا بَيْنَ النَّسِيئَةِ والنّقدِ[1]

ووقع منه في هذه الآية الكريمة قوله تعالى:

﴿وَغِيْضَ المَاءُ﴾ فإنّ غيض الماء علّة استواء السفينة على الجودي.

ومنه قول بعض المتأخّرين:

لا تَضَعْ مِنْ عَظِيم قَوْمٍ وإنْ كُنْـ ... ـتَ مُشَاراً إليْهِ فِي التَّعْظِيم
فَالعَظِيْمُ الشَّرِيفُ يَصْغُرُ قَدْراً ... بِالتَّجَنِّي عَلَى الشَّرِيفِ العَظِيم
وَلَعُ الخَمْرِ بِالعُقُولِ رَمَى الخَمْـ ... ـرَ بتَنْجِيسِهَا وَبِالتَّحْرِيم[2]

ومنه قوله قديماً:

فَلَو لَمْ يَكُن وَرْدُ الرِّيَاضِ كَخَدِّهِ ... لَمَا احْتَمَلَ الجَانِي عَلَى شَوْكَةٍ قَطفا[3]

وأمّا صحّة التقسيم وهو أوّل أبواب وضعها قدامة في كتابه[4]. وهو عبارة

---

(١) مؤونات: جمع مفردة مؤونة: وهي الإنفاق على العيال وكفايتهم. انظر لسان العرب، مادة مَوَنَ: ١٣/ ٤٢٥. ونسأ الشيء: باعه بتأخير والاسم النسيئة/ انظر لسان العرب/ مادة نسأ: ١/ ١٦٧.
والبيتان في غاية النهاية للمصنف: ٢/ ٢٣٦.

(٢) البيت لأبي الفوارس سعد بن محمد التميمي المعروف بـ (حيص بيص) وكان من أعلم الناس بأخبار العرب وأشعارهم، مات سنة ٥٧٤هـ.
ترجمته في: النجوم الزاهرة: ٦/ ٨٣، ومعجم الأدباء: ١١/ ١٩٩ ـ ٢٠٧ وشذرات الذهب: ٤/ ٢٤٦.
وفي رواية أخرى:

لا تضع من عظيم قدر وإن كنـ ... ـت مشاراً إليه بالتعظيم
فالشريف الكريم ينقص قدراً ... بالتعدي على الشريف الكريم

وقد روي في بعض المصادر بالروايتين:
ومن الكتب التي ورد فيها البيتان: المثل السائر: ٢/ ٣٤ و٣٥، وأنوار الربيع: ٢/ ١٦٨.

(٣) في هذا البيت معنى لطيف: لأنّ من يريد الطيب لا يصل إليه بسهولة «ولا بدّ دون الشهد من إبر النحل» ولم أعثر على قائله.

(٤) هو قدامة بن جعفر بن قدامة البغدادي من البلغاء المتقدمين في علم المنطق والفلسفة. كان أيام المكتفي بالله العباسي وأسلم على يده. توفي ٣٣٧هـ. ومن كتبه «نقد الشعر» وهو الكتاب الذي أشار إليه المصنف هنا. ترجمته: في الأعلام: ٥/ ١٩١.
وقال في نقد الشعر: صحة التقسيم: هي أن يبتدئ الشاعر فيضع أقساماً فيستوفيها ولا يغادر قسماً منها. انظر نقد الشعر، ص ١٤٩.

عن استيفاء أقسام الشيء بالذّكر فإنّه تعالى وتقدّس استوعب أحوال الماء، حالة نقصه إذ ليس إلاّ احتباس ماء المطر، واحتقان ماء الأرض، وغيض الماء الحاصل على ظهرها. وهو كقوله تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أو يُزَوِّجُهُم ذُكْرَاناً وَإِناثاً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيْماً﴾ [الشورى ٤٢/٤٩ ـ ٥٠] [١].

ومن التقسيم قول الشاعر:

وَلاَ يُقِيمُ عَلَى خَسْفٍ يُرادُ بِهِ ... إلاّ الأذَلاَّنِ عَيْرُ الحَيِّ والوَتَدُ
هَذَا عَلَى الخَسْفِ مَرْبُوطٌ بِرُمَّتِهِ ... وَذَا يُشَجُّ فَلاَ يَرْثِي لَهُ أَحَدُ [٢]

ومن حسن التقسيم قوله تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ البَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾ [الرعد ١٣/١٢]. وليس في رؤية البرق إلاّ الخوف من الصواعق، والطمع في المطر. وقالوا: من لطيف ما وقع في هذه الجملة من البلاغة: تقديم الخوف على الطمع، إذ كانت الصواعق تقع مع أوّل برقة ولا يحصل المطر إلاّ بعد توالي البرقات. ولهذا كانت (العرب) [٣] تعدُّ سبعين برقة وتتجمّع فلا تخطئ الغيث والكلأ [٤].

---

(١) ورجل عقيم: لا يولد له، وامرأة عقيم لا تلد أيضاً. انظر لسان العرب، مادة عَقَمَ: ١٢/٤١٢.

(٢) هو جرير بن عبد العزى ويعرف بالمتلمس من بني ضبيعة من ربيعة، وهو شاعر جاهلي مشهور مات سنة ٥٠ قبل الهجرة.
انظر ترجمته في الأعلام: ٢/١١٩.
اختلفت المصادر في رواية مفردات البيتين:
(ولا يقيم): فقد وافقت رواية المصنف ما ورد في تأريخ الطبري
ورواه أبو الطيب في (المثنى) وغيره (ولن يقيم).
(على ذل) وقد وردت في خزانة الأدب وغيره (على ضيم).
(غير الحي) وفي طبعتي الديوان (عير الحي) والعير هنا بمعنى (الحمار) بينما رواه البحتري في الحماسة والزمخشري في المستقصى (عير الأهل).
(مربوط): ورواه ابن أبي الحديد في شرح النهج (مشدود).
(فلا يرثى) تتفق هذه الرواية مع ما رواه في (معاهد التنصيص) ومحاضرات الأدباء. وقد رواها في (المثنى) (ولا يأوي) وهناك روايات أخرى. انظر ديوان المتلمس، ص ٢٠٨ ـ ٢١١.

(٣) زيادة يقتضيها السياق ومن تحرير التحبير.

(٤) ورد في باب ـ صحة الأقسام ـ في تحرير التحبير، ص ١٧٣، وفي حسن التوسل، ص ٢٥٦ ـ ٢٦١.

وإلى ذلك أشار المتنبي بقوله:

وَقَــدْ أَرِدُ المِيَــاهَ بِغَيْــرِ هَــادٍ سِــوَى (عَـدِّي) لَهَـا بَـرْقَ الغَمَـامِ[(١)]

وأمّا الإرصاد: ويسميه بعضهم التسهيم[(٢)]، والصواب أنّه غيره.

فالإرصاد: أنّه يجعل المتكلم قبل العجز من الفقرة أو من البيت ما يدلّ عليه إذا عرف من الروي[(٣)]. مثاله في الفقرة قوله تعالى:

﴿**وَمَا كَانَ النَّاسُ إلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا**﴾ [يونس ١٠/١٩] الآية.

فإنّه لو لم يعرف أنَّ حرف الروي في هذه الآية (النون) لتوهم أنَّ العجز منها (فيما فيه اختلفوا) أو (فيما اختلفوا فيه) وكذا في هذه الآية فإنّه لمّا تقدَّم في الآية قبلها ﴿**وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ**﴾ [المؤمنون ٢٣/٢٧]، فلو لم يعرف أنَّ حرف الروي هو النون لتوهّم أنّ العجز منها وقيل بعداً للذين ظلموا، وللقوم الذين ظلموا.

ومنه قول البحتري:

أَحَلَّتْ دَمِي مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ وَحَرَّمَتْ بِـلا سَبَـبٍ يَـوْمَ اللِّقَـاءِ سَلاَمِـي
فَلَيْـسَ الَّــذِي حَلَّلْتِــهِ بِمُحَلَّــلٍ وَلَيْـسَ الَّـذِي حَـرَّمْتِـهِ بِحَـرَامٍ[(٤)]

---

(١) في الأصل والنسخة ـ ظ ـ (عدتي) وهو مخالف للديوان والكتب التي ورد فيها البيت. كما يخالف كلام المصنف قبل البيت حيث ذكر (العدّ). لذا صححناه، انظر شرح ديوان المتنبي: ٤/ ٢٧٣ ورد في تحرير التحبير، ص ١٧٣ وفي رواية الديوان (فقد أردُ). وحسن التوسل، ص ٢٥٧.

(٢) ذكره محمد الجرجاني في الإشارات، ص ٢٧١، وذكره ابن معصوم في أنوار الربيع تحت عنوان التسهيم، وذكر اختلاف أهل الفن في التسمية.
انظر أنوار الربيع: ٤/ ٣٣٦.

(٣) الروي: وهو حرف القافية الذي تبنى عليه القصيدة ويلزم في كل بيت منها في موضع واحد. انظر لسان العرب، روى: ١٤/ ٣٤٨ و٣٤٩.

(٤) البحتري ـ هو الوليد بن عبيد الطائي: وهو أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر عصرهم ولد بمنبج ٢٠٦هـ، ثم رحل إلى العراق فاتصل بالخلفاء، ثم توفي بمنبج ٢٨٤هـ، له ديوان شعر مطبوع، وله كتاب «الحماسة».
ترجمته: في الأعلام: ٨/ ١٢١، ووفيات الأعيان: ٢/ ١٧٥، ومفتاح السعادة: ١/ ١٩٣. وفي رواية الديوان (كلامي).
=

فإنَّ السّامع لو لم يعرف أنَّ القافية على نحو: كلام ونظام وعلام، لتوهَّم أنَّ العجز على ما تقدَّم في الصدر فيكون: وليس الذي حرمته (بمُحرّم)(١).

وأمَّا **التسهيم** فهو أن يتقدَّم في الكلام ما يدلّ على ما يتأخّر بالمعنى أو باللفظ، فتارةً يدلّ على عجز البيت والفقرة، وتارةً يدلّ على ما قبل ذلك، مأخوذ من (البُرد المسهّم) وهو المخطط الذي لا يتفاوت ولا يختلف(٢). فقد عَدَّ الإمام أبو حيان التسهيم في هذه الآية. قال: لأنّ أوّل الآية ﴿**يَا أرضُ ابْلَعِي**﴾ فاقتضى آخرها ﴿**وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي**﴾(٣).

ولـذا ذكـر ابـن أبـي الأصبـع التسهيـم فيها وقال: لأنَّ أوّل الآية إلى قوله «أقلعي» يقتضي آخرها(٤).

قال الشيخ شهاب الـدِّين محمود: ومنهم من يجعل التسهيم والتوشيح شيئاً واحداً، ويشرك بينهما بالتسوية.

قال: والفرق بينهما:

أنَّ التوشيح لا يَدُلُّكَ أوَّله إلاَّ على القافية.

= والبيتان من قصيدة له في مدح المتوكل العباسي مطلعها:

ألا هَـلْ أتَـاهَـا بـالمَغِيـب سَـلامـي ... وَهَـل خُبِّـرتْ وَجْـدِي بِهَـا وَغَـرَامِـي

ديوان البحتري: ٣/ ٢٠٠٠ ـ ٢٠٠١ تحقيق حسن صيرفي.

وقد ورد في تحرير التحبير، ص ٢٦٦، والصناعتين، ص ٣٨٣، والطراز: ٣/ ٣٢٧ ـ ونهاية الأرب: ٧/ ١٤٣، وفي رواية ابن منقذ في البديع، التسهيم، ١٢٧ (بمحرم) وكذا ابن القيم الجوزية في ـ الفوائد، المشوق إلى علوم القرآن، ص ٢٤٣.

(١) في الأصل (بحرم) وهو تحريف وقد صححناه بناء على النسخة ـ ظ ـ والسياق.

(٢) ورد في حسن التوسل مع اختلاف يسير. انظر حسن التوسل، ص ٢٦٦ وهو في نهاية الأرب: ٧/ ١٤٢، وتحرير التحبير، ص ٢٦٣ وأنوار الربيع: ٤/ ٣٣٦، والبديع لابن منقذ، ص ١٢٧.

(٣) النهر الماد من البحر لأبي حيان ـ هامش البحر المحيط: ٥/ ٢٢٧.

(٤) لم يذكرها في باب التسهيم لا في تحرير التحبير ولا في بديع القرآن، وإنما ذكرها في آخر أبواب تحرير التحبير ـ الإبداع ـ ص ٦١٣.
وذكرها في باب الإبداع من بديع القرآن، ص ٣٤٢.

والتسهيم تارةً يدلّ على عجز البيت وتارةً يدلّ على ما دون العجز[1].

قلتُ: فمن التوشيح قول زهير بن أبي سلمى:

سَئِمْتُ تَكَالِيفَ الحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشْ ثَمَانِينَ حَوْلاً لاَ أَبا لَكَ يَسْأَمِ[2]

وأمّا إيراد المثل[3] وهو أن يورد المتكلّم مثلاً في كلامه، كقوله ﷺ: «لاَ يُلْدَغُ المُؤمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَينِ»[4] وكقوله تعالى في الآية:

«وَقُضِيَ الأَمْرُ» وهو مثل مشهور لكل شيء تمَّ وفات تداركه.

وقوله تعالى: «وَقُضِيَ الأَمْرُ»، ﴿وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ [فاطر ٣٥/ ٤].

(١) حسن التوسل مع اختلاف يسير، ص ٢٦٦.
وقال ابن أبي الأصبع في تحرير التحبير:
والفرق بين التسهيم والتوشيح من ثلاثة أوجه:
أحدها: أن التسهيم يعرف به من أول الكلام آخره، ويعلم مقطعه من حشوه من غير أن تتقدم سجعة النثر ولا قافية الشعر. والتوشيح لا تعرف السجعة والقافية منه إلا بعد أن تتقدم معرفتهما.
والآخر: أن التوشيح لا يدلك أوله إلا على القافية فحسب، والتسهيم يدل تارة على عجز البيت وطوراً على ما دون العجز ـ بشرط الزيادة على القافية.
والثالث: أن التسهيم يدل تارة أوله على آخره، وطوراً آخره على أوله بخلاف التوشيح. انظر تحرير التحبير ـ باب التسهيم، ص ٢٦٧.

(٢) هو حكيم الشعراء في الجاهلية، وأحد أصحاب المعلقات، مطلعها: «أمن أم أوفى دمنة لم تكلم» مات ١٣ قبل الهجرة.
ترجمته في: معاهد التنصيص: ١/ ٣٢٧، والأغاني: ١٠/ ٢٢٨ ـ ٣٢٤، والأعلام: ٢/ ٥٢. انظر: شعر زهير ـ تحقيق فخر الدين قباوة، ص ٢٥.

(٣) بحثه صاحب حسن التوسل في باب حسن التضمين، ص ٢٣٨ ـ ٢٤٢ وبديع القرآن في الباب نفسه وكذا تحرير التحبير في باب حسن التضمين وقال فيه:
وهو أن يضمِّن المتكلم كلامه كلمة من بيت أو من آية أو معنى مجرداً من كلام أو مثلاً سائراً أو جملة مفيدة، أو فقرة من حكمة كقول علي عليه السلام في جواب كتابه لمعاوية: «وما الطلقاء وأبناء الطلقاء، والتمييز بين المهاجرين الأولين وتبيين درجاتهم وتعريف طبقاتهم، هيهات ـ لقد حنّ قدح ليس منها وطَفِقَ يحكمُ فيها من عليه الحكم لها» فضمّن كلامه هذا المثل. انظر تحرير التحبير، ص ١٤٠.

(٤) انظر البخاري: ٨/ ٣٨ وسنن ابن ماجة، الفتن: ٢/ ١٣١٨، ومسند أحمد: ٢/ ١١٥، وقد رواه أبو داود «لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين» سنن أبي داود: ٥/ ١٨٥.

ومنه قول الشاعر:

إذَا نَـزَلَ المَقْـدُورُ لاَ تَشْـكُ وَاصْطَبِـرْ فَمَا تَنْفَعُ الشَّكْوَى وَقَدْ قُضِيَ الأَمْرُ(١)

وقول المتنبي:

بِـذَا قَضَـتِ الأَيَّـامُ مَـا بَيْـنَ أَهْلِهَـا مَصَـائِبُ قَـومٍ عِنْدَ قَـوْمٍ فَـوَائِـدُ(٢)

وقول زهير:

وَمَنْ لاَ يَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلاَحِهِ يهـدم وَمَـنْ لاَ يَظْلِـمُ النَّـاسَ يُظْلَـم
وَمَنْ يَجْعَلِ المَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرضِهِ يعـز وَمَـن لاَ يَتَّـقِ الشَّتْـمَ يُشْتَـم(٣)

وأمّـا التجنيس وهـو تشـابه الكلمتين لفظاً وينقسم أقساماً كثيرة، ويتشعب شعباً كثيرة(٤): تامٌّ.

و(ناقص) ويسمَّى: المختلف.

و(زائد) ويسمَّى: المُذَيّل(٥).

---

(١) لم أعثر على قائله والبيت من شعر الحكمة.

(٢) البيت في شرح ديوان المتنبي: ١/٣٩٩، وحسن التوسل، ص ٢٤٢، ونهاية الأرب: ٧/١٢٧.

(٣) في رواية أخرى (ومن لم يذد) الديوان، ص ٨٨.
وفي الديوان البيت الأول متأخر عن الذي بعده هنا.
والمعنى: من ملأ حوضه، ولم يذد عنه، غشي واستضعف ـ وهذا مثل ـ وإنما يريد: من لم يدفع عن قومه انتهكت حرمته، وأذل.
«ومن لا يظلم الناس يظلم»: أي: من انقبض عنهم، وكف يده عن الامتداد إليهم رأوه مهيناً ضعيفاً فاستطالوا عليه وظلموه. انظر شرح الشنتمري للديوان، ص ٢٧.
وفي رواية الديوان رويت (يفره) بدل (يعز)، الديوان، ص ٨٧.
ويكون معنى البيت: من جعل المعروف بين عرضه وبين الناس، سلم عرضه من الذم وأصابه وافر.
ومن منع المعروف ولم يتّق الشتم شُتم.
انظر: شرح الشنتمري للديوان: / ٢٦ و٢٧.

(٤) بَحَثَ التجنيس: كتاب الصناعتين، ص ٣٥٣ والعمدة، ص ٧٠، ونهاية الأرب: ٧/٩٠، وتحرير التحبير، ص ١٠٢، وبديع القرآن، ص ٢٧، وبحثه في حسن التوسل، ص ١٨٣.

(٥) **التام**: (المستوفى): وهو أن يجيء المتكلم بكلمتين متفقتين لفظاً، مختلفتين معنى لا تفاوت في تركيبهما، ولا اختلاف في حركتهما.
=

و(مضارع)[1]: ويسمّى: المطرّف، (والمطمّع)[2]، و(لاحق)[3] و (مركب)[4] و (مزدوج)[5]: ويسمّى (المردّد)[6].

و(خطي): ويقال له المصحّف.

و(اشتقاقي): ويسمّى الاقتضاب[7].

و(مشوش)، و (قلبي): ويسمى المخالف، و(معنوي)[8].

وفي هذه الآية من ذلك التجنيس اللاحق وهو: أن يجمع بين كلمتين متجانستين لا تفاوت (بينهما إلاَّ بحرف سواء كان أولاً أو وسطاً أو آخراً، كقوله)[9] تعالى: ﴿هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ [الهمزة ١٠٤/١] [10]، وقوله في هذه الآية: «يَا أرضُ ابْلَعِي» «ويا سماء أقلعي»، وكقول عليّ رضي الله عنه:

= الناقص: (المختلف): وهو مثل الأول إلا أنه يخالفه: إمَّا في هيئة الحركة أو بالحركة والسكون.
المذيل: ويسمى (الزائد): وهو أن يجيء بكلمتين متجانستي اللفظ متفقتي الحركات غير أنهما تختلفان بحرف إما في آخرهما، وإما في أولهما.

(١) المضارع: وهو أن يجاء بالكلمة ويبدأ بأختها على مثل أكثر حروفها فتطمع في أنها مثلها، فتخالفها بحرف.

(٢) في الأصل (المطبع) وهو مخالف لأصل التسمية في حسن التوسل ونهاية الأرب وقد صححناه.

(٣) اللاحق: فإن كان التفاوت بغير الحروف المتقاربة سمي التجنيس لاحقاً.

(٤) والمركب: وهو على ضربين: الأول: ما هو متشابه لفظاً وخطاً، والثاني: ما هو متشابه لفظاً لا خطاً.

(٥) المزدوج: وهو أن يأتي في أواخر الأسجاع وقوافي الأبيات بلفظتين متجانستين إحداهما ضميمة الأخرى وبعضها.

(٦) في الأصل (المرود) وهو مناف للمعنى ومخالف لما في حسن التوسل ونهاية الأرب، وقد صححناه.

(٧) المصحف: ويقال له تجنيس الخط: وهو أن يأتي بكلمتين متشابهتين خطاً لا لفظاً، والاشتقاقي: وهو أن يجيء بألفاظ يجمعها أصل واحد في اللغة.

(٨) والمشوش: وهو كل تجنيس يتجاذبه طرفان من الصنعة فلا يمكن إطلاق اسم أحدهما عليه.
والمخالف: وهو أن تشتمل كل واحدة من الكلمتين على حروف الأخرى دون ترتيبها.
والمعنوي: وهو أن تكون إحدى الكلمتين دالة على الجناس بمعناها دون لفظها.
أخذت التعريفات من حسن التوسل، التجنيس، ص ١٨٣. ونهاية الأرب: ٧/ ٩٠ ـ ٩٨.

(٩) ما بين الحاصرتين غير واضح في الأصل بتأثير الرطوبة وقد اعتمدناه من النسخة (ظ).

(١٠) والتفاوت في الحرف الأول منهما.

«الدُّنْيا دَارُ مَمَرٍّ، والأُخْرى دَارُ مَقَرٍّ»(١).

وقـوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات ١٠٠/ ٧ و٨] (٢). ومن الآخر قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ﴾ [النساء ٤/ ٨٣] (٣)، وقولهم: (التَوَاضُعُ شَرَكُ الشَّرَف)(٤) قول الشاعر(٥):

نَظَرْتُ الكَثِيبَ الأيْمَنَ الفَرْدَ نَظْرَةً ... فَرَدَّتْ إليّ الطَّرْفَ يَدْمي وَيَدْمَعُ(٦)

قال الشيخ شهاب الدِّين محمود: «وإنَّما يحسُنُ التجنيس إذا قَلَّ، وأتى في الكلام عفواً من غير كدٍّ ولا استكرارة ولا بُعدٍ ولا ميل إلى جانب الركّة(٧)، ولا يكون كقول الأعشى(٨):

---

(١) ورد في حسن التوسل، ص ١٩٦ وفي نهاية الأرب: ٧/ ٩٦ وفيهما (الآخرة دار مقر) وفي نهج البلاغة: «الدُّنْيا دَارُ مَمَرٍّ إلى دَارِ مَقَرٍّ..».
نهج البلاغة، شرح محمد عبده: ٣/ ١٦٩.
وفي موضع آخر منه: «إنّما الدنيا دار مجاز، والآخرة دار قرار، فخذوا من ممرّكم لمَقَرّكم..» نهج: ٢/ ١٨٣.

(٢) العاديات: ١٠٠/ ٧ و٨ والتفاوت في الحرف الوسط (شهيد وشديد).

(٣) التفاوت في الآخر (أمر ـ الأمن).

(٤) في مجمع الأمثال للميداني «التواضع شبكة الشرف»: ١/ ١٥١. والتفاوت في الحرف الآخر (شرك ـ شرف).

(٥) هو الشريف محمد بن الحسين الرضي: وهو أشعر الطالبيين، مولده في بغداد ٣٥٩هـ ووفاته فيها ٤٠٦هـ، له ديوان شعر مطبوع، وكتب منها: «المجازات النبوية» و«مختار شعر الصابىء» و«خصائص أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب» وهو أعظم من جمع للإمام علي خطبه وكتبه وأقواله في كتاب سماه «نهج البلاغة». ترجمته في: وفيات الأعيان: ٢/ ٢، وتأريخ بغداد: ٢/ ٢٤٦، ويتيمة الدهر: ٢/ ٢٩٧، والذريعة: ٧/ ١٦، والأعلام: ٦/ ٩٩.

(٦) والبيت للشريف الرضي من قصيدة عينية قالها في التذكر والاشتياق مطلعها:

أقـولُ وَمَا حَنَّتْ بذِي الأَثْلِ نَاقَتِي ... قِري لا يَنَل مِنْكِ الحَنِينُ المرجّعُ

البيت في ديوان الشريف الرضي: ١/ ٦٥٤، والبديع لأسامة بن منقذ، ص ٢٣، وأنوار الربيع: ١/ ١٤٠.
وفي رواية الديوان وردت: (اليَومَ) بدل (الفَرْدَ).
وفيه أيضاً وردت: (تَرُدّ) بدل (فَرُدّت).

(٧) حسن التوسل، ص ١٩٨ ـ ١٩٩ مع اختلاف يسير وفي نهاية الأرب: ٧/ ٩٨، ونقلها: ابن معصوم في أنوار الربيع عن شهاب الدين. انظر أنوار الربيع: ١/ ٢٢٥.

(٨) هو أبو بصير ميمون بن قيس المعروف بـ (أعشى قيس) ويلقب بصناجة العرب لما في شعره من روعة=

وَقَـدْ غَـدَوْتُ إلـى الحَـانُـوتِ يَتْبَعُنِي شَـاوٍ مِشـلٌّ شَلِيـلٌ شُلشُـلٌ شَـوِلُ[1]

قـلتُ: وعـجب مـن قـول الزمخشري: «ولمَّا ذكرنا من المعاني والنكت استفصح علمـاء البيـان هـذه الآية ورقصوا لها رؤوسهم[2] لا لتجانس الكلمتين وهمـا (ابلعـي وأقلعـي) ـ وذلـك وإنْ كـان لا يُخلى الكلام من حسن فهو كغير الملتفت إليه بإزاء تلك المحاسن التي هي اللّب وما عداها قشور»[3] انتهى.

وأمّـا الطباق[4] ويسمَّـى المطـابقـة، والتكافؤ، والتضاد، وهو: أن يجمع المتكلِّـم بيـن ضـدَّيـن مختلفيـن، كـالإيـراد والإصدار واللَّيل والنَّهار، والسواد والبياض، والسماء والأرض مع مراعاة التقابل، فلا يجيءُ باسم مع فعل ولا بفعل مـع اسـم ومنـه قوله تعالى: ﴿**سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ القَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ**﴾ [الرعد ١٣/ ١٠] [5] وقوله تعالى في هذه الآية: ﴿**يَا أَرضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي**﴾ حيث طابق بذكر الأرض والسماء.

ومنه قول جرير:

وَبَـاسِـط خَيْـرٍ فِيكُـمُ بِيَمِينِـهِ وَقَـابِض شَـرٍّ عَنْكُـمُ بِشِمَـالِيَـا[6]

= وجرس تهز النفوس، طال عمره حتى ابيضت عيناه أدرك الإسلام ولم يوفق للإيمان، توفي قبيل فتح مكة.
ترجمته: في سرح العيون، ص ٤١٣، والأغاني: ٩/ ١٠٤، والشعر والشعراء، ص ١٧٨.

(١) الحانوت: بيت الخمار، (شاو): الذي يشوي اللحم.
المشل: سائق الإبل الخفيف الحركة، وشلول مثلها. وقد وردت هنا (شليل) شلشل: المتحرك بسرعة، الشول: الذي يحمل الشيء.
انظر: أنوار الربيع: ١/ ٢٢٥، وشرح الديوان، ص ٥٩، ونهاية الأرب: ٧/ ٩٨، وحسن التوسل، ص ١٩٨.

(٢) (رقصوا رؤوسهم): رفعوا رؤوسهم وخفضوها من الانبهار والتعجب ـ وهو من المجاز ـ أساس البلاغة، مادة رقص.

(٣) الكشاف للزمخشري: ٢/ ٢٧٢ مع اختلاف يسير.

(٤) بحثه حسن التوسل، ص ١٩٩ ونهاية الأرب: ٧/ ٩٨ و٩٩.

(٥) (سارب بالنهار): ظاهر بالنهار في سربه، انظر لسان العرب، مادة سَرَبَ: ١/ ٤٦٢.

(٦) هو جرير بن عطية بن حذيفة اليربوعي. من تميم ولد ٢٨هـ في اليمامة وكان من أشعر شعراء عصره وقد اشتهر بالهجاء وله نقائض مع الفرزدق، توفي ١١٠هـ.
ترجمته: وفيات الأعيان: ١/ ١٠٢، الأعلام: ٢/ ١١٩. =

(وقولي قديماً مع ما فيه من حسن التورية والإبهام:

قَـدْ جَمَـعَ الأَضْـدَادَ فِيـهِ أَنَّـهُ ... بَـرُّ اليَمِيـنِ وَكَفُّـهُ بَحْـرُ النَّـدا)[1]

قال ابن أبي الأصبع: «الطباق على ضربين: ضرب يأتي بألفاظ الحقيقة، وضرب يأتي بألفاظ المجاز، فما كان بلفظ الحقيقة سُمِّيَ (طباقاً)، وما كان بلفظ المجاز سمِّي (تكافؤاً)[2].

وأمَّا المقابلة[3] فهي أعمّ من الطباق، وقيل إنَّها أخصّ، وذلك أن تضع معاني تريد الموافقة بينها وبين غيرها والمخالفة فيأتي في الموافق بما وافق وفي المخالف بما خالف، أو يشترط شروطاً ويعدُّ أحوالاً في أحد المعنيين فيجب أن تأتي في الثاني بمثل ما شرطت وعددت، كقوله تعالى:

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بالحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِليُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ واسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بالحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل ٩٢/ ٥ ـ ١٠].

وكقوله في هذه **«يَا أَرضُ ابْلَعِي»** **«وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي»**.

ومنه قول الشاعر:

فَيَـا عَجَبـاً كَيْـفَ اتَّفَقْنَـا فَنَـاصِـحٌ ... وَفِـيٌّ وَمَطْـوِيٌّ عَلَـى الغِـلِّ غَـادِرُ[4]

= والبيت في ديوان جرير: ١٣/ ٥٠١، والبديع لابن منقذ، ص ١٢٨. والوجه البلاغي مقابلة وليس طباقاً.

(١) ما بين الحاصرتين غير واضح في نسخة الأصل وقد أثبتناه من النسخة ـ ظ ـ والبيت من البحر الكامل ويثني فيه على ممدوحه بأنه يَبَرُّ بيمينه ويتّسع كرمه كالبحر.

(٢) من تحرير التحبير، ص ١١١ مع اختلاف غير مخل.
ونقله عنه حسن التوسل، ص ٢٠١، ونهاية الأرب: ٧/ ١٠٠.

(٣) بحث المقابلة في حسن التوسل، ص ٢٠٢ و٢٠٣، ونهاية الأرب: ٧/ ١٠١ و١٠٢، وفي الإشارات والتنبيهات، ص ٢٦٢.

(٤) هو كثير بن عبد الرحمن الخزاعي، شاعر مشهور من أهل المدينة له ديوان شعر مطبوع، توفي ١٠٥هـ. ترجمته في الأعلام: ٥/ ٢١٩.
والكتب التي ورد فيها البيت تحرير التحبير، ص ١٨١، والإيضاح: ٦/ ١٨، ونهاية الأرب: ٧/ ١٠٩ وحسن التوسل، ص ٢٠٣، وأنوار الربيع: ١/ ٣٠٢، العمدة: ٢/ ١٤، ومعجم البلاغة: ١/ ٤٠٦.
والغلّ: العداوة والحقد والحسد. انظر لسان العرب، غَلَلَ: ١١/ ٤٩٩، وقد اعتمد جامع الديوان في نسبة البيت إلى كثير على عبارة ابن أبي الأصبع حيث قال: وأحسبه كُثَيِّراً. انظر ديوان كثير، ص ٥٢٨.

وأمّا المناسبة[1] فهي على ضربين: مناسبة في المعاني ومناسبة في الألفاظ.

فالمعنوية: «أن يبتدئ المتكلِّم بمعنى ثمَّ يتمِّم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ» وهو كثير في القرآن العظيم منه قوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِم مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ في مَسَاكِنِهِم إنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ أَفَلاَ يَسْمَعُونَ. أَوَلَمْ يَرَوا أَنَّا نَسُوقُ المَاءَ إلى الأَرْضِ الجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أنْعَامُهُم وأنْفُسُهُم أفَلاَ يُبْصِرُونَ**﴾ [السجدة ٣٢/ ٢٦ و٢٧][2].

فليُنظر إلى قوله تعالى وتقدّس في صدر الآية التي فيها الموعظة سمعية ﴿**أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ**﴾ وقال بعد ذكر الموعظة ﴿**أَفَلاَ يَسْمَعُونَ**﴾.

وقال في صدر الآية التي موعظتها مرئية: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوا**﴾ وقال بعد ذكر الموعظة: ﴿**أَفَلاَ يُبْصِرُونَ**﴾.

ومن هذه المناسبة المعنوية قول ابن رشيق[3]:

أَصَحُّ وأَقْوَى مَا رَوَيْنَاهُ في النَّدَى ... مِنَ الخَبَرِ المَأْثُورِ مُنْذُ قَدِيم
أحاديث ترويها السيول عن الحيا ... عن البحر عن جود الأمير تميم[4]

---

(١) بحثت في تحرير التحبير، ص ٣٦٣، وخزانة ابن حجة، ص ١٦٦، ونهاية الأرب: ٧/ ١٥٨، وحسن التوسل، ص ٢٨٨ ـ ٢٩٠، وأنوار الربيع: ٣/ ٣٦٤ ـ ٣٧٠.

(٢) والأرض الجرز: هي الأرض اليابسة التي لا نبات فيها من العطش.
انظر التفسير الكاشف: ٦/ ١٨٥.

(٣) هو أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، ولد ٣٩٠هـ في المسيلة مال إلى الأدب وقال الشعر، فرحل إلى القيروان ٤٠٦ ومدح ملكها ثم انتقل إلى صقلية وأقام بمازر. إلى أن مات ٤٦٣هـ، من كتبه: «العمدة في صناعة الشعر ونقده» و«قراضة الذهب» و«ديوان شعر» جمعه عبد الرحمن ياغي.
مصادر ترجمته: وفيات الأعيان: ١/ ١٣٣، وإنباه الرواة: ١/ ٢٩٨، والأعلام: ٢/ ١٩١.

(٤) الندى: السخاء والكرم. انظر لسان العرب، مادة ندي: ٢٥/ ٣١٥. والحيا: ما تحيا به الأرض وهو المطر. لسان العرب الياء/ الحاء: ١٤/ ٢١٥.
ينظر ديوان ابن رشيق القيرواني، ص ١٧٠ و١٧١، وفيه (ما سمعناه) بدل (ما رويناه) و(عن كف الأمير) بدل (عن جود الأمير).
وورد البيتان في: الطراز: ٣/ ١٤٧ والمطرب، ص ٤٠، والنتف، ص ٦٧ ومعاهد التنصيص، ص ٢٩١، والإيضاح: ٦/ ٢٢، ونهاية الأرب: ٧/ ١٥٨، وتحرير التحبير، ص ٣٦٦، الأمير تميم هو تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي، من ملوك الصنهاجية، ولد في المنصورية ٤٢٢هـ. وولاه أبوه=

فإنَّه وَفى المناسبة حقها في صحّة العنعنة[1] برواية السيول عن الحياة عن البحر وجعل الغاية فيها ـ جود الممدوح ـ.

ومن أحسن ذلك وألطفه ما أنشدناه صاحبنا الأديب الفاضل أبو عبدالله محمَّد الشرقي الأندلسي:

إنَّ جَمَّامَنَا الَّذِي نَحْنُ فِيهِ ... أيُّ مَاءٍ فيهِ وَأيَّةُ نَار
قَدْ وَرَدْنَا فِيهِ عَلَى ابنِ مُعينٍ ... وَرَوَيْنَا عَنْهُ صَحِيحَ البُخَارِي[2]

والمناسبة اللفظية:

توخي الإتيان بكلمات متَّزنات.

وهي أيضاً على ضربين: تامَّة وغير تامَّة.

فالتامة: أن تكون الكلمات مع الاتزان مقفاة، كما في قوله تعالى: **﴿ن والقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ. مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ وَإِنَّ لَكَ لأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾** [القلم ٦٨/١ ـ ٣] وفي قوله ﷺ فيما رَقَا بِهِ الحَسَنَ والحُسَينَ رَضي الله عنهما: «أُعِيذُكُما بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لامَّةٍ»[3].

= المهدية، ثم ولي الملك بعد أبيه ٤٥٤هـ. وقد توفي بالمهدية ٥٠١هـ. وكانت له عناية بالأدب ونظم الشعر وله ديوان.

ترجمته: مرآة الزمان: ٢٨/٨، والخلاصة النقية، ص٤٩، والنجوم الزاهرة: ١٩٨/٥، والأعلام: ٨٨/٢.

(١) العنعنة: هي مصدر عنعن، بمعنى قال: عن.. عن

وفي مصطلح أهل الحديث قول الراوي: فلان عن فلان. تيسير مصطلح الحديث، ص ٦٤. انظر في حسن التوسل، ص ٢٨٩، ونهاية الأرب: ١٥٨/٧ و١٥٩ مع اختلاف يسير.

(٢) ابن معين: هو يحيى بن معين بن عون البغدادي. من أئمة الحديث نعته الذهبي بسيد الحفاظ. وقال ابن حنبل أعلمنا بالرجال، ولد ١٥٨هـ ثم توفي في المدينة حاجّاً ٢٣٣هـ.

ترجمته: وفيات الأعيان: ٢١٤/٢، طبقات الحنابلة، ص ٢٦٨، الأعلام: ١٧٢/٨ و١٧٣.

البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري، صاحب «الجامع الصحيح» المعروف بصحيح البخاري. ولد في بخارى ١٩٤هـ، وقام برحلات في طلب العلم ومات في سمرقند ٢٥٦هـ.

ترجمته تذكرة الحفاظ: ١٢٢/٢، تهذيب التهذيب: ٤٧/٩، والأعلام: ٣٤/٦، ولم أعثر على ترجمة الشاعر ولا شعره.

(٣) الرقية: العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة كالحُمّى والصرع وغير ذلك من الآفات. انظر لسان العرب مادة رقي: ٣٣٢/١٤.

والهامّة: الدابّة. انظر لسان العرب مادة همم: ٦٢١/١٢.

فقـال ﷺ «لامّـة» ولم يقل «مُلمّة» مع أنّها القياس لأجل المناسبة اللفظيّة التّامّة[1].

ومنـه قـوله تعالى في هذه الآية: «يا أرض ابلعي» «يا سماء أقلعي» لم يقل أمسكي ونحوه للمناسبة اللفظيّة التّامّة، كما تقدّم الإشارة إليه في السؤال السابع.

والمناسبـة اللفظيـة الناقصـة: كـقـولـه ﷺ: «ألاَ أُخْـبِرُكُم بأحَبِّكُم إليَّ وأقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجَالِسَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟: أحَاسِنُكُم أخْلاقاً المُوَطَّئُونَ أكْتَافاً»[2].

وممّا جمع بين المناسبتين قوله ﷺ: «اللّهمّ إنّي أسْأَلُـكَ رَحْمَةً تَهْدِي بِهَا قَلْبِي وَتَجْمَعُ بِهَا أمْرِي وَتَلُمُّ بها شَعَثِي وَتُصلِح بِهَا غَائِبي وَتَرْفَع بِهَا شَاهِدِي، وَتُزَكِّي بِهَا عَمَلِي وَتُلْهِمُنِي بِهَا رُشْدِي وَتَعْصِمُنِي بِهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ[3] اللّهُمَّ إنِّي أسْأَلُكَ الفَوْزَ في القَضَاءِ وَنُزُلَ الشُّهَدَاءِ وَعَيْشَ السُّعَدَاءِ والنَّصْرَ عَلَى الأعْدَاءِ»[4].

فانظر كيف ناسب ﷺ بين (قلبي) و(أمري) و(غائبي) و(شاهدي) مناسبة غير تامّة لأنّها في الزِّنَةِ دون التَّقْفِيَةِ.

ثـمّ نـاسب بيـن (الشهـداء) و (السعـداء) و(الأعداء) مناسبة تامّة في الزِّنة والتّقْفية[5].

= واللامة: العين المصيبة وليس لها فعل، وهي التي تصيب بسوء.
انظر لسان العرب باب اللام، الميم: ١٢/ ٥٥١.
الحديث في سنن الترمذي ـ الطب: ٤/ ٣٩٦ والمستدرك: ٣/ ١٦٧.
وسنن أبي داود: ٥/ ١٠٤ و١٠٥ وسنن ابن ماجة: ٢/ ١١٦٤.
ومسند الإمام أحمد: ١/ ٢٣٦.

(١) حسن التوسل، ص ٢٩٠، ونهاية الأرب: ٧/ ١٥٩.

(٢) الرواية في مسند الإمام أحمد «ألا أخبركم بأحبكم إليّ وأقربكم منّي مَجْلساً يوم القيامة» فسكت القوم فأعادها مرتين أو ثلاثاً.
قال القوم نعم يا رسول الله قال: «أحْسَنُكُم خُلُقاً» المسند: ٢/ ١٨٥.

(٣) بينهما جمل أخرى والظاهر أنه حذفها للاختصار.

(٤) الجامع الصحيح للترمذي: ٥/ ٤٨٢، والبخاري: ٤/ ٣٦ و٣٧ والجامع الصغير: ١/ ٥٦.

(٥) الموضوع والأمثلة منقول من حسن التوسل، ص ٢٩٠، والكامل للمبرد: ١/ ٣، وورد في نهاية الأرب: ٧/ ١٥٨ و١٥٩.

وأمَّا **الإيضاح** وهو أن يذكر المتكلِّم كلاماً في ظاهره لبس ثمَّ يوضِّحه في بقية كلامه بما يزيل اللَّبس:

كقول الشاعر(١):

يُذَكِّرنِيكَ الخَيْرُ وَالشَّرُّ كُلُّهُ ... وَقِيلَ الخَنَا وَالعِلْمُ وَالحِلْمُ والجَهْلُ

فإنَّ هذا الشاعر لو اقتصر على هذا البيت لأشكل مراده والتبس على السامع من حيث إنَّه جمع بين ألفاظ المدح والهجاء فلمَّا قال بعده:

فَألْقَاكَ عَنْ مَكْرُوهِهَا مُتَنَزِّهاً ... وَألْقَاكَ في مَحْبُوبِهَا وَلَكَ الفَضْلُ(٢)

أوضح المعنى المراد وأزال اللبس ورفع الشكّ(٣).

ومنه في هذه الآية قوله: «لِلْقَوم»، أتى به ليبيِّن أنَّ القوم الذين سبق ذكرهم في الآية المتقدِّمة حيث قال: ﴿كُلَّما مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ [هود ١١/٣٨]، هم الذين وصفهم بالبعد ليُعلم أنَّ لفظة (القوم) ليست فضلة، وأنَّه يحصل بسقوطها لَبْسٌ في الكلام، كما تقدَّم في السؤال الحادي والعشرين.

وأمَّا **الإبداع**(٤) فهو أن يأتي في البيت الواحد من الشِّعر أو القرينة الواحدة

---

(١) هو مسلم بن الوليد، ولد في الكوفة حوالى منتصف القرن الثاني الهجري وقد لقب صريع الغواني فهو يقول:

تَرَكَتْنِي لَدَى الغَوَانِي صَرِيعاً ... فَلِهَذَا أُدْعَى صَرِيعَ الغَوَانِي

ترجمته: نهاية الأرب: ٣/ ٨٥.

(٢) ورد البيتان في تحرير التحبير وقد نسبهما إلى مسلم بن الوليد، وأوردهما حسن التوسل، ص ٣٠٤، ونهاية الأرب: ٧/ ١٦٩ ولم ينسباهما وأوردهما صاحب الطراز: ٣/ ١٠٢ ولم يَنسِبُهما. وكذا في أنوار الربيع: ٦/ ٣٣، وفي ذيل ديوان مسلم بن الوليد، ص ٣٣٣:

يُذَكِّرنيكَ الدِّينُ والفَضْلُ والحِجَا ... وَقيلُ الخَنَا والحِلْمُ والعلمُ والجهلُ
فألقاكَ عن مذمومها متنزهاً ... وألقاكَ في مَحْمُودها ولَكَ الفَضْلُ

وهناك روايات أخرى في الزهرة للأصبهاني، وزهر الآداب للحصري، وتأريخ بغداد للخطيب.

(٣) انظر تحرير التحبير، ص ٥٥٩، وحسن التوسل، ص ٣٠٤، ونهاية الأرب: ٧/ ١٦٩.

(٤) في الأصل وفي النسخة ظ (الإيداع)، وبعد مراجعة المصادر ظهر أن التعريف الوارد في تحرير التحبير وبديع القرآن وكلاهما لابن أبي الأصبع (الإبداع) بباء موحدة. بينما عُرِّف الإيداع: أن يعمد=

من النثر عدّة ضروب من البديع بحسب عدد كلماته أو جُمَلِهِ وربّما كان في الكلمة الواحدة المفردة ضربان من البديع، ومتى لم تكن كلّ كلمة بهذه المثابة فليس بإبداعٍ.

قال الزكيّ بن أبي الأصبع المصري في كتابه في البديع: وما رأيت فيما استقرأت من الكلام كآية[1] استخرجت منها من البديع أحداً وعشرين ضرباً من المحاسن وهي قوله تعالى: ﴿وَقِيْلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ..﴾ إلى آخرها وساق منها بعض ما ذكرناه، وزاد على ذلك:

الاحتراس[2]: في قوله تعالى: ﴿وَقِيْلَ بُعداً لِلْقَومِ الظَّالِمِيْنَ﴾.

قال: إذ الدّعاء عليهم مشعرٌ بأنّهم مستحقّو الهلاك احتراساً من ضعيف العقل يتوهَّم أنَّ العذاب شمل من يستحقّ ومن لا يستحقّ، فتأكّد بالدعاء كونهم مستحقين[3].

والتهذيب[4] [5] قال: لأنَّ مفردات الألفاظ موصوفة بصفات الحُسن، عليها

= الشاعر أو المتكلم إلى نصف بيت لغيره يودعه شعره سواء أكان صدراً أم عجزاً..» تحرير، ص ٣٨٠، وبذلك يظهر أن المقصود الإبداع وقد صححناه، وهو خطأ الناسخ بلا ريب.
انظر تحرير التحبير: ٤/٦١١ وحسن التوسل، ص ٣١٣، ونهاية الأرب: ٧/١٧٥ و١٧٦، وأنوار الربيع: ٥/٣٢٨ ـ ٣٣٢.

(١) في بديع القرآن: وما رأيت ولا رويت في الكلام المنثور والشعر الموزون كآية من كتاب الله تعالى...».
انظر بديع القرآن، ص ٣٤٠ و٣٤١.

(٢) وعرّفه في تحرير التحبير: «وهو أن يأتي المتكلم بمعنى يتوجه عليه دخل فيفطن له، فيأتي بما يخلصه من ذلك..» تحرير، ٢٤٥، وورد في البديع لابن منقذ، ص ٥٥.

(٣) قال في بديع القران بعد أن عرّف الاحتراس: «... فإنه سبحانه لما أخبر بهلاك من هلك بالطوفان أعقبه بالدعاء على الهالكين ووصفهم بالظلم ليُعلم أن جميع من هلك كان مستحقاً للهلاك احتراساً من ضعيف يتوهم أن الهلاك بعمومه قد شمل من لا يستحق العذاب، فلمّا دعا على الهالكين عُلم أن كل من هلك كان مستحقاً للهلاك...» بديع القران، ص ٩٣ و٩٤.

(٤) لم يتطرق إلى الآية في بحثه للتهذيب وإنما ذكرها في الإبداع مع اختلاف في الألفاظ، بديع القرآن، ص ٣٤٢.

(٥) وعرف التهذيب «عبارة عن ترداد النظرفي الكلام بعد عمله لينقّح ويُتنبه منه لما مر على الناثر أو=

رونق الفصاحة، سليمة من التعقيد، والتقديم والتأخير.

والتمكين[١]: **قال**: لأنَّ الفاصلة مستقرَّة في قرارها، مطمئنة في مكانها.

وحسن النسق[٢] قال: لأنَّه سبحانه عطف القضايا بعضها على بعض بحسن ترتيب.

والائتلاف[٣] أي ائتلاف اللفظ مع المعنى. قال: لأنَّ كلّ لفظة منها لا يصلح موضعها غيرها[٤].

والمساواة[٥]: لأنَّ لفظ الآية مساوٍ لمعناها.

والانسجام: وهو تحدر الكلام بسهولة كما ينسجم الماء[٦].

وقد ذكر الشيخ أبو حيَّان هذا في تفسيره، وزاد فقال والذمّ[٧]. في قوله: ﴿**بُعْداً لِلْقَومِ الظَّالِمِين**﴾.

= الشاعر حين يكون مستغرق الفكر في العمل فيغير منه ما يجب تغييره، ويحذف ما ينبغي حذفه، ويصلح ما يتعين إصلاحه ويكشف عما يشكل عليه من غريبه وإعرابه، ويحرر ما لم يتحرر من معانيه وألفاظه، حتى تتكامل صحته وتروق بهجته»، تحرير التحبير، ص ٤٠١. وورد في البديع لابن منقذ، ص ٢٩٥.

(١) التمكين: وهو عبارة عن أن يمهد الناثر للقرينة والشاعر للقافية تمهيداً تأتي به القرينة والقافية متمكنة في مكانها، مستقرة في قرارها، مطمئنة في موضعها، متعلقاً معناها بمعنى الكلام كله تعلقاً تاماً...» أنوار الربيع: ٦/ ١٥١، وبحثه في خزانة الحموي، ص ٥٣٥.

(٢) حسن النسق: وهو أن تأتي الكلمات من النثر والأبيات من الشعر متتاليات متلاحمات تلاحماً سليماً...» من تحرير التحبير، ص ٤٢٥، وهو: في أنوار الربيع: ٦/ ١٣٢.

(٣) الائتلاف: أن تكون ألفاظ الكلام ملائمة للمعنى المراد منه، فإن كان فخماً كانت ألفاظه فخمة، أو غريباً فغريبة، أو متداولاً فمتداوله أو متوسطاً بين الغرابة والاستعمال فكذلك. انظر أنوار الربيع: ٦/ ٢١٧، وبحثه تحرير التحبير، ص ١٩٤، وخزانة الحموي، ص ٥٣٣.

(٤) نقله من بديع القرآن، ص ٣٤٢ بتصرف.

(٥) انظر: تحرير التحبير، ص ١٩٧، وأنوار الربيع: ٦/ ٣١٤، وخزانة الحموي، ص ٥٦١.

(٦) انظر: تحرير التحبير، ص ٤٢٩، أنوار الربيع: ٤/ ٥، البديع في نقد الشعر، ص ١٣١، وبديع القرآن، ص ٣٤٢.

(٧) النهر الماد، هامش البحر المحيط وكلاهما لأبي حيان: ٥/ ٢٢٧.
وقال فيه: «وهو أيضاً ذم لهم ودعاء عليهم».

قُلت: كذا ذكر ولا أعلم الذم بمفرده ذكره أحد في أنواع البديع، والله أعلم.

قال: **والوصف**.

وهو: قَصُّ القصَّة ووصفها بأحسن وصف بحيث استعمل نعوت ألفاظها وصفات معانيها[١].

فما أعظم إعجازها من آية عدَّة ألفاظها تسع عشرة لفظة[٢] جمعت هذه الأنواع وحوت علوماً لم تقرع الأسماع، واشتملت على فنون العلوم، ولعلَّ ما غاب عنَّا فيها من المنطوق والمفهوم أضعاف ما ذكرنا، وأمثال ما بينَّا.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) في تحرير التحبير وبديع القرآن ونقله في حسن التوسل، ص ٣١٥، ونهاية الأرب: ٧/ ١٧٧: «عدة ألفاظها سبع عشرة لفظة».

وفي النهر الماد: «عدة ألفاظها تسع عشرة لفظة فيها أحد وعشرون نوعاً من البديع» هامش البحر: ٥/ ٢٢٧.

وفي أنوار الربيع لابن معصوم: فإنها اشتملت على ثلاثة وعشرين نوعاً من البديع وهي سبع عشرة لفظة حيث زاد:

«**حسن البيان**: لأن السامع لا يتوقف في فهم الكلام ولا يشكل عليه شيء».

والتعريض: فإنه تعالى عرض بسالكي مسلكهم في تكذيب الرسل ظلماً، وأن الطوفان وتلك الأمور الهائلة ما كانت إلا لظلمهم، أنوار الربيع: ٥/ ٣٣٠.

فصل في بيان إعجاز القرآن العظيم
- وهو الخاتمة لهذا الكتاب -

أجمع المسلمون على اختلافهم في الملل والنحل على أنَّ القرآنَ معجزٌ، وأنَّ الإنس والجنَّ لم يقدروا على أن يأتوا بكلام يشبهه أو يقاربه في قليلٍ منه ولا كثير.

والدَّليلُ على كونه مُعجزاً: أنَّ العرب العرباء الذين بُعث فيهم النبيُّ ﷺ - وكانوا أفصحهم لساناً وأكملهم بلاغةً وبياناً - تُحُدُّوا إلى معارضته فلم يأتوا بها، ولولا عجزهم عنها لكان محالاً أن يتركوها ويعرِّضوا أنفسهم لإزهاقها ويقتحموا موارد الموت بإقامة الحرب على ساقها.

ثمَّ إنَّ التحدي بالقرآن جاء على وجوه:

أحدها: ﴿فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ هُوَ أَهْدَى﴾ [القصص ٢٨/ ٤٩].

ثانيها: ﴿لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ [الإسراء ١٧/ ٨٨].

ثالثها: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾ [هود ١١/ ١٣].

رابعها: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ [يونس ١٠/ ٣٨].

خامسها: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ [البقرة ٢/ ٢٣].

يعني إن حصل لكم رَيْبٌ وشَكٌّ في القرآن وصِدْقِ من جاء به، وأنَّه لم يكن من كلام الله تعالى بل هو مفتعل ومختلق له من تلقاء نفسه، فأتوا بأدنى جزء من مثله. وهذا كمن يتحدَّى صاحبه بتصنيفه فيقول: جِيءْ بمثله، إيتني بنصفه، إيتني بربعه، إيتني بمسألة من مثله. فإنَّ هذا هو النهاية في التحدِّي، وإزالة العذر.

ولا شك أنَّ هذا في الحقيقة خطاب لأهل الأرض أجمعين، ومن المحال أن يأتي واحد منهم بكلام يفتعلُهُ ويختلقُهُ ثمّ يطالب أهل الأرض بأجمعهم أن يعارضوه في أيسر جزءٍ منه يكون مقداره عشر كلمات من عدّة ألوف ألوف، ثم يعجز الخلائق كلُّهم عن ذلك حتى أنَّ الذين راموا معارضته كان ما عارضوا به من أقوى الأدلة على صدقه وأعظم البراهين على مدّعاه فإنهم أتوا بشيء يستحيي العقلاء من سماعه، ويقطعون بفظاعته وسماجته[1] وقبح ركاكته وخسَّته. فكان كمن أظهر طيباً لم يشم أحد مثل طيب ريحه وتحدَّى جميع الخلق ملوكهم، وسوقتهم وعامتهم وخاصتهم، بأن أأتُوا بذرّة طيب مثله فاستحيى العقلاء وعرفوا عجزهم. وجاء الحَمْقَى والمجانين بعَذْرةٍ خبيثة مُنتنة، وقالوا: قد جئنا بمثل ما جئت به! فهل يزيد هذا ما جاء به إلاّ قوةً وبرهاناً وعظمةً وجلالةً؟

ثمَّ إنَّه تعالى لم يكتفِ بهذا التقريع والتوبيخ والتعجيز حتى أكّده بقوله: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِنْ دُونِ اللهِ﴾ [البقرة ٢/ ٢٣] ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس ١٠/ ٣٨]. وخطابه لأهل الأرض جميعهم، كما يقول المعجز لمن يدعي (مناوءته)[2] أجهد بكل من تقدر عليه من أصحابك وأعوانك وأوليائك ولا تبقِ منهم أحداً حتى تستعين به فهذا لا يقدم عليه إلاَّ أجهل العالم وأسخفه عقلاً وأحمقه إن كان غير واثق بصحَّة ما يدَّعيه، أو أكملهم وأفضلهم وأصدقهم وأوثقهم بما يقوله. هذا والنَّبي ﷺ يقرأ هذه الآيات على أصناف الخلائق؛ أمِّيهم وكاتبهم، وعربهم وعجمهم، ويقول: (لن تستطيعوا ذلك ولن تفعلوه أبداً)[3].

فيعدلون معه إلى الحرب والرضا بقتل الأحباب.

فلو قدروا على الإتيان بسورة واحدة من أقصر السور مثل (الكوثر) و (العصر) مثلاً لم يعدلوا عن ذلك إلى اختيار المحاربة وإيتام الأولاد وقتل

---

(١) سمج الشيء: قَبُحَ ولم يكن فيه ملاحة. انظر لسان العرب مادة سَمَجَ: ٢/ ٣٠٠.

(٢) في نسخة الأصل ونسخة ـ ظ ـ (مفاوتة)، وهو تصحيف وما ثبتناه هو المناسب للسياق.

(٣) لم أعثر على حديث بهذا اللفظ ولعلّه يعبِّر عن لسان الحال.

النفوس والإقرار بالعجز عن معارضته، وتقدير النبوة بهذه الآيات له وجوه متعددة هذا أحدها.

وثانيها: إقدامُهُ ﷺ على هذا الأمر وإسجاله[1] على الخلائق إسجالاً عاماً إلى يوم القيامة، أنهم (لن)[2] يفعلوا ذلك أبداً فهذا أيضاً لا يقدم عليه ويخبر به إلاً عن علم لا يتخالجه[3] شك مستند إلى وحي من الله تعالى، وإلاً فعلم البشر وقدرتهم يضعفان عن ذلك.

وثالثها: النظر إلى نفس ما تحدَّى به وما اشتمل عليه من الأمور التي يعجز قويُّ البشر عن الإتيان بمثله، الذي فصاحته ونظمه وبلاغته فرد من أفراد إعجازه.

وهذا الوجه يكون معجزة لمن سمعه وتأمَّله وفهمه (والوجهان الأولان يكونان)[4] معجزة لكل من بلغه خبره ولو لم يفهمه ويتأمّله.

فتأمّل هذا الموضع من إعجاز القرآن تعرف به قصور كثير من المتكلمين في شأن إعجاز القرآن، فقد اختلفوا في وجه إعجازه **على ستة أقوال**:

أحدها: قول النظام[5] وأصحابه وهو أنَّ الله تعالى ما أنزل القرآن ليكون حجَّة على النبوَّة بل هو كسائر الكتب المنزلة لبيان الأحكام من الحلال والحرام، والعرب إنَّما لم يعارضوه لأنَّ الله تعالى صرفهم عن ذلك وسلب قدرتهم[6]، وهذا باطل من ثلاثة وجوه:

---

(١) أسجل الأمر للناس أطلقه لهم، انظر اللسان، مادة سجل: ٢/٣٢٦.

(٢) في الأصل والنسخة ظ (لم) وهو ينافي سياق كلامه وقد صححناه.

(٣) تخالجته الشكوك: تنازعته، لا يتخالجه شك: لا يشك.
انظر لسان العرب: مادة خلج: ٢/٢٥٨.

(٤) في الأصل والنسخة ـ ظ ـ (والوجهين الأولين يكون) والصواب ما ثبتناه.

(٥) هو إبراهيم بن سيار بن هانئ البصري، أبو إسحاق النظام، من أئمة المعتزلة تبحّر في علوم الفلسفة، وانفرد بآراء خاصة تابعته فيها فرقة من المعتزلة سميت «النظامية». مات سنة ٢٣١هـ.
ترجمته: في الأعلام: ١/٤٣، وخطط المقريزي: ١/٣٤٦، وأمالي المرتضى: ١/١٣٢.

(٦) انظر الحيوان: ٤/٨٩.
وقد نسبه صاحب الطراز إلى النظام وأبي إسحق النصيبي من المعتزلة وإلى الشريف المرتضى من الشيعة الإمامية. الطراز: ٣/٣٩١.

أحدها: أنّ عجز العرب لو كان للصرف عنها بعد أن كانوا قادرين عليها لما كانوا يستعظمون فصاحة القرآن، بل ينبغي أن يكون تعجُبهم من تعذّر ذلك عليهم بعد أن كان مقدوراً لهم، كما أنَّ نبينا ﷺ لو قال: معجزتي أن أضع يدي على رأسي هذه الساعة ويكون ذلك متعذراً عليكم ويكون الأمر كما قال لم يكن تعجب القوم من وضعه يده على رأسه بل من تعذُّر ذلك عليهم.

ولمّا عُلِمَ بالضرورة أن تعجب العرب كان من فصاحة القرآن نفسها بطل ما قاله النظام ومن قال بقوله.

الثاني: لو كان كلامهم مقارناً في الفصاحة قبل التحدّي لفصاحة القرآن لوجب أن يعارضوه بذلك وكان الفرق من كلامهم بعد التحدّي، ولمّا لم يكن ذلك بطل ذلك.

الثالث: إنَّ نسيان الصيغة المعلومة في مدَّة يسيرة تدلّ على زوال العقل، ومعلوم أنَّ العرب ما زالت عقولهم بعد التحدِّي فبطل قول النظامية ومن وافقهم.

والقول الثاني: أنّ إعجاز القرآن في أنّ أسلوبه مخالف لأسلوب الشعر والخطب والرَّسائل سيّما مطالع السور ومقاطع الآي مثل: يعملون وتؤمنون وهذا أيضاً باطل من خمسة أوجه، ذكرها أيضاً الإمام فخر الدين[1]:

أحدها: لو كان الابتداء بالأسلوب معجزاً لكان الابتداء بأسلوب الشعر معجزاً.

الثاني: إنّ الابتداء بالأسلوب لا يمنع الغير من الإتيان بمثله.

الثالث: يلزم أنَّ الذي تعاطاه (مُسَيْلَمَةُ)[2] في:

---

(١) لم أعثر على رأي الرازي عندما تكلم حول الآيات المتعلقة بالإعجاز.

(٢) هو مسيلمة بن ثمامة الحنفي الوائلي، ولد ونشأ باليمامة في نجد. وقد ادّعى النبوّة، وأكثر من أسجاع ادعى بها مضاهاة القرآن، وقد توفي النبي ﷺ قبل القضاء على فتنته ثم انتدب الخليفة جيشاً قوياً ظفر به وقتله سنة ١٢هـ.

ترجمته: الكامل: ١٣٧/٢، فتوح البلدان: ٩٤، شذرات الذهب: ٢٣/١، الأعلام: ٢٢٦/٧.

(إنا أعطيناك الجماهر فصلِّ لربِّك وهاجر)، وكذلك (والطاحنات طحنا) في أعلى مراتب الفصاحة[1].

الرابع: إنّا لمّا فاضلنا بين قوله تعالى: ﴿**وَلَكُمْ في القِصَاصِ حَيَاة**﴾ [البقرة ٢/ ١٧٩] وبين قولهم: (القَتْلُ أنْفَى لِلْقَتْلِ) لم تكن المفاضلة بسبب الوزن والإعجاز، إنَّما يتعلَّق بما به ظهرت الفضيلة[2].

الخامس: إنَّ وصف العرب القرآن بقولهم: (إنّ لَهُ لَحَلاَوَةً، وإنّ عَلَيْهِ لَطَلاَوة)[3] لا يليق بالأسلوب.

والقول الثالث: أنَّ الإعجاز في أنَّه ليس فيه اختلاف تباين وتناقض. وهذا أيضاً باطل لأنّ التحدِّي كما وقع بالقرآن كلّه فقد وقع بالسورة، وقد يوجد في خطبهم ما مقداره مقدار سورة الكوثر ولا يكون فيه اختلاف وتناقض[4].

والقول الرابع: أنَّ وجه إعجازه هو اشتماله على الغيوب[5]. وهذا أيضاً باطل لأنَّ الغيوب التي أخبر عنها القرآن لم تقع كلّها في زمن النَّبي ﷺ بل جاء به على ممر الزمان[6] على طرق كشفت لنا[7] سُوراً من القرآن اشتملت على تلك الغيوب، فلو كانوا مطلوبين بأن يأتوا بسورة من مثله مخبرة عن غيب سيكون، لنازعوا في كون ذلك، ولم يسلموا صدقه.

وجواب ثانٍ: وهو أنه قيل لهم: ﴿**فأتوا بسورة**﴾ وليس كل سورة للقرآن فيها الإخبار عن الغيوب. إنما ذلك في بعض السور دون بعض[8].

---

(١) الطراز: فصل إعجاز القرآن: ٣/ ٣٩٥ ـ ٣٩٧.

(٢) بحثه بإسهاب مُبيِّناً فضل الآية على قولهم من وجوه كثيرة ـ صاحب روح المعاني في تفسيره. انظر روح المعاني: ٢/ ٥١.

(٣) قالها الوليد بن المغيرة.
انظر مفتاح العلوم، ص ٥١١، ونهاية الأرب: ٧/ ٥.

(٤) مفتاح العلوم، ص ٥١٢.

(٥) ينظر الطراز: ٣/ ٣٩٨.

(٦) (على ممر الزمان) مكررة في ظ.

(٧) في نسختي المخطوط (كشفت لنا تلك القرآن سوراً) وقد أسقطنا (تلك القرآن) لأنها زيادة مخلّةٌ بالمعنى.

(٨) مفتاح العلوم، ص ٥١٢.

القول الخامس: وهو الذي عليه الجمهور أن إعجازه في فصاحته وبلاغته وما خصّ به من النظم العجيب والأسلوب الغريب والوصف البديع ومباينته لكلام الجميع لا يشبه شيئاً من كلام البشر، ولا تماثله بلاغة من تقدَّم أو تأخَّر.

القول السادس: اختيار العلاَّمة السكاكي وتبعه كثير من المتأخِّرين المحقِّقين، فقال في آخر التكملة[(١)]:

إنَّ وجه إعجازه هو أمر من جنس البلاغة والفصاحة كما تجده أرباب الذوق[(٢)].

وقال في المفتاح: «اعلم أنَّ شأن الإعجاز عجيب، يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها أو كالملاحة.

ومدرك الإعجاز عندي هو الذوق ليس إلاَّ وطريق اكتساب الذوق طول خدمة هذين العلمين.

نعم، للبلاغة وجوه متلثمة، وبما تيسَّرت إماطة اللثام عنها يتجلى عليك، أمَّا نفس الإعجاز فلا»[(٣)].

قلت: صدق رحمه الله وبرّ، وأدرك الحق واستقرَّ، فإنّ من محاسن الكلام ما لا يحكم في امتزاجه غير الذوق الصحيح، كما قال الشاعر:

شَــيءٌ بِـهِ فُتِـنَ الـوَرَى غَيْـرُ الّـذِي ... يُدْعَى الجَمَالَ وَلَسْتُ أدْرِي مَا هو[(٤)]

والقول السابع: ممّا ظهر لي ولعلَّه أحسن الوجوه وأقربها وأولاها بالإعجاز وأنسبها. وهو أنّه مع ما اشتمل عليه من البلاغة والفصاحة والذوق والملاحة إلى غير ذلك، أنّ كل حرف من حروفه وكلّ كلمة من كلماته لا يصلح أن يكون

---

(١) تكملة علم المعاني في مفتاح العلوم، ص ٥١٢.
(٢) العبارة في المفتاح: (ما يجده أصحاب الذوق من أن وجه الإعجاز: وهو أمر من جنس البلاغة والفصاحة) المفتاح، ص ٥١٢.
(٣) مفتاح العلوم: ٤١٦ وفيه بعض العبارات مرتبكة.
(٤) لم أعثر عليه ولا على قائله في المصادر.

(في)[1] مكانها وموضعها الذي وقعت فيه غيرها، وهذا شيء لا يدركه إلاّ من وهبه الله ذهناً ثاقباً وقدماً في الإدراك راسخاً، وممارسة لعلوم البلاغة، وتحقيقاً لأسرار كلام العرب، وتدقيقاً من ضروب فنون الأدب، ولا يوصل إلى ذلك إلاّ بإنعام النظر في المعاني والبيان، ولا يقف على كنهه من تطبع القول بالتفنن فإنّه عصا العميان، وهذا ممّا أهمله أهل التفسير، لأنَّ الوقوف على غايته عسير.

ولعمري أنّ الاعتناء به لجدير، فإنّ به ينحلُّ ما أشكل من متشابه القرآن، ويقوم به على وجه إعجازه البرهان، ويندفع به شبه أهل الإلحاد والطغيان، حيث زعموا: أنَّ القصة الواحدة تقع في مواضع متعددة بألفاظ مختلفة ليس إلى الجمع بينها إمكان.

قالوا: وهذا عين الاختلاف المنفي بلو كان كمثل قوله تعالى في البقرة: ﴿يذبحون أبناءكم﴾ [البقرة ٢/ ٤٩]، بغير واو. وفي الأعراف: ﴿يقتلون﴾ [الأعراف ٧/ ١٤١] كذلك، وفي إبراهيم: ﴿ويذبحون﴾ [إبراهيم ١٤/ ٦] بالواو. وكقوله في البقرة والأعراف: ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف ٧/ ١٦٠، والبقرة ٢/ ٥٧] وفي آل عمران: ﴿وَلَكِنْ أَنْفُسَهُم يَظْلِمُونَ﴾ [آل عمران ٣/ ١١٧] وفي البقرة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ القَرية فَكُلُوا﴾ [البقرة ٢/ ٥٨] بالفاء، وفي الأعراف بالواو، وفيها: ﴿وَإِذْ قِيْلَ لَهُمُ اسْكُنُوا﴾ [الأعراف ٧/ ١٦١]، وزاد في البقرة: ﴿رَغَداً﴾ [البقرة ٢/ ٥٨].

وقدم في البقرة: ﴿وَادْخُلُوا البَابَ سُجَّداً﴾[2]، وأخّره في الأعراف[3].

وفي البقرة: ﴿وَسَنَزِيْدُ﴾[4] بالواو وفي الأعراف بغير واو[5].

وفي البقرة: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً﴾ [البقرة ٢/ ٥٩] وفي الأعراف: ﴿ظَلَمُوا مِنْهُم قَوْلاً﴾[6]، وفي البقرة: ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِيْنَ ظَلَمُوا﴾ ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسِقُونَ﴾[7]

---

(١) في الأصل (من) وما أثبتناه من النسخة ـ ظ ـ وهو المناسب للسياق.
(٢) ﴿.. وادخلوا البَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّة..﴾ [البقرة ٢/ ٥٨].
(٣) ﴿... وقولوا حطة وادخلوا الباب سجداً..﴾ [الأعراف ٧/ ١٦١].
(٤) ﴿.. وسنزيد المحسنين﴾ [البقرة: ٢/ ٥٨].
(٥) ﴿... سنزيد المحسنين﴾ [الأعراف ٧/ ١٦١].
(٦) ﴿فَبَدَّلَ الذين ظلموا منهم قولاً...﴾ [الأعراف ٧/ ١٦٢].
(٧) ﴿... فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون﴾ [البقرة ٢/ ٥٩].

وفي الأعراف: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾ ﴿بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾[١]، وفي البقرة: ﴿فَانْفَجَرَتْ﴾[٢] وفي الأعراف: ﴿فَانْبَجَسَتْ﴾[٣]، والقصة في السورتين واحدة.

وكقوله: ﴿وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [الأنعام ٦/ ٣٢] قدَّم اللعب على اللهو ـ في موضعي الأنعام[٤] ـ وكذا في القتال[٥] والحديد[٦]. وقدم اللهو في الأعراف[٧] والعنكبوت[٨].

وكقوله في الأعراف في قصَّة ثمود: ﴿وَتَنْحِتُونَ الجِبَالَ﴾[٩] وفي غيرها: ﴿مِنَ الجِبَالِ بُيُوتاً﴾[١٠]، والقصة واحدة.

وقال في قصة ثمود وشعيب في الأعراف:

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فأَصْبَحُوا في دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [الأعراف ٧/ ٧٨، ٩١].

(وفي القصتين من هود ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِم. .﴾ [هود ١١/ ٦٧])[١١] وقال في الأعراف في قصة لوط: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ [الأعراف ٧/ ٨١] اسماً.

وفي النمل: ﴿قَوْمٌ تَجْهَلُونَ. .﴾ [النمل ٢٧/ ٥٥] فِعلاً.

وفي الأعراف: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ [الأعراف ٧/ ٨٢] بالواو، وفي غيرها «فما»[١٢] بالفاء وفي الأعراف: ﴿أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ﴾ [الأعراف ٧/ ٨٢].

---

(١) ﴿. . . فأرسلنا عليهم رجزاً من السماء بما كانوا يظلمون﴾ [الأعراف ٧/ ١٦٢].
(٢) ﴿. . . فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً. .﴾ [البقرة ٢/ ٦٠].
(٣) ﴿. . . فانبجست منه اثنتا عشرة عيناً. .﴾ [الأعراف ٧/ ١٦٠].
(٤) ﴿وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرتهم الحياة الدنيا﴾ [الأنعام ٦/ ٧٠].
(٥) ﴿إنما الحياة الدنيا لعب ولهو﴾ [سورة محمد (القتال) ٤٧/ ٣٦].
(٦) ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة﴾ [الحديد ٥٧/ ٢٠].
(٧) ﴿الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا﴾ [الأعراف ٧/ ٥١].
(٨) ﴿وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب﴾ [العنكبوت ٢٩/ ٦٤].
(٩) ﴿. . وتنحتون الجبال بيوتاً﴾ [الأعراف ٧/ ٧٤].
(١٠) ﴿وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين﴾ [الحجر ١٥/ ٨٢].
(١١) ما بين الحاصرتين ساقط من النسختين وثبتناه بناء على التفصيل بعده وبه يستقيم الكلام.
(١٢) النمل ٢٧/ ٥٦ وفيها: «فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ. .».

وفي النمل: ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ﴾ [النمل ٢٧/ ٥٦] والقصة واحدة.

وقال في الأنعام: ﴿قُلْ سِيْرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا﴾ [الأنعام ٦/ ١١].

وفي غيرها: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا﴾ [النمل ٢٧/ ٦٩].

وقال في هود: ـ في قصة شعيب ـ ﴿إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [هود ١١/ ٩٣] بغير فاء.

وفي غيرها: ﴿إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام ٦/ ١٣٥، والزمر ٣٩/ ٣٩] بالفاء.

وقال في قصة موسى وفرعون في الأعراف ويونس وطه والشعراء، بألفاظ مختلفة من زيادة ونقص وتقديم وتأخير والقصة واحدة.

وكذا ما وقع في قصة آدم من اختلاف الألفاظ إلى غير ذلك ممّا يعسر حصره ولا يسع هذا المكان ذكره.

استوعبنا ذلك في كتابنا (بيان متشابه القرآن بما ترك الملحد في ضلاله حيران)[1]. إذ بيان ذلك من أعظم أسرار التنزيل، الذي هو بمعنى الإعجاز كفيل وأوضح سبيل:

وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الأَذْهَانِ شَيءٌ ... إذا احْتَاجَ النَّهارُ إِلى دَلِيْلِ[2]

فأما قوله تعالى في البقرة: ﴿يُذَبِّحُونَ (أَبْنَاءَكُمْ)﴾[3] بغير (واو) وكذا في الأعراف: ﴿يُقَتِّلُونَ﴾[4] ومجيئه ﴿وَيُذَبِّحُونَ﴾[5] ـ بالواو ـ في (ابراهيم) فلأنَّ حرفي (البقرة) و (الأعراف) من قول الله تعالى لم يقصد به تعديد النعم بل التذكير بجنس النعمة، وهذا حاصل بدون الواو.

---

(١) لم تشر إليه المصادر.

(٢) البيت لأبي الطيب المتنبي ورد في الديوان، ٣٤٣، وأنوار الربيع: ٢/ ١٢٩.

(٣) في الأصل والنسخة ظ: (يذبحون أبناءهم) وهو من تصحيف النساخ وقد صححناه من القرآن. انظر البقرة: ٢/ ٤٩.

(٤) ﴿يُقَتِّلُونَ أبناءَكُم ويَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُم﴾ [الأعراف ٧/ ١٤١].

(٥) ﴿يَسُومُونَكُم سُوءَ العذابِ ويذبحونَ أبناءكم ويستحيون نساءَكُم﴾ [إبراهيم ١٤/ ٦].

وأمّا في (إبراهيم) فإنّه من قول موسى لهم حيث أمره الله تعالى في الآية قبلها بذلك، فقال:

﴿وَلَقَد أَرْسَلْنَا مُوسَى بآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّام الله﴾ [إبراهيم ١٤/ ٥]. ومن المعلوم أنَّ التذكير بأيّام الله لا يحصل إلاّ بتعديد نعمه. وإذا قصد تعديد النعم وجب ذكر العطف، فيكون المراد من سوء العذاب نوعاً من العذاب، والمراد من «وَيُذَبِّحُونَ» نوعاً آخر، فيحصل من ذلك نوعان من النعمة.

وأمّا «يُقَتِّلُونَ» في الأعراف فإنَّه لمّا تقدم قوله قبله ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلـٰهاً كَمَا لَهُم آلِهَةٌ﴾ [الأعراف ٧/ ١٣٨] ناسب أن يذكر القتل الذي هو أعم من الذبح[1] لأنّه يشمل كلّ نوع من أسباب الموت التي منها ما هو أشدُّ من الذبح وأقطع.

وأمّا قوله تعالى في البقرة والأعراف ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة ٢/ ٥٧ ـ والأعراف ٧/ ١٦٠] فإنّه إخبار عن قوم ماتوا وذهبوا بخلاف ما في العمران[2] فإنّه مثل لقوم موجودين.

وأمّا قوله تعالى في البقرة: ﴿وَإِذْ[3] قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ القَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُم رَغَداً﴾ [البقرة ٢/ ٥٨].

وفي الأعراف: ﴿وَإِذْ قِيْلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ القَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾ [الأعراف ٧/ ١٦١] فلأنّ الدخول لا يدلّ على إقامة، إذ هو سريع الذهاب، فيعقبه الأكل، فناسب مجيء (الفاء) بخلاف (اسكنوا) الذي في الأعراف إذ معناه (أقيموا)[4]، وذلك يدلّ على الامتداد، فناسب مجيء الواو، أي اجمعوا بين

---

(١) القتل: الإماتة بضرب أو حجر أو سم أو علة، والمنية قاتلة. انظر لسان العرب، مادة قتل: ١١/ ٥٤٧.
والذبح: قطع الحلقوم من باطن عند النصيل، وهو موضع الذبح من الحلق انظر لسان العرب، مادة ذبح: ٢/ ٤٣٦.

(٢) ﴿... وَمَا ظَلَمَهُم الله وَلَكِنْ أَنْفُسَهُم يَظْلِمُونَ﴾ [آل عمران ٣/ ١١٧].

(٣) في النسخة ـ ظ ـ (وإذا) وهو تصحيف من الناسخ.

(٤) الدخول نقيض الخروج. انظر لسان العرب، دخل: ١١/ ٢٣٩.
سكن بالمكان يسكن، سكنى: أقام.
انظر لسان العرب، مادة سكن: ١٣/ ٢١٢.

الإقامة والأكل، وزاد في البقرة (رغداً) لأنّه تعالى أسنده إلى ذاته المقدّسة بلفظ التعظيم بخلاف الأعراف فإنّه (وإذ قيل).

وأمّا تقديم «وادخلوا» في البقرة وتأخيرها في الأعراف فإنّه لمّا قدم (الدخول) في البقرة فقال: «وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا» ناسبت تقديم الدخول فيها.

وأمّا مجيء (وَسَنَزِيْدُ)[١] بالواو في البقرة دون الأعراف فلأنّ الاتصال في البقرة أنسب لاتّفاق اللفظين وهو (قلنا) و(سنزيد) بخلاف الأعراف فإنّه (وَإِذْ قِيْلَ) فالمناسب فيه (سَنَزِيْدُ)[٢] فحذفت الواو ليكون مناسباً إذ لا يحسن الوصل، فوجب الفصل.

وأمّا قوله في البقرة: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً﴾ [البقرة ٢/ ٥٩] وزيادة (منهم) في الأعراف[٣] فلأنّه لمّا تقدّم فيها ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾ [الأعراف ٧/ ١٥٩] وقوله ﴿مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ﴾ [الأعراف ٧/ ١٦٨]، ناسب مجيء (منهم) ليكون موافقاً لذلك بخلاف البقرة.

وأمّا قوله في البقرة: ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [البقرة ٢/ ٥٩] وفي الأعراف ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف ٧/ ١٦٢] فلأنّ لفظ الرِّسالة والرَّسول كثر في الأعراف فجرى على الوفاق، وقال (عَلَيهم) ليوافق (مِنْهُم)، ولقوله آخر الفاصلة ﴿بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾[٤] بخلاف البقرة فإنّه ختم ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسِقُونَ﴾[٥].

وأمّا قوله في البقرة: ﴿فَانْفَجَرَتْ﴾ [البقرة ٢/ ٦٠] وفي الأعراف ﴿فَانْبَجَسَتْ﴾ [الأعراف ٧/ ١٦٠] فلأنَّ الانفجار يدلّ على ظهور الماء كثيراً والانبجاس على مجرّد ظهور الماء[٦]. فلمّا جاء في البقرة ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾[٧] ناسب ما يدلّ

---

(١) «وسنزيد المحسنين» آخر الآية ٥٨ البقرة.

(٢) في الأصل والنسخة ـ ظ ـ (سيزاد) وهو تحريف الصحيح أثبتناه، وهو من الآية ١٦١ من الأعراف.

(٣) الأعراف ٧/ ١٦٢ وفيها «فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُم قَوْلاً...».

(٤) آخر الآية ١٦٢ من الأعراف.

(٥) آخر الآية ٥٩ من البقرة.

(٦) الانفجار: الانشقاق، والانبجاس أضيق منه، فيكون أولاً انبجاساً ثم يصير انفجاراً. انظر مجمع البيان: ١/ ٢٤٩.

(٧) ﴿فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُم كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللهِ..﴾ [البقرة ٢/ ٦٠].

علـى كثرة الماء بخلاف الأعراف[1] فإنَّه لم يذكر ذلك فلم يحتج إلى ما يدلّ على كثرة الماء.

وأمّـا تـقديم اللهو على اللعب في موضعي الأعراف[2] والعنكبوت[3] دون غيرهما ممّا هو أكبر، فلأنّ اللعب زمانه الصِّبا، واللهو زمانه الشباب وزمان الصبا مقدَّم على زمان الشباب بدليل ما ذكر في الحديد وهو: **﴿اعلموا أنّما الحياة الدنيا لـعب ولهـوٌ وزينةٌ﴾** [الحديد ٥٧/ ٢٠] أي لعب كلعب الصبيان ولهو كلهو الشباب، وزينة كزينة النسوان، وتفاخر كتفاخر الإخوان وتكاثر كتكاثر السلطان.

وانظـر إلـى قوله تعالى: **﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّماءَ والأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاَعِبِيْنَ لَوْ أَرَدْنَا أن نَتَّخِذَ لَهْـواً لاَتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا﴾** [الأنبياء ٢١/ ١٦ و١٧]، كيف قدَّم اللعب على اللهو.

فأمّا تقديم (اللهو) في الأعراف فإنّ ذلك إخبار عما يقال لأهل يوم القيامة، فذكر على ترتيب ما انقضى وبدأ بما به الإنسان انتهى في كلا الحالين.

وأمّـا حـرف العنكبـوت، فـالمراد بها زمان الدنيا وأنّه سريع الزوال، قليل الثبات، وأنّ الدَّار الآخرة لَهِيَ الحَيَوان، أي هي الحياة التي لا انقضاء لأمدها ولا نهاية لأبدها. فقدم اللهو لأنَّه في زمان الشباب الذي هو أكثر من زمان اللعب وهو زمان الصبا.

وأمّـا قـولـه تعـالـى فـي الأعـراف في قصّة ثمود **﴿وَتَنْحِتُونَ الجِبَالَ بُيُوتاً﴾** [الأعراف ٧/ ٧٤] وفي غيـرها **﴿وَتَنْحِتُـونَ مِنَ الجِبَالِ بُيُوتاً﴾** [الشعراء ٢٦/ ١٤٩] بزيادة (من)، فلأنَّ الذي في الأعراف تقدّمه قوله: **﴿مِنْ سُهُولِهَا قُصُوراً﴾** [الأعراف ٧/ ٧٤] فاكتفى بذلك بخلاف غيرها فإنَّه لم يتقدَّم ذلك.

وأمّا قوله تعالى في قصَّة صالح وشعيب: **﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي**

(١) ﴿.. فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً﴾ من الآية ١٦٠ سورة الأعراف.
(٢) ﴿الّذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً..﴾ [الأعراف ٧/ ٥١].
(٣) ﴿وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب..﴾ [العنكبوت ٢٩/ ٦٤].

دَارِهِمْ﴾ [الأعراف ٧/٧٨]، وكذا قال في قصَّة شعيب من العنكبوت[1]، وَقَالَ في القصَّتين من هود: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ﴾ [هود ١١/٦٧] في قصَّة صالح. وأمّا في قصَّة شعيب فقال: ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ﴾ [هود ١١/٩٤] فجمع الديار مع الصيحة وأفردها مع الرَّجفة، لأنَّ الرَّجفة هي الزلزلة، فناسب توحيد (الدار) معها بخلاف الصيحة فإنّها كانت من السماء؛ فبلوغها أكثر وأعظم من الزلزلة، فناسب كل منهما الآخر.

وسُئِلَ شيخنا إمام التفسير العلاَّمة عماد الدِّين ابن كثير رحمه الله عن قوله تعالى في قصَّة شعيب في الأعراف: «فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ»، وفي هود «فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ»، وفي الشعراء «عَذَابَ يَوْمِ الظُّلَّةِ»[2] مع أنّهم أمّة واحدة وقصّة واحدة؟ فقال:

اجتمعت عليهم يوم عذابهم هذه النِّقم كلُّها[3].

وإنَّما ذكر في كلِّ سياق ما يناسبه ففي الأعراف لما قالوا: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِيْنَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا﴾ [الأعراف ٧/٨٨] ناسب أن يذكر هناك الرجفة، فرجفت بهم الأرض التي ظلموا بها وأرادوا إخراج نبيِّهم منها.

وفي هود لما أساءوا الأدب في مقالتهم على نبيِّهم ناسب ذكر الصيحة التي أسكتتهم وأخذتهم، وفي الشعراء لما قالوا: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفاً مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الشعراء ٢٦/١٨٧] قال: ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾.

فإن قيل: فما الحكمة في مجيء التاء في قصَّة شعيب في قوله: ﴿(و)[4] أخذت الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَة﴾ [هود ١١/٩٤] وحذفها من قصَّة صالح؟[5].

قلت: الصَّيحة في قصَّة صالح في معنى العذاب والخزي، فهي إذاً منتظمة

(١) ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِم جَاثِمِيْنَ..﴾ [العنكبوت ٢٩/٣٧].

(٢) الشعراء ٢٦/١٨٩. والظُّلَّةُ: هي السحابة التي أظلّتهم/ مجمع البيان.

(٣) تفسير ابن كثير: ٣/١٩٨ و١٩٩.

(٤) في الأصل وفي النسخة ظ (فأخذت) وهو تحريف.

(٥) ﴿وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين﴾ [هود ١١/٦٧].

بقوله تعالى: ﴿ومن خزي يومئذٍ﴾ [هود ١١/٦٦] فصارت الصَّيحة عبارة عن ذلك الخزي وعن العذاب المذكور في الآية فقوى التذكير، بخلاف قصَّة شعيب فإنَّه لم يذكر فيها ذلك، وهذا قول الإمام أبي القاسم السهيلي[١].

وقال الإمام شمس الدِّين ابن القيم[٢]: وعندي فيه جواب أحسن من هذا، وهو: أنَّ الصَّيحة يُراد بها المصدر يعني (الصياح) فيحسن فيها التذكير ويراد بها الواحد من المصدر، فيكون التأنيث أحسن وقد أخبر تعالى عن العذاب الذي أصاب قوم شعيب بثلاثة أمور كلّها مؤنثة اللفظ:

أحدها: (الرَّجْفَة) كما في الأعراف[٣].

والثاني: (الظُّلَة)[٤] كما في الشعراء[٥].

والثالث: (الصَّيْحَة) كما في هود[٦].

وكان ذكر الصَّيحة مع الرجفة أحسن من ذكر الصياح فكان ذكر التاء أحسن[٧].

قلت: وعندي جواب ثالث وهو موافقة تأنيث ما بعده في قصَّة شعيب،

---

(١) هو الإمام عبد الرحمن بن عبدالله السهيلي، وهو حافظ عالم باللغة ولد ٥٠٨هـ. له كتب منها «الروض الأُنف في شرح السيرة لابن هشام» و «الإيضاح والتبيين لما أبهم من تفسير الكتاب المبين» توفي ٥٨١هـ.
مصادر ترجمته: الأعلام: ٣/٣١٣، وفيات الأعيان: ١/٢٨٠، ولم أعثر على قوله الذي أشار إليه المصنف.

(٢) هو أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي. مولده بدمشق ٦٩١هـ وفيها وفاته ٧٥١هـ، تتلمذ لابن تيمية. وألف كتباً منها: «إعلام الموقعين» و «الطرق الحكمية في السياسة الشرعية» و «أحكام أهل الذمة» وغيرها.
ترجمته في: الدرر الكامنة: ٣/٤٠٠، وشذرات الذهب: ٦/١٦٨ والنجوم الزاهرة: ١٠/٢٤٩، والأعلام: ٦/٥٦.

(٣) ﴿فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾ [الأعراف ٧/٧٨ و٩١].

(٤) في الأصل (الظلمة) وهو تحريف مخالف للسياق والقرآن، وقد صححناه اعتماداً على النسخة ظ.

(٥) ﴿فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة﴾ [الشعراء ٢٦/١٨٩].

(٦) ﴿وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين﴾ [هود ١١/ ٩٤].

(٧) لم أعثر على رأيه في التفسير القيم ولا في الفوائد.

وهـو: ﴿كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ ولم يكن ذلك في قصَّة صالح، فجاء على الأحسن للفضل والله أعلم.

وأمّا قوله في الأعراف في قصَّة لوط:

﴿بَلْ أَنْتُم قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ [الأعراف ٧/ ٨١] (اسماً) وفي النمل ﴿قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل ٢٧/ ٥٥] (فعلاً)، فهو لتناسب رؤوس الفواصل.

فـإنَّـه لمـا كـان الواقع في رؤوس الآي في الأعراف كلّه أسماء: العالمين، الناصحين، جاثمين، المرسلين، كافرون، مؤمنون، أتى بالاسم.

ولما كان الواقع في النمل أفعالاً: تبصرون، (يتّقون يعلمون)[١] أتى فعلاً.

فـإن قيـل: لـم عـدل فـي النَّمل عن تسرفون إلى تجهلون؟ قلت: لما كان الإسراف تجاوز الحد في كلّ فعل[٢]، والتعدِّي إلى ما لا يحلّ ولا يجوز، ويقدَّم أوَّل قصَّـة الأعـراف: ﴿أَتَأْتُونَ الفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ العَالَمِينَ﴾ [الأعراف ٧/ ٨٠] نـاسـب أن يعقبهـا بـالإسـراف الـذي هـو التعـدِّي من مـوضـع البـذر والحرث إلى غيره بخلاف الجهـل فـإنّـه خلاف العلم وهو أيضاً فعل الشيء على خلاف ما حقُّه أن يفعل[٣]. فمعنى يجهلون هنا أي: يفعلون فعل الجهال، فأتى به بعد قوله تبصرون أي تعلمون أنّ ذلك فاحشة فلا تفعلونه إلاّ جهلاً بما يجب، فإنّ الطِّباع تأبى ذلك، ففعلكم ذلك جهل. فناسب كلّ ما قبله.

وأمّا قوله (فيها) فـي الأعراف ﴿وما كان جواب﴾[٤] (بالواو)، وفي غيرها (بـالفـاء)[٥]، لأنّ مـا قبلـه في الأعراف اسم كما ذكرنا بخلاف غيرها فإنَّه فعل، والفاء للتعقيد، والتعقيب يكون مع الأفعال[٦]. فقال في النمل: ﴿تَجْهَلُونَ. فَمَا

---

(١) في نسختي المخطوط (تتقون، تعلمون) وهو تصحيف يخالف ما في سورة النمل: ٢٧/ ٥٢.

(٢) انظر المفردات، ص ٢٣٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٠٢.

(٤) ﴿. . بل أنتم قوم مسرفون. . وما كان جواب قومه. . ﴾ [الأعراف ٧/ ٨١ و٨٢].

(٥) ﴿. . بل أنتم قوم تجهلون. فما كان جواب قومه. . ﴾ [النمل ٢٧/ ٥٥ و٥٦].

(٦) المراد بالتعقيب: عدم المهلة ـ ويتحقق بقصر المدة الزمنية التي تنقضي بين وقوع المعنى على المعطوف عليه ووقوعه على المعطوف، النحو الوافي: ٣/ ٥٧٣.

كَانَ﴾ [النمل ٢٧/ ٥٥ و٥٦]، وفي العنكبوت: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَر. . فَمَا كَانَ﴾ [العنكبوت٢٩/ ٢٩] ولهذا قال في الأعراف ﴿مُسرفونَ. . . وَمَا كَانَ﴾ [الأعراف٧/ ٨١و٨٢].

وقيل: لأنّ الواو أم حروف العطف وهي تدلّ على العطف المجرد وغيرها من الحروف يدلّ على العطف ومعنى آخر(١)، فجاء في الأولي(٢) بالأصل وفي غير الأوّل بفروعه(٣)، والله أعلم.

وأمّا قوله في هذه القصّة في الأعراف ﴿أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُم﴾ [الأعراف ٧/ ٨٢]، وقال في النمل: ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ﴾ [النمل ٢٧/ ٥٦] فقيل إنّ سورة النمل نزلت قبل الأعراف، فصرح في الأولى وكنّى في الثانية وفيه نظر، إذ الأعراف نزلت قبل النمل(٤)، وقيل: إنّ ما مرّ في الأعراف ضمير فسَّره ما في النمل، والذي يظهر لي أنَّه لما وقع لهم منه التصريح في الأعراف ما لم يصرح لهم به في النمل من المبالغة في نكايتهم(٥) عادوا عن التصريح إلى الكناية ليكون أيضاً منهم أبلغ في الكناية، والله أعلم.

وأمّا قوله تعالى في الأنعام ﴿قُلْ سِيْرُوا (فِي الأَرْضِ)(٦) ثُمَّ انْظُرُوا﴾ [الأنعام ٦/ ١١] وفي غيرها ﴿فَانْظُرُوا﴾ [آل عمران ٣/ ١٣٧، والنحل ١٦/ ٣٦]، فلأنّ (ثُمَّ) للمُهْلَةِ والتَّراخي(٧)، وقد تقدم في الأنعام ذكر القرون الخالية في قوله: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ

---

(١) الواو: لا تدل على أكثر من التشريك في المعنى العام، فلا تفيد الدلالة على ترتيب زمني بين المتعَاطفَين وقت وقوع المعنى ولا على المصاحبة ولا على تعقيب أو مهلة ولا على خسّة أو شرف، النحو الوافي: ٣/ ٥٥٨.

(٢) يشير إلى الآيتين: ٨١ و٨٢ من الأعراف حيث جاء بالواو وهي الأصل.

(٣) وفي غيرها يشير إلى ٥٥ و٥٦ من النمل والآية ٢٩ من العنكبوت.

(٤) الأعراف: سورة مكية نزلت قبل سورة الأنعام، وقد نزلت دفعة واحدة. والنمل: سورة مكية بالإجماع ونزلت بعد سورة الشعراء.
انظر: تأريخ القرآن للزنجاني، ص ٤٩ و٥٠، وتفسير المراغي: ٨/ ٩٧، ١٩/ ١١٨، وزاد المسير: ٦/ ١٥٣.

(٥) نكى العدو نكاية: أصاب منه. انظر لسان العرب/ مادة نكى: ١٥/ ٣٤١.

(٦) ما بين الحاصرتين ثبتناه لإكمال الآية والظاهر أن المصنف أسقطه للاختصار.

(٧) ثم: حرف عطف يقتضي: التشريك في الحكم والترتيب والمهلة، مغني اللبيب، ص ١٥٨.

قَبْلِهِم مِنْ قَرْنٍ﴾ [الأنعام ٦/٦] ثمّ قال: ﴿وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ (قَرْناً)[1] آخَرِينَ﴾ [الأنعام ٦/٦]، فأمروا بالسفر في الأقطار وتأمُّل الآثار، ولا شكّ أنَّ في ذلك كثرة، فلا بدَّ أن يقع ذلك بسير بعد سير وزمان بعد زمان، فأتى بثُمَّ الدالَّة على التراخي من الفعلين ليعلم أنّ السير على حده وأنَّ النظر بعده مأمور به على حده.

فاختصَّت الأنعام بذلك، ولم يأتِ ذلك في غيرها من السور متقدِّماً عليها، فلذلك اختصَّت بالفاء التي هي للتعقيب.

وأمَّا قوله عزّ وجلّ في قصَّة شعيب من هود ﴿اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعلَمُونَ﴾ [هود ١١/٩٣] بغير (فاء)، وفي سائر القرآن بالفاء[2]، وذلك أن الذي في قصَّة شعيب لم يتقدَّمه (قل) صار مستأنفاً فناسب فصله، بخلاف غيره، فإنّه لما تقدَّمه (قل) الذي أمرهم به أمر وعيد وتهديد فقوله «اعملوا» أي: اعمَلُوا فَسَتُجْزَونَ، والله أعلم.

فهذا بعض ما اتّفق إيراده من أسرار إعجاز القرآن الذي يخفى على كثير ممّن مارس الكتاب العزيز، وخفي عليه وجه التحدِّي والتعجيز.

«وقد» حكى الإمام عبد القاهر الجرجاني[3] أنّ المتفلسف ركب إلى أبي العباس[4] فقال له: إنّي أجد في كلام العرب حشواً، فقال له أبو العباس: في أي موضع وجدت ذلك؟ فقال: وجدت العرب تقول: (هذا عبدالله قائم) ثم

---

(١) في النسختين (قروناً) وهي مخالفة للنص القرآني في سورة الأنعام في الآية ٦ والظاهر أنه من تحريف النساخ.

(٢) ﴿قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون..﴾ [الزمر ٣٩/ ٣٩ والأنعام ٦/ ١٣٥].

(٣) هو عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني: واضع أصول البلاغة ومن أئمة اللغة. من كتبه «أسرار البلاغة» و «دلائل الإعجاز» توفي ٤٧١هـ. مصادر ترجمته: الأعلام: ٤/ ٤٨ و٤٩، وفوات الوفيات: ١/ ٢٩٧، وبغية الوعاة، ص ٣١٠.

(٤) (أبو العباس): هو أحمد بن يحيى الملقب ثعلب، نحوي مشهور، ولد سنة ٢٠٠هـ وتوفي ٢٩١هـ، من مصنفاته «مجالس ثعلب».
أو يقصد به المبرد وهو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي صاحب كتاب «الكامل في الأدب». ولد ٢١٠هـ وتوفي ٢٨٦.
وهما متعاصران ومشتركان في الكنية وعاصرهما أيضاً الكندي الفيلسوف.

يقولون: (إنّ عبدَ اللهِ قائمٌ) ثم يقولون: (إنّ عبدَ اللهِ لَقائمٌ)، فالألفاظ متكرِّرة، والمعنى واحد.

فقال له أبو العباس: بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ.

فقولهم: (عبدُ الله قائمٌ) إخبارٌ عن قيامه، وقولهم: (إنّ عبدَ الله قائمٌ)، جواب عن سؤال سائل، وقولهم: (إنّ عبدَ اللهِ لَقائمٌ)، جواب عن إنكار منكر قيامه. (فقد تكررت الألفاظ لتكرار المعاني)[1] فما أحار المتفلسف جواباً، فإذا ذهب مثل هذا على الكندي[2] فما الظنُّ بغيره؟»[3].

ولهذا طعن بعض من لا يفهم من أهل الإلحاد في القرآن من جهة التكرار والتطويل، ولم يعلم أنَّ من عادة الفصحاء والبلغاء أن يكرِّروا القضية[4] الواحدة في مواضع مختلفة فتتجدَّد في مواضع، وهذا من لطيف محاوراتهم وطريق تصرفهم في عباراتهم.

وإنَّما يعاب التكرار إذا كان في الموضع الواحد وقد أنزل الله تبارك وتعالى القرآن على رسوله ﷺ في ثلاث وعشرين سنة حالاً بعد حال وشيئاً بعد شيء، وكان ﷺ يضيق صدره لما يناله من الكفار، فكان سبحانه وتعالى يسليه بما ينزل عليه من الوحي من قصص من تقدَّم من الأنبياء عليهم السلام بحسب ما يعلمه من الصلاح. فلهذا قال تعالى: ﴿**وَكُلاً نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ**﴾ [هود ١١/ ١٢٠].

وأيضاً فإنّ ظهور الفصاحة ونور البلاغة في القصَّة الواحدة إذا أعيدت أبلغ منها في القصص المتغايرة كما أشرنا إليه في ما تقدم آنفاً.

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من النسختين وأثبتناه من دلائل الإعجاز وحسن التوسل.

(٢) هو يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكندي. فيلسوف عصره، اشتهر بالطب والفلسفة والهندسة والفلك، من كتبه «رسالة في التنجيم» و «الأدوية المركبة»، توفي ٢٦٠هـ، ترجمته: في الأعلام: ٨/ ١٩٥، وطبقات الأطباء: ١/ ٢٠٦ ـ ٢١٤.

(٣) النص في حسن التوسل، ص ١٠١ و١٠٢.
وهو في دلائل الإعجاز أيضاً مع اختلاف يسير في الألفاظ. ينظر دلائل الإعجاز، ص ٢٤٢.

(٤) في النسخة ظ (القصة).

وأمّا ما زعم ابن الراوندي[1] أنّ في القرآن آيات متناقضة فقد ذكر من ذلك ما يقطع بجهله وسخافة عقله فزعم أنّ قوله تعالى: «﴿فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾ [الجاثية ٤٥/ ١٧] مناقض، لقوله ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً﴾ [الأنعام ٦/ ٢٥، والإسراء ١١/ ٤٦] وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ [النحل ١٦/ ١٠٨].

والجواب: أنَّ المراد بالعلم في الآية الأولى ـ القرآن والأدلّة ـ دون العلم في نفسه لأنّه تعالى أطلق العلم ولم يقيّده وقد سمى (الحجة) علماً والكتاب علماً، كما يقال (علمُ الشافعي) و(علمُ أبي حنيفة)، وإذا احتمل ذلك بطل التناقض.

وزعم أيضاً أنَّ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [الشورى ٤٢/ ٤٤] يناقض قوله ﴿(فَزَيَّنَ)[2] لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُم فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ﴾ [النحل ١٦/ ٦٣].

فإحدى الآيتين تقتضي: أنْ لا وليَّ للكفّار.

والثانية تقتضي: أنّ لَهُمْ وَلياً.

والجواب: أنّ قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ﴾ المراد به في الآخرة عند إضلال الله إيّاهم.

والمراد بقوله: «فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ» أي: في الدُّنْيا، وتقييده بذكر اليوم يدلّ على ذلك. وأيضاً فلو كان المراد بها في وقت واحد لم يتناقض لأنّ المراد: فما لهم من وليّ ينفع ويضرُّ، وإذا كان الشيطان لهم ولياً فلا يقتضي أن ينفع ويضر.

---

(١) في النسخة ظ (ابن الريوندي).
هو أحمد بن يحيى بن إسحاق. وهو فيلسوف مجاهر بالإلحاد من سكان بغداد. نسبته إلى راوند من قرى أصفهان وضع كتاباً في نفي الصانع وقدم العالم والرد على مذهب أهل التوحيد وقد قيل إنّه مات مصلوباً ببغداد سنة ٢٩٨هـ على يد أحد السلاطين.
ترجمته: في الأعلام: ١/ ٢٦٧ و٢٦٨، والملل والنحل للشهرستاني: ١/ ٨١، والبداية والنهاية: ١١/ ١١٢.

(٢) في النسختين (وزين) وهو تحريف.

وزعم أيضاً أنَّ قوله تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾ [النساء ٤/ ٧٦]، يناقض قوله تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيطَانُ فأَنْسَاهُمْ ذِكرَ اللهِ﴾ [المجادلة ٥٨/ ١٩].

﴿(وَ) زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ (أعْمَالَهُم فَـ) ـصَدَّهُم عَنْ السَّبِيلِ[١]﴾.

والجواب: إنّ المراد بأنَّ كيد الشيطان ضعيف أنَّه لا يقدر أن يضرّ ولكنه يوسوس[٢] ويدعو فقط، فإن اتّبع لحقته المضرّة، وإلاّ فحاله على ما كان، فهو كفقير يوسوس للغني في دفع ماله وهو يقدر على امتناعه، فإن وقع إليه فليس ذلك لقوّة الفقير بل لضعف رأي المالك.

وزعم أيضاً: أنَّ قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا في سِتَّةِ أَيَّام﴾ [ق ٥٠/ ٣٨]، يناقض قوله: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ في يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَاداً ذَلِكَ رَبُّ العَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيْهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا في أَرْبَعَةِ أَيَّام سَوَاءً للسَّائِلِيْنَ. ثُمَّ اسْتَوَى إلى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ، فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ في يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت ٤١/ ٩ ـ ١٢].

فادَّعى أنَّ ذلك إذا عُدَّ زاد على الستة لأنَّه ذكر أنَّه خلق الأرض في يومين وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيام، ﴿وَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ في يَوْمَينِ﴾ فيصير ذلك ثمانية.

والجواب: أنَّه تبارك وتعالى أراد بقوله: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ في يَومَينِ﴾ [فصلت ٤١/ ٩] إلى قوله: ﴿وَقَدَّرَ فيْهَا أَقْوَاتَهَا في أَرْبَعَةِ أَيَّام﴾ [فصلت ٤١/ ١٠]، أي مع اليومين المتقدّمين إلى تتمّة أربعة أيام. ولم يرد بذكر الأربعة غير ما تقدّم ذكره، وهذا كما يقول العربي الفصيح: سرت من مكة إلى

(١) في نسختي المخطوط (فزين لهم الشيطان بصدهم عن السبيل).
وفيه تحريف يخالف النص المشترك في سورتي النمل والعنكبوت.
النمل ٢٧/ ٢٤ وكذلك العنكبوت: ٢٩/ ٣٨.

(٢) الوسوسة: الخطرة الرديئة. وأصله من الوسواس: وهو صوت الهمس الخفي. ينظر المفردات للراغب، ص ٥٢٢.

المدينة في عشرة أيام، وسرت من مصر في ثلاثين يوماً أو في شهر، ولا يريد سوى العشرة بل معها، ثمّ أنّه تعالى قال: ﴿فقضاهنّ سبع سماواتٍ في يومين﴾ [فصلت ٤١/١٢]، وأراد سوى الأربعة، وهذا إذا فصل كان جملته ستة أيام، ولم يكن مخالفاً لقوله عزّ وجلّ ﴿خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام﴾ [الفرقان ٢٥/٥٩].

وزعم هذا الملحد أيضاً أنَّ قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذي خَلَقَ لَكُم مَا فِي الأرْضِ جَميعاً ثُمَّ اسْتَوى إلى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاواتٍ﴾ [البقرة ٢/٢٩] مناقض لقوله:

﴿أَأَنْتُم أَشَدُّ خَلْقَاً أَم السَّمَاء بَنَاهَا. رَفَعَ سَمْكَها فَسَوَّاها. وأَغْطَشَ لَيْلَها وأَخْرَجَ ضُحَاهَا. وَالأرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات ٧٩/٢٧ ـ ٣٠] [(١)] فادّعى: أنَّ الآية الأولى تقتضي أنّ خلق الأرض قبل السماء، والثانية تقتضي: أنَّ خلق السَّماوات قبل الأرض.

والجواب: أنّه تعالى أخبر أنَّ الأرض بعد ذلك دحاها مع أنّه خلقها قبل ذلك، فأراد بقوله تعالى: «دحاها» أي: خلق سطحها، وقد كان خلقها غير مبسوطة قبل خلق السَّماوات ثمّ بسطها بعد خلق السماء[(٢)].

فليس في كلامه سبحانه وتعالى تناقض ولا تخالف ولا في حديث نبيّه ﷺ، وما وضح في كلام النّبي ﷺ ممّا يوهم ذلك فقد قال إمام الأئمّة أبو بكر بن خزيمة[(٣)]:

---

(١) والسمك: هو السقف انظر لسان العرب، مادة سمك: ١٠/ ٤٤٤. وأغطش الله الليل: أظلمه. مادة غطش: ٦/ ٣٢٤.

(٢) ينظر التفسير الكبير للفخر الرازي: ١٤/٩٦ ـ ١٠٠.
وتفسير القرطبي: ١٩/ ٢٠٢ ـ ٢٠٥، ولسان العرب مادة دحو: ١٤/ ٢٥١.

(٣) هو محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري مولى محشر بن مزاحم، ولد ٢٢٣هـ بنيسابور، وقد عني بالحديث منذ حداثته، وقد سمع من إسحق بن راهويه ومحمد بن حميد، وقد توفي ٣١١هـ. وله كتب كثيرة منها: كتاب الصلاة، كتاب الوصايا، وترجمته في تذكرة الحفاظ: ٧٢٨، وطبقات الشافعية: ٣/١٠٩ ـ ١١٩.
المنتظم: ٦/ ١٨٤، غاية النهاية: ٢/٩٧، والوافي بالوفيات: ٢/١٩٦، وشذرات الذهب: ٢/ ٢٦٢.

(لا أعـرف حديثيـن صحيحيـن متضادين، فمن كان عنده، فليأتني لأؤلِّف بينهما)(١).

وللإمـام الشافعي رضي الله عنه في اختلاف الحديث كتابه المعروف(٢)، ثمَّ صنَّف في ذلك ابن قتيبة(٣) فأحسن فيه.

وأمَّا قول أبي علي الجبائي(٤) المعتزلي في قوله تعالى: ﴿لَنَفِدَ البَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ [الكهف ١٨/١٠٩]، يدلّ على أنَّ كلمات الله تنفدُ في الجملة وما ثبت عدمه انتفى قدمه. قال: وأيضاً قال: «وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً»(٥)، وهذا أيضاً يدلّ على أنَّه تعالى قادر على أن يَجِيءَ بمثل كلامه، والذي يجاءُ بِهِ يكون مُحدثاً، والذي يكون المحدث مثلاً له فهو أيضاً محدث.

قـال الإمـام فخر الدين: وجواب أصحابنا أنَّ المراد منه الألفاظ الدالة على تعلُّقات تلك الكلمات(٦).

والجواب الصحيح عندي: أنّ هذا ورد على وجه ضرب المثل للمبالغة في أنّ كلمات الله تعالى لا تَنفدُ ولا آخر لها على ما هو مستحيل ونحوه.

وقد قال رسول الله ﷺ في الصحيح ممَّا يرويه عن ربِّه تبارك وتعالى: «يَا

---

(١) انظر تقريب علوم الحديث للإمام النووي، وشرحه تدريب الراوي للسيوطي: ٢/١٩٦ ط٢، وعلوم الحديث لابن الصلاح، ص ٢٥٧ و٢٥٨، ط٢، تأملات في تراثنا الإسلامي، أحمد شرف الدين، ص ١٠٢.

(٢) (اختلاف الحديث) للإمام الشافعي. كتاب مطبوع بهامش الجزء السابع من كتاب «الأم» وهو برواية الربيع بن سليمان.

(٣) هو عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ولد ٢١٣هـ ببغداد وفيها مات ٢٧٦هـ، وهو من المكثرين في التصنيف: وله: «أدب الكاتب» و «المعارف» و «المغاني» و «تأويل مختلف الحديث» وهو كتاب مطبوع بتصحيح محمد زهري النجار من علماء الأزهر.
ترجمته: في الأعلام: ١٣٧/٤، وفيات الأعيان: ٢٥١/١، لسان الميزان: ٣٥٧/٣.

(٤) هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي، من أئمة المعتزلة، ورئيس علماء الكلام في عصره. وإليه نسبت «الطائفة الجبائية»، له مقالات وآراء انفرد بها. وله تفسير مطول رد عليه الأشعري.
ترجمته في: الأعلام: ٢٥٦/٦، وفيات الأعيان: ٤٨٠/١، ومفتاح السعادة: ٣٥/٢.

(٥) آخر الآية ١٠٩ من الكهف.

(٦) التفسير الكبير: ١٧٦/٢١ مع اختلاف في الألفاظ.

عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكم وآخرَكُم وَإنْسَكُمْ وَجِنَّكم قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فأعطيتُ كُلَّ إنسانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إلاَّ كَمَا نَقصَ المُخِيطُ إذا أُدخِلَ البَحْرَ»[1] ومعلوم أنّه لا بدَّ للبحر من نقص ما بخلاف ما عند الله تعالى، فخرج على وجه التقدير والفرض وضرب المثل والله سبحانه أعلم.

وكقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ وَالبَحْرُ يَمُدُّهُ﴾ [لقمان ٣١/٢٧] الآية سر من أسرار كلام الله تعالى لا يسع هذا الموضع ذكره، نذكره في غيره إنْ شاء الله تعالى.

وقول الزمخشري في تفسير قوله تعالى في هود: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إلاّ امْرَأَتَكَ﴾ [هود ١١/٨١] بعد أن ذكر قراءتي الرفع والنصب في (امْرَأتَكَ)، فقال: ففي إخراجها مع أهله روايتان: رُوي أنّه أخرجها معهم وأُمر أن لا يلتفت منهم أحد إلاّ هي، فلمّا سمعت هَدَّةَ[2] العَذَاب التفتت وقالت (يَا قَوْمَاهُ)[3] فأدركها حَجَرٌ فقتلها.

وروي أنَّه أمر بأن يخلفها مع قومها فإنّ هواها إليهم فلم يَسْرِ بها[4].

قال: واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين.

هذا لفظه بحروفه وهو خطأ، وَأَحْسَنَ حيث بَنَى القراءتين المتواترتين على اختلاف الروايتين المتخالفتين، من أنّ لُوطاً عليه السلام سرى بها أو لم يسر بها وهذا تكاذب في الأخبار، ومستحيل أن تكون القراءتان ـ وهما من كلام الله تعالى ـ (منزلتين)[5]، نعوذ بالله من ذلك.

---

(١) من حديث قدسي طويل ذكره مسلم في باب البر: ١٦/ ١٣٢.
والحديث القدسي: هو الذي يرويه النبي ﷺ عن ربه عزّ وجلّ.

(٢) الهدة: صوت ما يقع من السماء. اللسان: الدال/ الهاء ٣/ ٤٣٢.

(٣) في الأصل ـ يا قومها ـ وفي التفسير (يا قوماه) وهو أقرب إلى السياق وموافق للرواية وقد ثبتناه. الكشاف ٢/ ٢٨٤، وابن كثير: ٣/ ٥٦٧.

(٤) الكشاف: ٢/ ٢٨٤ مع اختلاف يسير.

(٥) في الأصل (مترتبان) وفي النسخة ـ ظ ـ (منزلتان) ومعناها أقرب للسياق وقد صححنا وضعها الإعرابي لأنها منصوبة خبر (تكون).

قلت: وقد اختُلف في توجيه هاتين القراءتين، فالأكثرون على أنَّ النصب على الاستثناء من «**فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ**» والرفع على البدل من «**وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أحد**» والأولى عندي أن يكون الاستثناء من «**فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ**» في النصب والرفع، وذلك لأنّ المعنى دالٌّ عليه، فإنَّ الله تعالى أمر لوطاً عليه السلام أنْ يَسْرِي بأهلِهِ إلاّ ٱمْرَأَتَهُ، ولو كان الاستثناء من الالتفات لكان قد نهى المسري بهم عن الالتفات، وأذن فيه للمرأة، وهذا ممتنع لوجهين:

أحدهما: أنه لم يأمره أن يسري بامرأته ولا دخلت في أهله الذين وُعد بنجاتهم.

والثاني: أنّه لم يكلفهم بعدم الالتفات ويأذن فيه للمرأة، والله أعلم[1].

وقال آخرون يجوز الرفع والنصب على الاستثناء من قوله: «**وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَد**» فالنصب على الاستثناء والرفع على البدل من (أحد).

قالوا: وكلاهما صحيحان فصيحان، وإن كان البدل أكثر وأفصح عند أهل العربية[2] كما قرىء في قوله تعالى: ﴿**مَا فَعَلُوهُ إلاّ قَلِيلٌ مِنْهُمْ**﴾ [النساء ٤/٦٦] [3] و «إلاّ قَليلاً»، وهو صحيح فصيح متواتر ولكن يلزم من ذلك ما تقدم من الإشكال والله تعالى أعلم.

---

(١) ذكر القراءتين تفسير القرطبي: ٩/ ٨٠ والإعراب للنحاس: ٢/ ١٠٥، والرازي في تفسيره الكبير: ١٨/ ٣٦ والطبري: ١٢/ ٥٤.
وقال الأكثرون: هو استثناء من المثبت، وهو قوله: (فأسر بأهلك)، تقديره: إلا امرأتك.
وقرأ بعض البصريين (إلا امرأتُكَ) رفعاً بمعنى: (وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنْكُم أَحَدٌ إلاّ امرأتُكَ) فإن لُوطاً قد أخرجها معه، وأنه نهى لوطاً ومن معه ممن أسرى معه أن يلتفت سوى زوجته وأنها التفتت فهلكت).
انظر جامع البيان للطبري: ١٢/ ٥٤.

(٢) قال ابن كثير: «... وقال آخرون من القراء والنحاة هو استثناء من قوله: (ولا يلتفت منكم أحد). فجوزوا الرفع والنصب» تفسير ابن كثير: ٣/ ٥٦٧. وقال صاحب الكشاف: «الفصيح هو البدل، أعني قراءة من قرأ بالرفع فأبدلها عن ـ أحد ـ» انظر الكشاف: ٢/ ٢٨٤.

(٣) وقرأ عبدالله بن عامر وعيسى بن عمر (إلا قليلاً) على الاستثناء القرطبي: ٥/ ٢٧٠، وقرأ بها إضافة إليهما أبيّ وابن أبي إسحاق. البحر المحيط: ٣/ ٢٨٥، ونسبت القراءة بالنصب إلى مصحف أنس بن مالك، الفخر الرازي: ١٠/ ١٦٧.

فإن قيل فما تقولُ في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبَالُ﴾ [ابراهيم ١٤/٤٦]؟، قرأه الكسائي بفتح اللام من (لَتزولُ) ورفع الثانية، وذلك يقتضي النفي، وكل من القراءتين تقتضي مناقضة الأخرى(١).

فالجواب: أنّ المعنى في قراءة الكسائي: وإنّ مكرَهم كان من الشدة بحيث يقتلع الجبال الراسيات من مواضعها.

وفي قراءة غيره: «وَمَا كَانَ مَكْرُهُم وإنْ تَعَاظَمَ وَتَفَاقَمَ لِتَزُولَ مِنْهُ أمّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ وَدِينُ الإسلام»، فالجبال في قراءة الكسائي حقيقة، وفي قراءة الباقين مجاز(٢)، فلا تناقض بين القراءتين كما بيّناه في كتاب (النشر)(٣) والله تعالى أعلم.

وهذا آخر ما يسّر الله ذكره من الكلام على هذه الآية الكريمة أعني قوله سبحانه تعالى: ﴿وَقِيْلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي﴾ المسمى بـ (كِفَايَةُ الألْمَعِيِّ فِي الكَلام عَلَى آيَةِ يَا أرضُ ابْلَعِي) وما يتعلق بذلك لمن يفهم ويعي ويعلم أنَّ ما أمليناه فيها قطرة من بحر لا ساحل له، وذرة من برّ لا انتهاء به، إذ القرآن العظيم لا تنتهي عجائبه ولا تفنى غرائبه كما تقدَّم في الحديث الذي رويناه عن أمير المؤمنين وإمام المتّقين عليّ بن أبي طالب رضي الله عليه، وروينا عن ابن مسعود رضي الله عنه «مَنْ أرَادَ العِلْمَ فَلْيُؤثِرِ القُرآنَ فإنّ فِيهِ عِلْمَ الأوّلينَ والآخرينَ»(٤).

---

(١) ونسب القراءة بفتح اللام الأولى ورفع الثانية إلى الكسائي الفخر الرازي: ١٩/ ١٤٤، والنشر للمصنف: ٢/ ٣٠٠.
والعامة على كسر اللام الأولى في (لِتزولَ) على أنها لام الجحود وفتح اللام الثانية نصباً. ذكره القرطبي: ٩/ ٣٨٠.
وذكره المصنف في النشر: ٢/ ٣٠٠.
(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي: ١٩/ ١٤٤ و١٤٥.
(٣) وهو كتاب مطبوع للمؤلف بمراجعة الأستاذ علي محمد الضباع.
انظر النشر في القراءات العشر للمؤلف: ٢/ ٣٠٠.
(٤) لم أعثر على هذه الرواية في مرويات ابن مسعود في مصادر الروايات المعروفة.

وقال بعض العلماء رحمهم الله في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ﴾[1] [لقمان ٣١/٢٧] الآية ـ يجوز أن يكون على حذف مضاف أي: (مَا نَفِدَت مَعَاني كَلِمَاتِ الله)[2].

ولأهل البيت الشريف النَّبوي رضي الله عنهم وأرضاهم وجعل الفردوس مستقرهم ومثواهم، مشرب اختصوا به ومنهل صدروا عنه واعتصموا بسببه وَرِثُوهُ عن أبيهم الأسنى وجدِّهم الأعلى:

فقد أخبرنا الشيخ الصالح المعمر أبو عليّ الحسن بن أحمد بن أحمد بن هلال الدقّاق[3]، قرأت بالجامع الأموي داخل دمشق المحروسة في شهر رمضان سنة سبع وسبعين وسبع مائة عن الإمام أبي الحسن عليّ بن أحمد المقدسي أنبأنا القاضي أبو المكارم أحمد بن محمَّد الأصبهاني[4] في كتابه منها أخبرنا الشيخ أبو عليّ الحسن بن أحمد الحداد[5] أنبأنا الإمام أبو نعيم الحافظ[6] حدثنا نذير بن جناح[7] القاضي أخبرنا إسحاق بن محمَّد بن مروان[8]، أخبرنا أبي، أخبرنا عباس بن عبيدالله[9] أخبرنا غالب بن عثمان الهمداني[10] أخبرنا

---

(١) لقمان ٣١/٢٧. «.. **والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله..**».

(٢) لم أعثر على هذا القول.

(٣) هو حسن الصرخدي: ترجمته في غاية النهاية: ١/٢٠٧، وتفصيله في الدراسة لأساتذة المصنف.

(٤) هو أحمد بن محمد بن يوسف الأصبهاني. روى كتاب السبعة لابن مجاهد سماعاً ترجمته: غاية النهاية: ١/ ١٣٤.

(٥) الحسن بن أحمد بن الحسن أبو علي الحداد. شيخ أصبهان، ولد ٤١٩هـ ـ قرأ على أحمد بن محمد الخياط وأحمد بن الفضل الباطرقاني وغيرهما توفي ٥١٥هـ. ترجمته: غاية النهاية: ١/٢٠٦.

(٦) هو الإمام أحمد بن عبدالله بن أحمد الأصبهاني ولد في أصبهان ٣٣٦هـ، ومات فيها ٤٣٠هـ. من مصنفاته «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» و «معرفة الصحابة».
ترجمته: طبقات الشافعية: ٤/١٨، ووفيات الأعيان: ١/ ٩١ و٩٢، وغاية النهاية: ١/ ٧١، وميزان الاعتدال: ١/١١١، والأعلام: ١/ ١٥٧.

(٧) لم أعثر على ترجمته.

(٨) هو إسحاق بن محمد بن مروان الكوفي القطان.
ترجمته: ميزان الاعتدال: ١/ ٢٠٠، المغني: ١/ ٧٣.

(٩) لم أعثر على ترجمته.

(١٠) لم أعثر على ترجمته.

أبومالك[1] عن عبيدة[2] عن شقيق[3] عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «قال: إنّ القُرآنَ أُنزلَ عَلَى سَبعةِ أحرُفٍ ما منها حَرْفٌ إلاّ لَهُ ظَهْرٌ وَبَطْنٌ، وأنَّ عَلِيَّ بنَ أبي طَالب عِنْدَهُ مِنْهُ عِلْمُ الظَّاهِرِ وَالبَاطِنِ»[4].

وناهيك بذلك من مثل ابن مسعود إمام القرآن، والمبشر بالجنان، وأنشد لسان حالهم في صريح مقالهم:

فَإنّ المَاءَ مَاءُ أَبِي وَجَدِّي ... وَبِئْرِي ذُو حَفَرْتُ وَذُو طَوَيْتُ[5]

فلذلك أتحفت بهذا الكتاب أعلمهم في الزمان وأفضلهم في الأوان، السلطان ابن السلطان السَّيِّد الرَّضوي رضاكيا ابن السيد المرحوم عليّ كيا الحسيني العلوي أعلى الله تعالى به كلمة الإيمان، وخلّد سلطانه وملكه وعجل إلى كلّ عدو له هلكه.

فعليهم نزل الكتاب وفيهم، وإليهم أبداً يحنّ ويرجع.

اللهمّ أعد علينا من بركات أهل بيت نبيِّك الطيِّبين، وصلِّ عليه وعليهم وعلى أصحابه أجمعين.

اللهمّ زدنا فهماً في كتابك، واجعلنا من حزبك وأحبابك، وانفعنا بما

---

(١) لم أعثر على ترجمته.

(٢) لم أعثر على ترجمته.

(٣) هو شقيق بن سلمة الأسدي، أدرك النبي ﷺ ولم يره. وروى عن علي ومعاذ بن جبل وابن مسعود وغيرهم. وروى عنه الأعمش وغيره ترجمته في: تهذيب التهذيب: ٤/ ٣٦١، والوافي بالوفيات: ١٦/ ١٧٢ و١٧٣، وغاية النهاية: ١/ ٣٢٨.

(٤) الرواية متناً وسنداً في (أسنى المطالب في مناقب سيدنا علي بن أبي طالب) للمصنف والرواية في مفتاح السعادة أيضاً: ٢/ ٦٤.
ولم أعثر على الرواية كاملة في كتب الحديث المعروفة ولكن بعض المصادر ذكرت القسم الأول منها باختلاف الألفاظ: كالنهاية لابن الأثير: ٣/ ١٦٦، والمطالب العالية لابن حجر: ٣/ ٢٨٥ وفيه «أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل حرف منها ظهر وبطن» انتهى.
وذكره مسند الإمام أحمد: ٦/ ١٢٦، ومسند أبي يعلى: ٩/ ٨١. ط دار المأمون ـ دمشق.

(٥) البيت للشاعر سنان بن الفحل الطائي يخاطب به عبد الرحمن بن الضحاك في شأن بئر وقع عليها نزاع بين حيين من العرب.
وقد ورد في: همع الهوامع: ١/ ٢٨٩، شرح الترجيح على التوضيح: ١/ ١٣٧.

علمتنا، وعلمنا ما ينفعنا، وارزقنا علماً نافعاً وعملاً متقبلاً، واجعل أعمالنا خالصة لوجهك الكريم واعصمنا من الشيطان الرجيم، واختم لنا بخير يا كريم، برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلامٌ عَلَى المُرْسَلِيْنَ * والحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ﴾ [الصافات ٣٧/ ١٨٠ ـ ١٨٢].

* * *

فهرس الآيات

المؤمنــون

النـــور

الفرقـــان

الشعـــراء

النمـــل

القصــص

*

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
«لقد كنا نسمع تسبيح الطعام. .»	١١١
لما استقبلني جبرائيل عليه السلام بالرسالة	١١٢
«لما حمل نوح من كل زوجين اثنين. .»	٩٤
«لو رحم الله أحداً من قوم نوح لرحم أم الصبي»	٩٨
«لو رحم الله من قوم نوح أحداً لرحم امرأة»	٩٧
«مر النبي بأناس من اليهود. . .»	١٢٠
«من قال صبيحة كل يوم. . .»	١٢٨
«وكانت لي دعوة دعوت بها. .»	٩١
«يا عبادي لو أن أولكم وآخركم. . .» (قدسي)	٢٣٧
«يجتمع المؤمنون يوم القيامة. . .»	٩١

❊

فهرس الأبيات

أول البيت	قافيته	البحر	الشاعر	الصفحة
واللام في الجر	حلا	طويل	المصنف	١٥٠
وتوكيد	عللا	طويل	المصنف	١٥٠
وتعديه	إلى على	كامل	المصنف	١٥٠
لقد غدوت	شول	بسيط	الأعشى	٢٠٦
يذكرنيك	والجهل	طويل	مسلم بن الوليد	٢١١
فألقاك	الفضل	طويل	مسلم	٢١١
إن الكريم	يتكل	رجز	مجهول	١٤٤
وليس يصح	دليل	وافر	مجهول	٢٢٣

ـ الميم ـ

أول البيت	قافيته	البحر	الشاعر	الصفحة
وحق الهوى	محتم	طويل	مجهول	١٩٤
ومن لا يذد	يظلم	طويل	زهير	٢٠٣
ومن يجعل	يشتم	طويل	زهير	٢٠٣
سئمت	يسأم	طويل	زهير	٢٠٢
وحذفه	والاعظام	رجز	أبو حيَّان	١٣٢
وقد أرد	الغمام	وافر	المتنبي	٢٠٠
أحلت دمي	سلامي	طويل	البحتري	٢٠٠
فليس	بحرام	طويل	البحتري	٢٠٠
لا تضع	في التعظيم	خفيف	حيص بيص	١٩٨
فالعظيم	العظيم	خفيف	حيص بيص	١٩٨
ولع	بالتحريم	خفيف	حيص بيص	١٩٨
أصح	قديم	طويل	ابن رشيق	٢٠٨
أحاديث	تميم	طويل	ابن رشيق	٢٠٨

ـ الهاء ـ

أول البيت	قافيته	البحر	الشاعر	الصفحة
إذا رضيت	رضاها	وافر	القحيف العقيلي	١٤٣

❊

فهرس الأعلام

فهرس المصادر

ـ أ ـ

١ ـ **الأذكار**، للنووي، شرح ابن علان، طبع البابي الحلبي بمصر، ط٤، ١٣٧٥هـ.

٢ ـ **الأزهية في علم الحروف**، للهروي، تحقيق عبد المعين الملوحي ـ دمشق ١٩٧١م.

٣ ـ **أساس البلاغة**، للزمخشري، طبع القاهرة ـ دار الشعب، ١٩٦٠م.

٤ ـ **أسباب النزول**، للواحدي، ط٢، القاهرة، ١٩٦٨م.

٥ ـ **الاستغناء في معرفة المشهورين**، لابن عبد البر.

٦ ـ **أسرار البلاغة**، للجرجاني، شرح أحمد المراغي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، د.ت.

٧ ـ **أسرار العربية**، للأنباري، تحقيق محمد بهجت البيطار، طبع دمشق، ١٣٧٧هـ.

٨ ـ **أسنى المطالب في مناقب سيدنا علي بن أبي طالب**، لابن الجزري، طبع مكة المكرمة، المطبعة الميرية، ١٣٢٤هـ.

٩ ـ **الإصابة في تمييز الصحابة**، لابن حجر، تحقيق البجاوي، دار النهضة، بمصر، ١٣٩٢هـ.

١٠ ـ **إعراب القرآن**، لأبي جعفر النحاس.

١١ ـ **الأعلاق الخطيرة**، لابن شداد، تحقيق دومينيك، طبع دمشق، المعهد الفرنسي، ١٩٥٣م.

١٢ ـ **الأعلام**،للزركلي، الطبعة السابعة، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٦م.

١٣ ـ **أعلام النبوة**، للماوردي، د.ت.

١٤ ـ **أعلام النساء**، لعمر رضا كحالة، طبع مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٢هـ.

١٥ ـ **الإعلان بالتوبيخ**، للسخاوي، تحقيق روزنثال، ترجمة صالح العلي، طبع بغداد، مطبعة العاني ١٣٨٢هـ.
١٦ ـ **الأغاني**، لأبي الفرج الأصفهاني، مطبعة التقدم وطبعة دار المعارف بمصر، القاهرة.
١٧ ـ **الأم**، للشافعي، تصحيح محمد النجار، ط بيروت، دار المعرفة، ١٣٩٣هـ.
١٨ ـ **الأمالي**، للمرتضى، مطبعة السعادة بالقاهرة، ١٣٢٥هـ.
١٩ ـ **أنباء الغمر**، لابن حجر، تحقيق محمد دهمان، مكتب الدراسات الإسلامية، دمشق.
٢٠ ـ **إنباه الرواة**، للقفطي، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٠م و١٩٧٣م.
٢١ ـ **الأنس الجليل**، لمجير الدين الحنبلي، تقديم محمد بحر العلوم، المطبعة الحيدرية بالنجف الأشرف ١٣٨٨هـ.
٢٢ ـ **الإنصاف في مسائل الخلاف**، للأنباري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٤، ١٩٦١م.
٢٣ ـ **أنوار الربيع**، لابن معصوم، تحقيق شاكر شكر، طبع مطبعة النعمان، النجف الأشرف ١٩٦٨م.
٢٤ ـ **إيضاح المكنون، ذيل كشف الظنون**، لإسماعيل باشا البغدادي، استانبول ١٩٤٥م.

ـ ب ـ

٢٥ ـ **البحر المحيط**، لأبي حيان، طبع دار الفكر، ط٣، ١٣٩٨م.
٢٦ ـ **البداية والنهاية**، لابن كثير، ط٢، مكتبة المعارف، بيروت ١٩٨٤م.
٢٧ ـ **البدر الطالع**، لمحمد بن علي الشوكاني، مطبعة السعادة بمصر ١٣٤٨هـ.
٢٨ ـ **البديع في نقد الشعر**، لابن منقذ، تحقيق أحمد بدوي، مصر ١٩٦٠م.
٢٩ ـ **بديع القرآن**، لابن أبي الأصبع، تحقيق حفني شرف، طبع دار النهضة بمصر، د.ت.
٣٠ ـ **البرهان**، للجويني، تحقيق عبد المنعم الديب، الطبعة الثانية، دار الأنصار بالقاهرة.
٣١ ـ **بغية الوعاة**، للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبع المكتبة العصرية، لبنان.

ــ ت ــ

٣٢ ـ **تاج العروس**، للزبيدي، المطبعة الخيرية بمصر ١٣٠٦هـ وطبعة مصورة، بيروت.

٣٣ ـ **تاج اللغة وصحاح العربية**، للجوهري، تحقيق أحمد عطار، مطبعة دار الكتاب العربي بمصر.

٣٤ ـ **التاج المكلل**، لصديق حسن خان، الطبعة الثانية، شرف الدين ١٣٨٣هـ.

٣٥ ـ **تاريخ الأدب العربي**، بروكلمان، ترجمة عبد الحليم النجار، دار المعارف ١٩٦١م.

٣٦ ـ **تأريخ بغداد**، للخطيب البغدادي، مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٣١م.

٣٧ ـ **تأريخ الجزري**، المخطوط، بمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة.

٣٨ ـ **تأريخ دمشق**، لابن عساكر، تحقيق المنجد، مطبعة الترقي بدمشق ١٩٥١م.

٣٩ ـ **تأريخ الطبري**، طبع مكتبة خياط، بيروت وطبعة دار المعارف بمصر ١٩٦٨م.

٤٠ ـ **تأريخ القرآن**، للزنجاني، ط٣، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٣٨٨هـ.

٤١ ـ **تأملات في تراثنا الإسلامي**، أحمد شرف الدين.

٤٢ ـ **التبيان في تفسير القرآن**، للشيخ الطوسي، طبع المطبعة العلمية بالنجف الأشرف ١٣٧٦هـ.

٤٣ ـ **تحرير التحبير**، لابن أبي الأصبع، تحقيق حفني شرف، طبع القاهرة ١٣٨٣هـ.

٤٤ ـ **تحقيق التراث**، للدكتور عبد الهادي الفضلي، طبع جدة، ١٤٠٤هـ.

٤٥ ـ **تحقيق النصوص ونشرها**، لمحمد عبد السلام هارون، ط٢، القاهرة ١٩٦٥م.

٤٦ ـ **تذكرة الحفاظ**، للذهبي، تصحيح عبد الرحمن المعلمي، الطبعة الرابعة، دار إحياء التراث ١٣٧٤هـ.

٤٧ ـ **تسهيل الفوائد**، لابن مالك، تحقيق محمد كامل بركات.

٤٨ ـ **تفسير البغوي**، هامش تفسير الخازن، ط٢، البابي الحلبي ١٣٧٥هـ.

٤٩ ـ **تفسير فتح البيان**، لصديق حسن خان، مطبعة العاصمة، القاهرة.

٥٠ ـ **تفسير القرطبي** (الجامع) ط٣، دار القلم بيروت، ١٣٨٦هـ.

٥١ ـ **التفسير الكاشف**، للشيخ محمد جواد مغنية، دار صادر، بيروت ١٩٧٦م.

٥٢ ـ **التفسير الكبير**، للفخر الرازي، دار الكتب العلمية، طهران، ط٢.
٥٣ ـ **تفسير ابن كثير**، طبعة دار الفكر، بيروت ١٣٨٥هـ.
٥٤ ـ **تقريب علوم الحديث**، للنووي، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة.
٥٥ ـ **تقريب النشر في القراءات العشر**، للجزري، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، مطبعة البابي، القاهرة ١٩٦١م.
٥٦ ـ **التمهيد في تخريج الفروع**، للآسنوي، تحقيق محمد حسن هيتو، ط٢، مؤسسة علم الأصول.
٥٧ ـ **تنوير المقياس**، لابن عباس.
٥٨ ـ **تهذيب الأخلاق**، لمسكويه.
٥٩ ـ **تهذيب التهذيب**، لابن حجر العسقلاني، ط دار صادر، بيروت.
٦٠ ـ **تهذيب اللغة**، للأزهري، تحقيق محمد علي النجار، مطابع سجل العرب، القاهرة.

ـ ج ـ

٦١ ـ **جامع الأصول**، لابن الأثير الجزري، تحقيق محمد الفقي، طبع مطبعة السنة المحمدية ١٣٦٩هـ.
٦٢ ـ **جامع البيان**، للطبري، طبع مصطفى البابي الحلبي، ط٣، القاهرة، ١٣٨٨هـ.
٦٣ ـ **جامع الدروس العربية**، للغلاييني.
٦٤ ـ **جامع كرامات الأولياء**، للنبهاني، تحقيق إبراهيم عطوة، مطبعة البابي الحلبي، ١٩٦٢م.
٦٥ ـ **الجنى الداني في حروف المعاني**، للمرادي، تحقيق طه محسن، دار الكتب للطباعة، الموصل ١٩٧٦م.

ـ ح ـ

٦٦ ـ **حسن التوسل**، لشهاب الدين محمود، تحقيق أكرم عثمان، بغداد ١٩٨٠م.
٦٧ ـ **الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية في مصر والشام**، لأحمد بدوي، د.ت.
٦٨ ـ **الحيوان**، للجاحظ، تحقيق وشرح محمد عبد السلام هارون، مصطفى البابي بالقاهرة.

ـ خ ـ

٦٩ ـ **خزانة الأدب**، لعبد القادر البغدادي، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربي ١٩٦٧م.

٧٠ ـ **الخصائص**، لابن جني، تحقيق محمد علي النجار، ط٢، دار الهدى، بيروت ١٩٥٢م.

٧١ ـ **خطط الشام**، لمحمد كرد علي، ط دمشق، ١٩٢٥م.

٧٢ ـ **الخطط المقريزية**، للمقريزي، طبع أوفست مؤسسة الحلبي، القاهرة.

ـ د ـ

٧٣ ـ **دائرة المعارف الإسلامية**، إبراهيم خورشيد وزملاؤه، طبع دار الشعب بالقاهرة، د.ت.

٧٤ ـ **الدارس في تأريخ المدارس**، للنعيمي، طبع دمشق.

٧٥ ـ **دراسة الكتب المقدَّسة.**

٧٦ ـ **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، لابن حجر، حيدر أباد ١٣٥٠هـ.

٧٧ ـ **الدر المنثور**، للسيوطي، ط محمد أمين دمج، بيروت، د.ت.

٧٨ ـ **دلائل الإعجاز**، للجرجاني، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، ط١، مصر ١٩٦٩م.

٧٩ ـ **الديباج المذهب**، لابن فرحون المالكي، تحقيق محمد الأحمدي ـ طبع دار التراث ـ القاهرة.

٨٠ ـ **ديوان أشعار الهاشميين**، مؤسسة الأعلمي، بيروت.

٨١ ـ **ديوان امرئ القيس**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ١٩٥٨م.

٨٢ ـ **ديوان البحتري**، تحقيق حسن صيرفي، دار المعارف بمصر، ط٢.

٨٣ ـ **ديوان بشار**، تحقيق محمد بدر الدين العلوي، دار الثقافة، بيروت.

٨٤ ـ **ديوان أبي تمام**، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف بمصر ١٩٦٤م.

٨٥ ـ **ديوان جرير**، تحقيق محمد إسماعيل الصاوي، دار صادر، بيروت.

٨٦ ـ **ديوان ذي الرمة**، تنقيح كارليل مكارتني، طبع كلية كمبردج ١٣٣٧هـ.

٨٧ ـ **ديوان ابن رشيق.**

٨٨ ـ **ديوان زهير**، طبع دار صادر، بيروت.

٨٩ ـ **ديوان الشماخ**، تحقيق صلاح الدين الهادي، دار المعارف بمصر ١٩٦٨م.

٩٠ ـ **ديوان الفرزدق**، دار صادر، بيروت ١٣٨٦هـ.
٩١ ـ **ديوان كثير**، بعناية هنري بيرس، الجزائر ١٩٢٨م.
٩٢ ـ **ديوان المتلمس**، تحقيق حسن صيرفي، الشركة المصرية للطباعة ١٩٧٠م.
٩٣ ـ **ديوان متمم بن نويرة**.

ـ ذ ـ

٩٤ ـ **ذخائر التراث العربي الإسلامي**، د. عبد الجبار عبد الرحمن.
٩٥ ـ **الذريعة إلى تصانيف الشيعة**، للشيخ محسن الطهراني، طبع طهران ١٩٦٩م.
٩٦ ـ **ذيل طبقات الحفاظ**، للذهبي، جلال الدين السيوطي.

ـ ر ـ

٩٧ ـ **الرسالة**، للشافعي.
٩٨ ـ **روح المعاني**، لمحمود الآلوسي، ط المطبعة المنيرية ١٣٥٣هـ.
٩٩ ـ **الروض المعطار**، لابن عبد المنعم الحميري.
١٠٠ ـ **روضات الجنات**، لمحمد باقر الموسوي، ط٢، حجري، طبعة السيد سعيد المشهدي ١٣٦٧هـ.

ـ ز ـ

١٠١ ـ **زاد المسير**، لابن الجوزي، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت.

ـ س ـ

١٠٢ ـ **سر الفصاحة**، لابن سنان الخفاجي، تحقيق علي فوده، المطبعة الرحمانية ١٩٣٢م.
١٠٣ ـ **سنن الترمذي (الجامع الصغير)**، تحقيق أحمد محمد شاكر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، سنة ١٣٥٦.
١٠٤ ـ **سنن الدارمي**، ط دار المحاسن، القاهرة ١٣٨٦هـ.
١٠٥ ـ **سنن أبي داود**، تعليق عزت الدعاس، ط حمص، سوريا ١٣٨٨هـ.
١٠٦ ـ **سنن ابن ماجه**، تعليق محمد فؤاد عبد الباقي، طبع البابي الحلبي بمصر.
١٠٧ ـ **السيرة الحلبية**، مطبعة قرة عين الدهر، القاهرة ١٢٨٠هـ.
١٠٨ ـ **السيرة**، لزيني دحلان، طبع القاهرة، المطبعة الوهبية ١٢٨٥هـ.

١٠٩ ـ **السيرة**، لابن هشام، تحقيق مصطفى السقا، ط٢، مطبعة مصطفى البابي ١٣٧٥هـ.

ـ ش ـ

١١٠ ـ **شذرات الذهب**، لابن العماد الحنبلي، ط المكتب التجاري بيروت.
١١١ ـ **شرح أشعار الهذليين**، للسكري، تحقيق عبد الستار فراج، مطبعة المدني القاهرة، ١٩٦٥م.
١١٢ ـ **شرح ديوان ذي الرمة**، للباهلي.
١١٣ ـ **شرح ديوان المتنبي**، لأبي البقاء العكبري، ط٢، القاهرة ١٩٥٦م.
١١٤ ـ **شرح السنة**، للبغوي، تحقيق شعيب الأرناؤوط والشاويش.
١١٥ ـ **شرح ابن عقيل**، تحقيق محمد محيي الدين، طبع القاهرة.
١١٦ ـ **شرح الكافية لابن الحاجب**، مكتبة دار الطباعة، الآستانة ١٣١١هـ.
١١٧ ـ **شرح المفصل**، لابن يعيش، تحقيق جماعة، دار الطباعة المنيرية، القاهرة.
١١٨ ـ **الشعر والشعراء**، لابن قتيبة، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر ١٩٦٦م.
١١٩ ـ **الشقائق النعمانية**، طاش كبري زاده.

ـ ص ـ

١٢٠ ـ **الصحاح**، للجوهري، بتحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط٢، بيروت ١٣٩٩هـ.
١٢١ ـ **صحيح البخاري** بشرح الكرماني، دار إحياء التراث، بيروت، ط٢، ١٩٨١م ومطبعة الشعب.
١٢٢ ـ **صحيح مسلم**، بشرح النووي، طبعة الحلبي ودار إحياء التراث العربي، ط١، ١٣٤٧هـ.
١٢٣ ـ **صفة الصفوة**، لابن الجوزي، مطبعة مجلس دائرة المعارف بالهند.
١٢٤ ـ **الصناعتين**، لأبي هلال العسكري، تحقيق علي البجاوي، طبع البابي الحلبي، القاهرة ١٩٧١م.

ـ ض ـ

١٢٥ ـ **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، للسخاوي، ط مكتبة الحياة، بيروت.

ـ ط ـ

١٢٦ ـ **طبقات الأطباء**، لابن جلجل، تحقيق فؤاد سيد، بغداد، مكتبة المثنى ١٩٥٥م.

١٢٧ ـ **طبقات الحفاظ**، للسيوطي.

١٢٨ ـ **طبقات الحنابلة**، ابن أبي يعلى، تحقيق أحمد عبيد، ط المكتبة العربية ١٣٥٠هـ دمشق.

١٢٩ ـ **طبقات ابن سعد**، دار صادر، بيروت، د.ت.

١٣٠ ـ **الطبقات السنية في تراجم الحنفية**.

١٣١ ـ **طبقات الشافعية**، للسبكي، تحقيق الطناحي والحلو، طبع عيسى الحلبي.

١٣٢ ـ **طبقات المدلسين**، لابن حجر، المطبعة الحسينية بمصر ١٣٢٢هـ.

١٣٣ ـ **طبقات المفسرين**، للداوودي، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة ١٣٩٢هـ.

ـ ع ـ

١٣٤ ـ **العبر**، للذهبي، تحقيق صلاح الدين المنجد، طبع الكويت دائرة المطبوعات ١٩٦٠م.

١٣٥ ـ **عدة الحصن الحصين**، لابن الجزري، شرح حسنين محمد مخلوف، مطبعة لجنة البيان ١٣٨١هـ.

١٣٦ ـ **علوم الحديث**، لابن صلاح، تحقيق نور الدين، المدينة المنورة، المكتبة العلمية ١٣٨٦هـ.

١٣٧ ـ **العمدة**، لابن رشيق، تحقيق محمد محيي الدين، مطبعة السعادة بمصر، ط٣، ١٩٦٣م.

ـ غ ـ

١٣٨ ـ **غاية النهاية**، لابن الجزري، عني بنشره ج برجستراسر، ط مكتبة الخانجي ١٣٥١هـ.

١٣٩ ـ **غرائب القرآن**، للنيسابوري، هامش تفسير الطبري، دار المعرفة، بيروت.

ـ ف ـ

١٤٠ ـ **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، لابن حجر.

١٤١ ـ **فتوح البلدان**، للبلاذري، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبعة لجنة البيان

بمصر ١٩٥٦م.
١٤٢ ـ **الفرق بين الفرق**، لعبد القاهر البغدادي، ط٢ بيروت ١٩٧٧م.
١٤٣ ـ **فهرست دار الكتب**، طبع مطبعة دار الكتب بالقاهرة ١٣٤٢هـ.
١٤٤ ـ **فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية**، ط المجمع العلمي بدمشق ١٣٨١هـ.
١٤٥ ـ **فهرس المخطوطات العربية في دار الكتب الشعبية**، بلغاريا.
١٤٦ ـ **فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف**، بغداد.
١٤٧ ـ **فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف**، السليمانية.
١٤٨ ـ **فهرس مصورات جامعة الملك عبد العزيز ـ جدة** ـ تخريج أحمد عرموش، دار النفائس بيروت ١٤٠٢هـ.
١٤٩ ـ **فهرست ابن النديم**، دار المعرفة، بيروت، د.ت.
١٥٠ ـ **الفوائد**، لابن القيم، طبع دار الكتب الإسلامية بلاهور، ١٣٩٤هـ.
١٥١ ـ **فوات الوفيات**، لابن شاكر الكتبي، نشره محمد محيي الدين عبد الحميد، مصر ١٩٥١م.

ـ ق ـ

١٥٢ ـ **القاموس المحيط**، للفيروزآبادي، دار الجيل، بيروت، د.ت.
١٥٣ ـ **قضاة دمشق**، لابن طولون، تحقيق صلاح الدين المنجد، المجمع العلمي، دمشق ١٩٥٦م.
١٥٤ ـ **القضايا النحوية في تفسير القرطبي**، رسالة دكتوراه كاظم إبراهيم جامعة القاهرة ١٩٨٢م.
١٥٥ ـ **القلائد الجوهرية**، لابن طولون، تحقيق محمد دهمان، مكتب الدراسات الإسلامية دمشق ١٣٦٨هـ.

ـ ك ـ

١٥٦ ـ **الكامل في التاريخ**، لابن الأثير، دار الكتاب العربي بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ.
١٥٧ ـ **الكتاب**، سيبويه، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة ١٩٦٦م. وطبعة بولاق ١٣١٨هـ.
١٥٨ ـ **الكشاف**، للزمخشري، طبع المطبعة العامرية ومطبعة الاستقامة ١٩٥٣م

بمصر ١٣٠٨هـ.
١٥٩ ـ **كشف الأستار**، للسندهي، طبع دهلي، دار الإشاعة ١٣٤٠هـ.
١٦٠ ـ **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، حاجي خليفة، طبع أوفست، مكتبة المثنى بغداد.
١٦١ ـ **كنز العمال**، للمتقي الهندي، تصحيح صفوت السقا، بيروت ١٣٩٩هـ.
١٦٢ ـ **الكواكب الدرية**، للكرمي.

ـ ل ـ

١٦٣ ـ **لسان العرب**، لابن منظور، دار صادر بيروت، ١٩٥٦م.
١٦٤ ـ **لسان الميزان**، للعسقلاني، طبعة حيدر آباد ١٣٣٠هـ.

ـ م ـ

١٦٥ ـ **المثل السائر**، للميداني، تحقيق محمد محيي الدين، ط٤، مطبعة السعادة ١٩٥٩م.
١٦٦ ـ **مجمع الأمثال**، للميداني.
١٦٧ ـ **مجمع البيان**، للطبرسي، طبع دار إحياء التراث ١٣٧٩هـ، وطبعة دار المعرفة، بيروت ١٤٠٦هـ.
١٦٨ ـ **المحصول**، للفخر الرازي، تحقيق طه العلواني، ط الرياض ١٣٩٩هـ.
١٦٩ ـ **مختصر التفتازاني**.
١٧٠ ـ **المخصص**، لابن سيده.
١٧١ ـ **مدرسة البصرة النحوية**، د. عبد الرحمن السيد، ط١، مطابع سجل العرب ١٣٨٨هـ.
١٧٢ ـ **مرآة الجنان**، لليافعي، طبع مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٩٧٠م.
١٧٣ ـ **مرآة الزمان في تأريخ الأعيان**، لسبط ابن الجوزي، ط١، حيدر آباد، ١٩٥٢م.
١٧٤ ـ **المستدرك على الصحيحين**، للحاكم النيسابوري.
١٧٥ ـ **المستقصى في أمثال العرب**، للزمخشري، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٧هـ.
١٧٦ ـ **مسند أحمد**، للإمام أحمد بن حنبل، طبعة دار صادر بيروت، وطبعة دار المعارف ١٣٧٣هـ.

١٧٧ ـ **مسند أبي يعلى الموصلي**، طبع دار المأمون، دمشق.
١٧٨ ـ **المطالب العالية**، لابن حجر، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المطبعة العصرية بالكويت، ١٣٩٣هـ.
١٧٩ ـ **معاهد التنصيص**، للعباسي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، طبع عالم الكتب بيروت، ١٣٦٧هـ.
١٨٠ ـ **معجم الأدباء**، لياقوت الحموي، مصورة عن دار المأمون.
١٨١ ـ **معجم ألقاب الشعراء**، لابن حبيب.
١٨٢ ـ **معجم الأنساب والأسرات الحاكمة**، للمستشرق زامباور، إخراج د. زكي محمد وجماعة، مطبعة جامعة فؤاد الأول ١٩٥٢م.
١٨٣ ـ **معجم البلدان**، لياقوت الحموي، دار صادر بيروت ١٤٠٠هـ.
١٨٤ ـ **معجم الشعراء**، للمرزباني، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة ١٩٦٠م.
١٨٥ ـ **معجم شواهد العربية**، لعبد السلام هارون، طبع الخانجي ١٣٩٢هـ.
١٨٦ ـ **معجم الشيوخ**، لعمر بن فهد، تحقيق محمد الزاهي، مكة المكرمة ١٤٠٦هـ.
١٨٧ ـ **معجم متن اللغة**، لأحمد رضا، ط مكتبة الحياة بيروت ١٣٧٧هـ.
١٨٨ ـ **معجم مقاييس اللغة**، لابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، ط٢، الحلبي ١٩٦٩م.
١٨٩ ـ **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث**، ترتيب بعض المستشرقين، ط، برلين، ١٩٣٦م.
١٩٠ ـ **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن**، محمد فؤاد عبد الباقي، مطابع الشعب ١٣٧٨هـ.
١٩١ ـ **معجم المؤلفين**، لعمر كحالة، مطبعة الترقي، دمشق ١٩٥٧م.
١٩٢ ـ **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط٢.
١٩٣ ـ **معرفة القراء الكبار**، للذهبي.
١٩٤ ـ **المغني**، لابن قدامة، طبع مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.
١٩٥ ـ **مغني اللبيب**، لابن هشام، الطبعة الخامسة، بيروت.
١٩٦ ـ **مفتاح السعادة**، طاش كبري زاده، تحقيق كامل بكري وزميله، دار الكتب الحديثة.
١٩٧ ـ **مفتاح العلوم**، للسكاكي، تحقيق نعيم زرزور، طبع بيروت ١٩٧٩م.

١٩٨ ـ **المفردات في غريب القرآن**، للراغب الأصفهاني، إعداد محمد خلف الله، مكتبة الإنجلو المصرية.
١٩٩ ـ **المفصل في علم العربية**، للزمخشري، ط٢، دار الجيل، بيروت.
٢٠٠ ـ **المقتضب**، للمبرد، تحقيق محمد عضيمة، مجلس الشؤون الإسلامية ١٣٨٨هـ.
٢٠١ ـ **الملل والنحل**، للشهرستاني، طبع القاهرة ١٩٦٨م.
٢٠٢ ـ **الموشح**، للمرزباني، تحقيق علي البجاوي، دار نهضة مصر ١٩٦٥م.
٢٠٣ ـ **الموطأ**، لمالك، إعداد أحمد عرموش، ط٢، دار النفائس ١٣٩٧هـ.
٢٠٤ ـ **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، للذهبي، تحقيق علي البجاوي، طبع البابي الحلبي بالقاهرة ١٩٥٤م.

ـ ن ـ

٢٠٥ ـ **النجوم الزاهرة**، لابن تغري بردي، مصورة عن نسخة دار الكتب.
٢٠٦ ـ **النحو الوافي**، لعباس حسن، ط دار المعارف بمصر ١٩٦١م.
٢٠٧ ـ **النشر في القراءات العشر**، للجزري، تحقيق علي محمد الضباع، مطبعة مصطفى القاهرة.
٢٠٨ ـ **نقد الشعر**، لقدامة، تحقيق كمال جعفر، طبع مكتبة الخانجي ١٩٦٣م.
٢٠٩ ـ **نهاية الأرب**، للنويري، مطبعة كوستاتسوماس، نسخة مصورة د.ت.
٢١٠ ـ **النهاية في غريب الحديث**، لابن الأثير، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، بيروت، ط١، ١٩٦٣م.
٢١١ ـ **نهاية المحتاج**، لابن شهاب الرملي، مطبعة البابي الحلبي، الطبعة الأخيرة ١٣٨٦هـ.
٢١٢ ـ **نهج البلاغة**، للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، جمع الشريف الرضي.
٢١٣ ـ **النهر الماد من البحر**، هامش البحر المحيط وكلاهما لأبي حيّان، دار الفكر بيروت ١٣٩٨هـ.
٢١٤ ـ **نوادر المخطوطات العربية في مكتبات تركيا**، جمع رمضان ششن.

ـ هـ ـ

٢١٥ ـ **هدية العارفين**، لإسماعيل باشا البغدادي، طبع استانبول سنة ١٩٥٥م.

٢١٦ ـ **همع الهوامع**، للسيوطي، تصحيح محمد النعساني، مطبعة السعادة، وط دار المعرفة بيروت.

— و —

٢١٧ ـ **الوافي بالوفيات**، لصلاح الدين الصفدي، ط٢، إصدار لجنة المستشرقين الألمانية.

٢١٨ ـ **الوفا بأحوال المصطفى**، لابن الجوزي، تعليق محمد زهري النجار، المؤسسة السعيدية بالرياض.

٢١٩ ـ **وفيات الأعيان**، لابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت.

٢٢٠ ـ **الوفيات**، لابن منقذ، تحقيق عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٧١م.

— ي —

٢٢١ ـ **يتيمة الدهر**، للثعالبي، تحقيق محمد محيي الدين، مطبعة السعادة بمصر ١٣٧٧هـ.

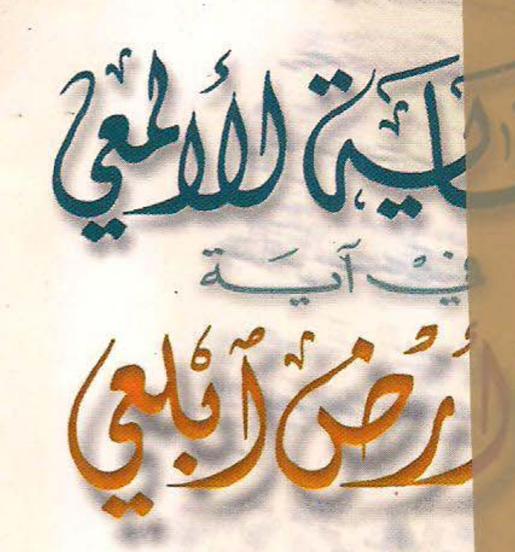
فهرس الموضوعات

أقسام اللام

أقوال العلماء فيها

معانيها وأقوال العلماء فيها

معانيها واستعمالاتها



• مرّت على الدِّراسات القرآنية قرون طويلة منذ أن تفتّحت أذهان علماء المسلمين على قراءة القرآن والغوص في أعماقه لاستخراج ما فيه من كنوز، وقد كان لحثّ القرآن والرَّسول الأعظم (ص) ورجالات الإسلام الأوائل الأثر الكبير في دفع تلك الأجيال المتعاقبة إلى البحث والتأليف.

• وقد تنوّعت تلك الدِّراسات وتسابق إليها العلماء ممّا أثرى المكتبة العربيّة بتراث ضخم من الكتب والموسوعات التي كان للقرآن الأثر الكبير في مادّتها.

• إن الدراسة القرآنيّة المتخصِّصة، التي تأخذ جانباً محدّداً من القرآن فتوجه الجهد الكبير والمتواصل إليه، تؤدِّي إلى نتائج وثمرات قد لا تتمكن الدِّراسات العامّة الشاملة من الوصول إليها؛ لأنّ تحديد مجال الجهد وتضييقه سيؤدِّي قطعاً إلى توجيه الفكر في ذلك المجال واستعمال ذكاء الدارس وإخلاصه فيه ممّا يفتح أمامه الآفاق لخدمة هدفه المحدّد الواضح.

• لقد سلك الشيخ ابن الجزري في كتابه هذا «كفاية الألمعي» المسلك المحدّد الضيِّق، حيث جعل هذه الآية القرآنية الكريمة – على قلّة ألفاظها – مداراً لبحثه الطويل طارقاً كلّ باب من أبواب الفنون التي رأى مجالاً للآية فيها، وذلك على سبيل التحدي لمن قال: إن السكاكي بلغ فيها الغاية – في كتابه المفتاح – ذلك التحدِّي الذي دفعه إلى العمل فأثمرت جهوده فأثبت دقة المقولة التي ردّدها المفسِّرون:

«.. استفصح علماء البيان هذه الآية ورقصوا لها رؤوسهم».

ISBN 9953-12-019-6

منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت